

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية- أدرار

كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية

تخصص : التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر

قسم التاريخ

حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي

من سنة 1000 هـ إلى 1301 هـ

1591 م إلى 1883 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر

إشراف:

الدكتور/ محمد حوتية

إعداد الطالب:

أحمد ذكار

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	الجامعة الإفريقية ادرار
أ.د. حوتية محمد	أستاذ التعليم العالي	مقرا و مشرفا	الجامعة الإفريقية ادرار
د. بن يوسف تلمساني	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة الجزائر
د. شتره خير الدين	أستاذ محاضر "ب"	مناقشا	الجامعة الإفريقية ادرار

السنة الجامعية: 1430 - 1431 هـ
2009 - 2010 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* الإهداء *

إلى روح والدي نكار بلخير بن الفضيل الذي زرع في حب العلم
إلى روح والدتي راشدي فطوم التي علمتني الصبر و المثابرة . تغمدهما
الله بواسع رحمته ..

و إلى أبنائي . ماجد . ريحان . عادل . و نسرين .
وإلى أم أولادي التي تحملت مسؤولية كبرى أثناء غيابي للدراسة .
إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل الأكاديمي المتواضع .

* الشكر *

أشكر الله عز و جل الذي يسر لي سبل طلب العلم، بعد انقطاع دام أكثر من عقدين من الزمن ، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور محمد الصالح حوتية على تكرمه بقبول الإشراف على مذكرتي ، وعلى متابعته لمراحل إعدادها ، وعلى النصائح و الإرشادات التي قدمها لي طوال مشوار البحث.

قائمة المختصرات

- R .A : Revue Africaine

تح : تحقيق

تر : ترجمة

مج : مجلد

د.ت : بدون تاريخ الطبع

ج : جزء

ع : عدد

ط : طبعة

ت : توفي

المقدمة

المقدمة

أتناول في هذه المذكرة الموسومة بحاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي ، الروابط التجارية التي كانت ما بين وارجلان و الجهة الغربية من إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ، وقد تبين لي من خلال الدراسة والبحث أن لحاضرة وارجلان تاريخا متميزا فهي تحتل موقعا إستراتيجيا هاما في وسط الصحراء وترجع من الناحية التاريخية والأثرية إلى العصور الحجرية القديمة ، وصلها التوسع الروماني وانتشر فيها الإسلام مبكرا ، ونشأت على أديمها حضارة عربية إسلامية مازالت آثارها شاهدة على ذلك الإنجاز مجسدة في بقايا قصر سدراتة الأثري والمخطوطات التي ألقت محليا في شتى العلوم ، أو تلك التي جلبت من الحواضر المجاورة ، واستقبلت الفارين من بطش العبيديين عند سقوط الدولة الرستمية في نهاية القرن الثالث الهجري بداية العاشر ميلادي ، وهذا التمازج الدموي و التنوع العرقي ساعد على ظهور حركة علمية كبيرة ، وبرز عدد من العلماء مثل أبي يعقوب يوسف الوارجلاني وأبي عمار عبد الكافي.

أما نظامها السياسي فيتميز بكون السلطة الفعلية فيه بيد الجماعة التي تتكون من اثني عشر فردا ، يمثلون الأحياء الثلاثة التي تتكون منها الحاضرة و سلطة السلطان فيها سلطة شرفية ، وظل هذا النمط السياسي سائدا إلى غاية الاحتلال الفرنسي ، دخلها الحماديون والحفصيون ، و ألحقت بإيالة الجزائر العثمانية في منتصف القرن العاشر الهجري منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

وكان لوارجلان سوق له أهميته التجارية اكتسبها من موقع الحاضرة الهام ما بين شمال الصحراء وجنوبها، وكانت محطة تسويق وعبور لا بد منها للقوافل التجارية لمتوجهة إلى السودان الغربي، هذه المنطقة التي تقع جنوب الصحراء وتضم وقتذاك العديد من الحواضر ذات الأهمية الاقتصادية و التجارية منها أغاديس و جني وغانة وتمبكتو و غاو و تاكدة و أوداغست و تادمكة ، وظلت على هذه الوتيرة لمدة زمنية

تجاوزت العشرة قرون، ولم تتراجع هذه التجارة إلا بعد الاحتلال الفرنسي المباشر لوارجلان 1883م .

أهمية البحث :

لهذا البحث أهمية كبرى لكونه يؤرخ لحاضرة ربطت الجزائر بمنطقة السودان الغربي في التاريخ الحديث و المعاصر هذا المجال الذي كان حكرًا في ميدان التاريخ على الآباء البيض ورجال الكنيسة المسيحية و الضباط العسكريين ، كما أبرزت فيه دور القوافل التجارية في عملية التواصل ما بين الضفتين ، وقد يسهم هذا البحث في كتابة التاريخ الوطني المحلي للجزائر العميقة ، وما هو إلا محاولة أولية لعدد من الدراسات الأخرى التي ستكشف عن جزء من التاريخ الوطني الذي ربط ما بين الجزائر وإفريقيا

دوافع اختيار الموضوع :

يرجع اهتمامي بتاريخ حاضرة وارجلان وعلاقتها بمحيطها الخارجي إلى أكثر من عقدين من الزمن ، عندما كنت مسؤولًا عن الشؤون الثقافية بولاية وارجلان، وأصبح من مهماتي توظيف الموروث الثقافي والتاريخي للمنطقة في مختلف البرامج الثقافية التي أعدها حتى يستفيد منه الجمهور المتعطش لتاريخ وطنه ، وعندما انطلقت في عملية جمع المادة العلمية في الجوانب التراثية والتاريخية والاجتماعية وجدت قلة قليلة ممن كتبوا في هذا الموضوع ، و نشرت أعمالهم بالجرائد والمجلات ومدونات الملتقيات التاريخية ، وتقارير الضباط العسكريين والآباء البيض اليومية التي كانت تصدر إبان الاحتلال الفرنسي وما نشرت المجلة الإفريقية.

هذا ما دفعني إلى الميل لدراسة هذا الموضوع والتعمق فيه و تذليل ما كتبت المدرسة الكولونيالية في الدراسات التاريخية حول هذا الموضوع .

إشكالية البحث :

تتمثل الإشكالية المحورية في محاولة الكشف عن تاريخ هذه الحاضرة الصحراوية وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي

وقد انطلقت في هذا العمل بمجموعة من التساؤلات ظلت تراودني منذ اختياري للموضوع لعلمي سأوفق في الإجابة عن هذه الإشكالية في متن المذكرة و هي:

- 1 . ما أصل تسمية الحاضرة ومدلولاتها ؟
- 2 . ما هو العمق التاريخي للحاضرة ؟
- 3 . كيف كانت علاقاتها التجارية بالسودان الغربي ؟
- 4 . ما موقف الاحتلال الفرنسي من هذه العلاقات ؟

الإطار الزمني للبحث :

و لضبط الموضوع زمنيا حددت له إطارا يمتد من نهاية القرن العاشر الهجري نهاية القرن السادس عشر ميلادي إلى نهاية القرن الثالث عشر هجري نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، فنهاية القرن السادس عشر تتميز بسقوط مملكة سنغاي على يد السعديين 1000 هـ . 1591م ، وما انجر عن ذلك من خلل في منطقة جنوب الصحراء من جهة ، وبسط العثمانيين نفوذهم على حاضرة وارجلان من جهة أخرى وفي نهاية القرن التاسع عشر تعرضت وارجلان إلى الاحتلال الفرنسي المباشر، وفي نفس الفترة تعرض حوض النيجر إلى نفس الاستعمار، ولتفادي ضربات المقاومة الشعبية ، وضع المستعمر حاميات عسكرية على طول المسالك التجارية وهذا لرصد الحركة التجارية والمقاومة الشعبية الملتهبة في هذه المناطق. ومن سنة 1854م إلى 1883م حكمت وارجلان حكما فرنسيا غير مباشر عن طريق القيادة ، وفي سنة 1883م أصبحت تحكم حكما عسكريا مباشرا من طرف المحتل الفرنسي.

المناهج المتبعة في البحث :

أما عن المنهج المتبع في المذكرة، فقد سلكت المنهج الوصفي الذي وظفته في عرض الأحداث بطريقة وصفية من خلال ما جمعت من المصادر والمراجع والدوريات التي تيسر لي الحصول عليها حول الموضوع مع تحليل للمادة ومناقشتها ونقدها كلما كانت ضرورة لذلك .

الصعوبات المعترضة :

من الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا العمل هي ندرة المادة العلمية حول القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، وذلك لكون تجار القوافل لم يدونوا رحلاتهم وكذلك الشأن بالنسبة للعثمانيين الذين حكموا الجزائر في هذه الفترة ، لم يتركوا مادة علمية كبيرة حول الصحراء اللهم إلا بعض السجلات التي تضبط نصيب بعض المناطق الصحراوية التي وصلوها من الضرائب المفروضة عليها كل سنة. كما شحت الكتابات المحلية ، وكل ما وصلنا لا يخرج من إطار الفقه أو العقود أو الشعر الشعبي، أما الكتابات الفرنسية فقد دونت الوقائع عن طريق الروايات الشفهية التي جمعوها بعد احتلالهم للصحراء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي .

الدراسات السابقة :

أما بالنسبة للدراسات السابقة حول الموضوع ، فقد وجدت رسالة جامعية قدمها الدكتور العربي الزبيري في السبعينات من القرن العشرين حول التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، تكلم فيها عن الشرق الجزائري بصورة عامة بما فيها وارجلان من سنة 1207هـ - 1792 إلى 1246هـ - 1830م ، وبالتالي فهي دراسة شاملة ونصيب التجارة مع السودان فيها شيء بسيط .

كما عثرت على مذكرة قدمها الأستاذ عمر بوعصبانة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الإسلامية من معهد أصول الدين بجامعة الجزائر خلال الموسم الجامعي 1991-1992م بعنوان معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان من 296هـ . 626 هـ . 909م . 1229 م ، فهي دراسة دينية ، تكلمت عن تاريخ الحاضرة لكنها توقفت في القرن الثالث عشر الميلادي فقط .

أما الآباء البيض فقد نشروا كتابات حول تاريخ وارجلان خلال القرن العشرين نذكر منها كتاب الأب جون ليتيليو :

Jean Lethielleux : Ouargla cité saharienne des origines au début de xx éme siècle , Paris1983 .

هذا الكتاب تناول تاريخ الحاضرة من جذورها إلى بداية القرن العشرين، لكن هذا العمل كان شاملا وعماما.

أما كتاب الأب دنيس بيلي (Denys Pillet) فقد جاء على شكل عمل كرونولوجي بعنوان : معالم حول تاريخ وارجلان .

Denys (Pillet) : Repères pour l'histoire de Ouargla. 1872- 1992. Ouargla .1995.

أهم المصادر و المراجع المعتمدة :

وقد اعتمدت في إنجاز مذكرتي هذه على مجموعة من المصادر و المراجع والدوريات أهمها: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب : لمؤلفه أبي عبيد الله البكري، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر الذي أفادني في معرفة المسافات ما بين الحواضر من بلاد السودان إلى وارجلان ، و كذا المسالك الصحراوية والأسواق، و الحركة التجارية بصورة عامة، وقد اعتمدت عليه اعتمادا كبيرا لكون طرق القوافل الصحراوية لم تغير مسالكها من عصره في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي بسبب ارتباطها ارتباطا وثيقا بمصادر المياه عبر الصحراء .

وكتاب طبقات المشايخ في المغرب : لصاحبه أبي أحمد بن سعيد الدرجيني الذي نشره إبراهيم طلاي ولم يحققه، وقد استفدت كثيرا من هذا المصدر خاصة في الجانب الحضاري والثقافي لوارجلان، حيث تكلم عن العلم و العلماء من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي إلى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي .

وكتاب سير المشايخ لصاحبه أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي الذي أرخ لوارجلان وعلاقتها بالسودان الغربي عن طريق السير، خاصة مع غانة وتادمكة ، وقد أفادني في مبحث الجذور التاريخية للعلاقات التجارية ما بين الضفتين . و ما تجدر الإشارة إليه أن أغلب المصادر الإباضية خاصة كتاب سير الأئمة لأبي زكرياء ، و كتاب السير، لأبي الربيع سليمان الوسياني، وكتاب طبقات المشايخ لأبي

أحمد بن سعيد الدرجيني وكتاب سير المشايخ ، لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي من القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي إلى العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، تناولت كلها نفس المادة الخبرية المتمثلة في سير المشايخ و العلماء وتاريخ الإباضية في كل من الدولة الرستمية و وارجلان و جربه و نفوسة .

أما كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون ، المجلد السادس القسم الثالث عشر فقد استفدت منه في جزء كبير من البحث، خاصة في جانب البربر الأوائل بني وركلا الذين حلوا بالجهة و يرجع إليهم الفضل في تأسيس قصر وارجلان و تسمية الحاضرة ونمط الحكم الذي كان سائدا فيها زمن بن خلدون في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وعلاقتها بالسودان الغربي حيث ذكر أن فواكه السودان تأتي من حواضر الصحراء ومن ضمنها وارجلان .

وكما استفدت كثيرا من مصادر أخرى كنزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي، وماء الموائد . رحلة العياشي . لأبي العباس عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، وكتاب وصف إفريقيا ، للحسن بن محمد الوزان .

أما فيما يتعلق بالمراجع فقد رجعت إلى عدد كبير، ومن ضمنها أذكر:

كتاب جون ليتيليو: ورقلة حاضرة صحراوية من الجذور إلى مطلع القرن العشرين:

Jean Lethielleux: Ouargla cité saharienne des origines au début de xx éme, siècle, Paris 1983.

وكتاب المستشرق البولوني تادوز ليفسكي : (دراسات مغربية و سودانية)

Tadeuz Lewicki : Etudes maghrébines et soudanaises , Varsovie 1976 .

وقد استفدت منه إفادة جمة في مبحث طرق القوافل الرابطة ما بين وارجلان و السودان الغربي وكذا الأسواق التجارية.

أما بالنسبة للدوريات فقد ركزت على مجلة الأصالة التي كانت تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، خاصة العدد 41 سنة 1977م المتعلق بالملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، و مجلة الثقافة التي تصدر عن وزارة الثقافة خاصة الأعداد رقم 57 و 58 و 59 و 62 و 113، والمجلة الإفريقية (Revue Africaine).

خطة البحث :

وقد قسمت موضوع مذكرتي إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة و ملاحق و صور وخرائط وبيبلوغرافيا و فهارس .

عرفت في المقدمة بموضوع المذكرة والعوامل التي دفعتني إلى اختياره وإلى إطاره الزمني والمكاني والإشكالية التي طرحتها والمناهج المتبعة في البحث، وإلى المصادر والمراجع التي رجعت إليها في جمع المادة العلمية وإلى العقبات التي واجهتني أثناء إنجاز البحث.

أما الفصل الأول . حاضرة وارجلان من أصولها الأولى إلى الدخول العثماني . فقد عالجت في خمسة مباحث ، منطلقا من أصل التسمية التي وجدت فيها جدلا كبيرا وأخذت بأقدمها وارجلان وإلى إطارها الجغرافي من حيث كونها مدينة صحراوية مناخها حار صيفا وبارد شتاء ، و بها أشجار ذات أوراق إبرية ، وتتوفر بها المياه الجوفية للسقي والشرب ، وإلى عمقها التاريخي الذي يرجعه المؤرخون إلى ما قبل التاريخ ، و إلى تعميرها البشري الذي كان من طرف البربر والعرب و الزنوج وكما عرجت كذلك على مرحلة عزها في الفترة الإسلامية يوم قامت بها سلطنات محلية مستقلة ، وتصدرت الريادة في العلم و التجارة مع السودان الغربي من القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي إلى القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي ، ثم تطرقت في المبحث الأخير إلى الدخول العثماني إلى وارجلان على يد صالح رايس

سنة 960هـ . 1552م والحاقها بإيالة الجزائر وفرض عليها إتاوات سنوية .

أما الفصل الثاني : فقد خصصته لدراسة - القوافل التجارية ومسالكها الصحراوية من وارجلان إلى السودان الغربي - وقد تضمن أربعة مباحث ، تناولت فيها الجذور التاريخية لهذه الروابط التجارية التي يرجعها المؤرخون إلى ما قبل الإسلام ، وعلى مرحلة ازدهارها في الفترة الإسلامية من القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي إلى العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ، وعلى تحضيرات القافلة للرحلة من الناحية البشرية وعلى المشاكل التي تواجهها أثناء الرحلة و مواجهتها وخاصة منها الغارات

التي تتعرض لها من طرف قطاع الطرق ، وعلى المسالك الصحراوية المؤدية إلى السودان الغربي وعلى الخصوص طريق وارجلان غانة ، وارجلان أغاديس وارجلان تمبكتو التي استمرت في حركتها ونشاطها إلى القرن التاسع عشر ميلادي

أما الفصل الثالث . الأسواق والمعاملات التجارية بوارجلان و السودان الغربي . فقد تضمن أربعة مباحث ، تناولت فيها سوق وارجلان وأهميته التجارية في الصحراء الشمالية حيث كان قبلة للتجار الوافدين من المدن الداخلية و الساحلية ، وكما عرجت كذلك على الأسواق السودانية الكبرى مثل سوق أغاديس وجني وغانة و تمبكتو و غاو و إلى البضائع المتبادلة ما بين الضفتين منها التمر و الملح و المنسوجات و الأدوات الحديدية و التبغ من الجهة الشمالية والذهب والعبيد والجلود والفول السوداني و الشب والحنة والصمغ من الجهة الجنوبية ، وعن المعاملات بهذه الأسواق التي كانت تستعمل فيها في مجال القياسات الشبر و الذراع ، وفي المكايل المد و الصاع والمزود و الحمل ، وفي الأوزان الوقية و الدراهم و المثقال و الرطل ، أما بالنسبة للعملة النقدية فقد استعملت بأسواق السودان الغربي عملات عديدة منها الصلغ والنحاس والدينار و الدراهم و الدوخة .

أما الفصل الرابع والأخير . الاستعمار الفرنسي لوارجلان و أثره على العلاقات التجارية بالسودان الغربي - ، فقد تضمن أربعة مباحث بينت فيها كيف تم احتلال وارجلان والمراحل التي مر بها مركزا على مرحلتين : المرحلة غير المباشرة التي كانت تسير فيها من قبل القيادة المعينين من طرف فرنسا ، والمرحلة المباشرة التي فرض فيها الحكم العسكري ، و أصبحت تسير من طرف ضباط عسكريين ، كما تعرضت كذلك في هذا الفصل إلى المقاومة الشعبية التي انطلقت من وارجلان وقادها كل من الشريف محمد بن عبد الله ، ومحمد بن التومي المكنى ببوشوشة ، من سنة 1852 إلى غاية 1872م الباسلة التي أدت بفرنسا إلى إرسال الجنرال دو لاکروا (De Lacroix) لإخمادها ، وكما نشطت في هذه الفترة حركة التبشير والرحلات الاستكشافية والعلمية انطلاقا من وارجلان ، فكانت رحلة لارجو ، وبول سولاوي

و فلاتيرس الذين استغلوا طرق القوافل الصحراوية في هذه المغامرات ، وبينت في نهاية الفصل كيف أن الأحتلال الفرنسي أثار سلبا على حركة القوافل التجارية، من خلال إسقاطه للنظام السياسي المحلي الذي كان يشجع هذه التجارة ، وفرضه لقيود على القوافل ، ووضع رقابة على البضائع الواردة ، وإنشاء حاميات من الجيش في الحواضر الصحراوية التي احتلها، ونشره لجيش صحراوي فرنسي جديد يمتطي أفراده الجمال السريعة و يلاحق القوافل في حلها و ترحالها .

أما الخاتمة : فقد رصدت فيها مجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث مبرزاً أن هذه العلاقات التجارية بين الجهتين قديمة ، وظلت قائمة إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي غيرت فقط وسيلة نقلها من الجمل إلى الشاحنة و سيارات . أما الملاحق فقد قدمت فيها مجموعة من الصور ذات الصلة بالموضوع ، وخرائط لطرق القوافل العابرة للصحراء ، و قوانين استعمارية مثل القانون الخاص بالصحراء والمكون من عشرين فصلا والذي أصدره الملك الفرنسي نابليون سنة 1870م.

وكما ضبطت بيبلوغرافيا للمذكرة متكونة من مصادر و مراجع و دوريات التي تيسر لي الوصول إليها من مختلف مكاتب الوطن، ومكتبتي الآباء البيض في كل من وارجلان و غرداية الغنيتين بالمراجع ذات الصلة بالصحراء و السودان الغربي، ومن أهم هذه المصادر و المراجع التي استعنت بها أذكر: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، والدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب ، وعبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، ومسعود مزهودي الإباضية في المغرب الأوسط ، والهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، و أجريت مقابلات مع بعض العارفين بمسالك الصحراء و التجارة مع السودان .

وفي الأخير وضعت مجمل الفهارس المتعلقة بالبحث .و على الرغم من المجهود الكبير الذي بذلته في إنجاز هذا البحث ، لكنه ما زال في نظري مفتوحا للتوسع ، ويتجلى أكثر باكتشاف مصادر أخرى لم تكتشف بعد أو لم تصلها أيدينا لسبب من الأسباب .

الفصل الأول

الفصل الأول

وراجلان من أصولها الأولى إلى الدخول العثماني

. أصل تسمية وراجلان

. الإطار الجغرافي لوارجلان

. الجذور التاريخية لوارجلان

. وارجلان في الفترة الإسلامية

. الدخول العثماني لوارجلان ونتائجه

أصل تسمية وارجلان :

اختلفت المصادر والمراجع ، وكتابات الرحالة ، والآباء البيض ، والتقارير العسكرية والروايات الشفوية ، والأساطير الشعبية ، في أصل تسمية الحاضرة ونطقها و مدلولات الاسم اللغوية والاصطلاحية ، من المكتوب والمروي على هذا النحو : (وارجلان . وارجلن . وارجلة . واركلا . واركلان . واركلا . وركلة . وركلة . وارقلا . وارقلة . وارقلة . وارقلان . وارقن . وارقة.....)

جميع هذه الأسماء المتنوعة والمختلفة في شكل الكتابة و النطق تدل على مكان واحد. إن المادة العلمية المتيسرة حولها في فترات ما قبل التاريخ ، وفجر التاريخ والتاريخ القديم وعلى الخصوص الفترة الممتدة ما بين الألف الثانية قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي ، لم تذكر اسمها بأي شكل من الأشكال وكل ما ذكر عنها هو مجرد إشارات وتلميحات إلى الشعوب التي قطنت جنوب غرب فزان و الزاب و مسعد⁽¹⁾ من: الغرمنتين ، والجيتوليين ، و الإثيوبيين ، والبربر الذين كانوا يتجولون في هذه الجهة⁽²⁾ وعن المبادلات التجارية التي كانت بين هؤلاء والشمال الخاضع للسيطرة الأجنبية. دون أن يتم ربطهم برقعة جغرافية لها اسم معين.

وقد أرجعها الحسن بن محمد الوزان الذي عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي إلى العهد النوميدي ، و سماها وركلة حيث قال : (وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا) . و لم يقدم أي تفسير لأصل التسمية، بل سماها بالتسمية التي كانت شائعة في زمانه⁽³⁾.

ولم تذكر في العهد الروماني والوندالي والبيزنطي بأي اسم بل كل ما وصلتنا من معلومات تعود إلى هذه الفترة هي مجرد إشارات إلى البربر الذين سكنوا هذه الجهة

(1)- محمد بشير(شنيطي) « التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري » ، الأصاله ، ع 41 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، 1977 ، ص. 24 .

(2) *Le gouverneur général d'Alger: "Notes pour servir a l'histoire de Ouargla"* R.A . N .64 .1923.pp.381-382

(3) . الحسن ابن محمد الفارسي(الوزان) (ت 957 هـ . 1550 م) : *وصف إفريقيا* ، تر، محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي لبنان ، 1983م ، ص 136.

و علاقتهم المتوترة مع الشمال المحتل من طرف الرومان ، وكذا الشأن بالنسبة للمصادر والمراجع التي أرخت للفتوحات الإسلامية⁽¹⁾ لبلاد المغرب لم تذكر اسمها صراحة دون كناية إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة القرن الثامن الميلادي، يوم بلغت الدولة الرستمية ذروتها ، و قد ورد ذكرها في العديد من المصادر التي أرخت لسقوط الدولة الرستمية ، وهجرة الناجين إلى وارجلان ، ومن ضمنها كتاب سير الأئمة لأبي زكرياء يحي⁽²⁾ الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وكتب عن الهجرة الرستمية إلى وارجلان، ولم يذكرها في فصول هذا الكتاب إلا باسم وارجلان، لكنه لم يقدم لا ترجمة ولا تفسيراً لمدلولات الاسم .

وكما وردت في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب للمؤرخ المغربي عبد الله البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، باسم وارجلان حيث قال: ⁽³⁾ .فانك تسير في الصحراء خمسين يوماً إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبربر...وبين وارجلان و قلعة أبي الطويل مسيرة ثلاثة عشر يوماً..⁽³⁾

فالبكري لم يعط توضيحاً لمدلولات الاسم ، ولكنه قدم وصفاً دقيقاً للمدينة حيث قال:إنها تتكون من سبعة حصون وهي بلدة يسكنها البربر و تقع في الصحراء. أما الجغرافي الشريف الإدريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، فقد ذكرها في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، باسم وارقلان بالقاف لا بالجيم، ويفهم من كلامه أنها بلاد متطورة اقتصادياً لكون تجارها يشترون أغلب التبر الذي يباع في بلاد السودان الغربي ويضربونه في بلادهم عملة تسمى الدينار⁽⁴⁾.

(1). موسى (لقبال) : المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1981م ، ص 29 .

(2). أبو زكرياء (يحيى بن بكر): كتاب سير الأئمة وإخبارهم ، تح إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1979م ، ج 1، ص 124.

(3). البكري (أبو عبد الله): المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة مصر، د.ت. ص . 182 .

(4). الإدريسي (الشريف): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د.ت. ، مج 1 ج 2، ص ص 24. 25 .

أما ياقوت الحموي فقال عنها: (1) ورجلان، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم و آخره نون، هي كرة بين افريقية و بلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل و الخيرات يسكنها قوم من البربر) فياقوت الحموي قد دقق في نطق اسمها، وحدد موقعها الجغرافي، وتكلم عن الجنس البشري الذي سكنها، والقوة الاقتصادية التي كانت عليها.

أما أبو العباس احمد الدرجيني في كتابه الطبقات فلا يذكرها إلا باسم ورجلان ، إذ يقول عن تحركات القوافل: (الذاهبة إلى ورجلان أو القادمة من ورجلان (2) .)

وكما ذكرها أبو سعيد المغربي في كتابه الجغرافيا باسم وركلان حيث قال: (تسمى وركلان وهي بلاد نخيل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وافريقية، والسفر منها إلى بلاد السودان كثير (3)). ذكر الاسم دون تعليل لا من حيث تركيبته اللفظية ولا من حيث جذوره التاريخية، و بالمقابل أعطى وصفا دقيقا للحاضرة وعن حركتها التجارية مع بلاد السودان.

أما في مطلع القرن التاسع الهجري مطلع الخامس عشر الميلادي فقد تعرض لها بنوع من التفصيل والتعليل عبد الرحمن بن خلدون حيث ذكرها باسم واركلا، بكاف مكسورة ودون نون أو تاء مربوطة في الأخير ، وذكر أن الذي أسسها هم قبائل بني واركلا الزناتيين، القادمين من منطقة الزاب، حيث قال: (بنو واركلا هؤلاء أحد بطون زناتة... كانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا مصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة منها ميامنة إلى الغرب، بنو قصورا متقاربة الخطة، ثم إستبحر عمرانها. (4).

أما الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان فقد ذكرها باسم وركلة بفتح الواو

(1) . الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي): معجم البلدان ، دار الصادر بيروت لبنان ، 1977 ، ج 6 ، ص . 1795 .

(2). الدرجيني (أبو احمد بن سعيد) : كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، تح إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث قسنطينة ، د . ت ، ج 2 ، ص . 62 .

(3). ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) : كتاب الجغرافيا ، تح إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 م ، ص . 126 .

(4) - عبد الرحمن (ابن خلدون) : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مج 7 ، القسم 13 ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1983 ، ص ص . 106 - 107 .

وسكون الرء و تنقيط الكاف بثلاث نقاط إلى الأعلى مع تسكينه و فتح اللام، وأعطى وصفا ممتازا للحاضرة من حيث البناء المستعمل فيه مادة الآجر الني، ومن حيث الفلاحة و النخيل ، وكما وصفها بالاتساع و الثراء، ويحيط بها عدد كبير من القصور وقد يكون يعني بها: (قصر عجاجه، والشط، و الرويسات، ونقوسه، وسيدي خويلد) بالإضافة إلى القرى النائبة، حيث قال: (وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر الني ودور جميلة وحولها نخل كثير ويوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى)⁽¹⁾

وخلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، مر بها الرحالة المغربي العياشي⁽²⁾ وهو ذاهب إلى البقاع المقدسة 1059 هـ 1649، وذكرها باسم واركلام مع وضع ثلاث نقاط أسفل الكاف دون أن يقدم توضيحا أكثر عن هذا المصطلح ولا عن تاريخ تأسيس الحاضرة، وكل ما قاله عنها: إنها عظيمة ولها سبعة أبواب، وهي وسط غابة من النخيل ويحيط بها خندق مملوء بالماء، في حين توسع كثيرا في الجانب الاجتماعي والثقافي، حيث تكلم عن المأكولات ومستوى التعليم، وعن الخوف من ملابس الموتى.

كما ورد ذكرها في كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصرى، باسم واركلان حيث قال : عن عرب بني معقل (.... ملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناة بالفقر مثل قصور السوس غربا ، ثم توات ، ثم بودة ، ثم تمنطيت ، ثم واركلان ، ثم تاسبيت ، ثم تكرارين شرقا)⁽³⁾ .

أما المصادر والمراجع المعاصرة، فقد ذكرت اسمها في صورتين فقط: (وارجلان وورقلة) فالشيخ إبراهيم أعزام ذكرها في مخطوطه (غصن البان في تاريخ وارجلان) باسم

(1)- الحسن بن محمد (الوزان) : المصدر السابق ، ص ص . 136 - 137 .

(2)- العياشي (أبو السالم عبد الله): رحلة العياشي (ماء الموائد) ، المطبعة الحجرية بفاس ، المغرب ، 1898م ، ص . 45 .

(3)- الناصري (أبو العباس احمد خالد): كتاب الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء المغرب، 1954م ، ج 2، ص. 159 .

وارجلان حيث قال: (إن لها أسماء عديدة ولكن الأصح هو اسم وارجلان) . ومن جملة ما قال: (كانت وارجلان قديما عامرة بالبربر وبفاتح القرن الثاني وهي عامرة بالإباضية من البربر وغيرهم)⁽¹⁾، ويفهم من كلامه أنها كانت موجودة قبل القرن الثاني للهجرة، وتحمل نفس الاسم وعامرة بالسكان، ولكن بعد هذا التاريخ دخلتها أجناس غير البربر .

وقد تعرض لها الشيخ احمد توفيق المدني ، حيث قال : (ورقلة اسمها الأصلي بني وارجلان قصر من أبدع القصور البربرية في الجنوب الجزائري .. وكانت وارجلان محط رجال الإباضية عندما تشنت الدولة الرستمية في القرن العاشر الميلادي)⁽²⁾ .

ويذهب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي إلى أن وارجلان كانت موجودة قبل القرن الثالث الهجري وتسمى بني وارجلان ، وإنما المؤسس الجديد هو سدراته ، عند تعرضه لهجرة الإباضية من تيهرت إلى وارجلان حيث قال : (دخلوا مدينة بني وارجلان، وهناك على بعد أربعة كيلومتر جنوبا ، اخذوا في تأسيس عاصمتهم الجميلة سدراتة المعروفة عند البربر باسدراتن ذات المدنية العظيمة)⁽³⁾)

أما الرحالة والمغامرون والمستكشفون⁽⁴⁾ والأثريون الأوروبيون الذين حلوا بوارجلان في القرن التاسع عشر في مهمات مختلفة ، فقد ذكروها في مصنفاتهم من كتب وتقارير باسم ورقلة (Ouargla) دون أن يقدموا توضيحا حول أصل الكلمة، وكل ما قالوا: (ورقلة

(1). الشيخ إبراهيم (أعزام) : غصن البان في تاريخ وارجلان ، مخطوط عند عائلة بومعقل بوارجلان ، ص 29

(2). احمد توفيق (المدني) : كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984م ، ص. 244 .

(3). عبد الرحمن (الجيلالي) : تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة بيروت لبنان ، 1980 م ، ج 1، ص 176 .

(4). المستكشفون و الأثريون الذين زاروا وارجلان في القرن التاسع عشر نذكر: باربروجير Berbrugger سنة 1857 ، و دوفيريي Henri Duveyrier من سنة 1859 إلى 1861 م، و فيل L. Ville سنة 1861 و فلاتيرس Flatters سنة 1881 ، وتاري Tarry سنة 1881 ، و بلانشي P. Blanchet سنة 1898 وشارل فيرو C. Ferraud من 1871 إلى 1872 ، و لارجو Largeau من 1872 إلى 1879 ، و بول سولاوي P/Solleillet سنة 1873 ، و هوماس مع ديران Hemas et Durand سنة 1875 و ويسجارير مع رولاند Weisgerber et Rolland من 1879 إلى 1883 (أنظر المجلة الافريقية R.A)

مدينة بربرية صحراوية قديمة وضاربة في القدم سكنتها شعوب متعددة الأعراق).

وقد أعطى جون ليتيليو⁽¹⁾ في كتاباته هامشا كبيرا لأصل كلمة وارجلان، حيث يرى أن نطقها يختلف حتى ما بين مواطني المدينة و جيرانهم. فالوارجلانيون سكان القصر العتيق يسمونها وارقرن (Wargren)، أما النقوسيون وهم سكان قصر نقوسة الذي يقع الى الشمال من وارجلان، يطلقون عليها اسم وارقرة (Wargra) أما الميزابيون فيسمونها وارجلن (Wardjlan)، أما الطوارق فيسمونها إوارقلن (Iwarglen) بينما البدو الرحل من العرب القاطنين على أطراف المدينة فيطلقون عليها اسم ورقلة (Ouargla)، ورسخت هذه الأخيرة وأصبحت متداولة منذ أن احتلت فرنسا وارجلان في مطلع العقد السادس من القرن التاسع عشر الميلادي. أما عن تفسير الاسم فهو يرى أن كلمة ورقلة مركبة من كلمتين، الجزء الأول وار (war) وتعني أولاد أو أبناء بالورقلية الامازيغية المحلية، وكذلك بالطارقية. أما الجزء الثاني من الكلمة، قلن أو إقلن (glan) أو (Iglan) وتعني الأسود باللغة الورقلية القديمة وعليه فقد سميت الحاضرة في نظره على أساس لون بشرة أهلها، أي أصحاب أو بنو البشرة السوداء⁽²⁾.

بينما يرى الرحالة الفرنسي لارجو (Largeau)⁽³⁾ أن أصل تسمية الحاضرة نسبة إلى امرأة تسمى ورقلة سكنت هذه الجهة، وغرست أشجار النخيل، وبنيت كوخا وما لبث أن التفت حولها الناس، و بنوا بيوتا بجوارها حتى تكونت المدينة التي حملت اسمها. في حين الأساطير^(*) الشعبية ترجع التسمية إلى أسد كان يهيمن على المدينة تم التخلص

(1) . Lethielleux (Jean) : Ouargla cite saharienne des origines au début du xxe siècle Paris .1983 .p.19.

(2) . Ibid . p . 20.

(3) Largeau (V) : Le pays de rirha ouargla .paris . 1879. pp .156 . 157.

(*) . تروي الأسطورة الشعبية أن أسدا كان جاثما أمام المورد المائي الوحيد بالحاضرة، وكلما اقترب منه الناس للسقي إلا و التهم ادهم، فاتفق الجميع على محاربهه وفعلوا تمكنوا من القضاء عليه، ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة محررة من خطر الأسد، وقيل باللغة المحلية الامازيغية . الوير . انجلاء . والوير بالامازيغية معناه الأسد، و انجلاء باللغة العربية معناه زال أو غاب أو ذهب، ومنذ ذلك الحين أصبحت تسمى الوير نجلاء. ومع مرور الزمن نطقت وارجلان، ويفهم من هذه الأسطورة أن هذا الاسم أطلق عليها إلا بعد انتشار الإسلام واللغة العربية لكونهم استعملوا كلمة انجلاء وهي كلمة عربية فحة

منه بتآزر الجميع، وانتشر بين الناس خبر قتله فقبل باللغة الامازيغية (الوير انجلاء).
وعليه فان المتتبع لأصل تسمية وارجلان، يجد أنها قديما لم تذكر صراحة لدى المؤرخين
الذين أرخوا للفترة الممتدة من الوجود الفينيقي بشمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي لبلاد
المغرب، بل كل ما ذكر هو مجرد إشارات للشعوب التي سكنت جنوب الأطلس
الصحراوي وعلى الخصوص البرابرة منهم.

وابتداء من القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد ، ذكرت وارجلان كونها مركزا من مراكز
الإباضية⁽¹⁾ وهي تمثل الحدود الجنوبية للدولة الرستمية (160 هـ 776م إلى 296 هـ 908
م⁽²⁾) ، ومع مطلع القرن الثالث للهجرة نهاية القرن التاسع للميلاد ذكرت كثيرا باسم
وارجلان في كتب السير والتراجم وكتب الفقه الإباضي ، ولم يستثن مصدر من مصادر
الإباضية من ذكرها باسم وارجلان من القرن الثالث الهجري العاشر الميلادي إلى السابع
هجري الثالث عشر الميلادي ، والجدير بالملاحظة أن هذه المصادر⁽³⁾ لم تخض في
مجال مدلولات التسمية،أهي نسبة إلى أرض؟ أو إلى شعب؟ أو إلى قبيلة؟ أو مركبة؟
أما المصادر غير الإباضية⁽⁴⁾ من القرن السادس الهجري إلى الحادي عشر ، من الثاني
عشر إلى السابع عشر الميلادي، فقد ذكروها باسم واركلة ، أو وارقلان ، أو واركلة ولم
تقدم هي كذلك تفسيراً للمصطلح ما عدا عبد الرحمن بن خلدون الذي أرجع تسمية
الحاضرة نسبة إلى قبائل بني واركلا الزناتيين الوافدون على المنطقة من الزاب .

-
- (1) - مسعود (مزهودي) : (تأسيس وارجلان و سدراتة من خلال الروايات التاريخية) ، مدونة أشغال الأيام
الدراسية 1 حول سدراتة، ورقلة من 23 إلى 26 أبريل 1997م، منشورات مديرية الثقافة ورقلة، 1997 ص.11.
- (2). محمد شفيق(غربال): الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، لبنان، 1965 ص.767.
- (3). من مصادر هذه الفترة التي اطلعت عليها أو على مضمونها نذكر : أبو زكرياء يحيى (ت 471 هـ . 1078) :
كتاب سير الأئمة و أخبارهم ، و أبو العباس احمد الدرجيني(ت 670 هـ . 1271م) : طبقات المشايخ ، و أبو
العباس احمد الشماخي (ت 928 هـ . 1521 م) : كتاب سير المشايخ .
- (4). ومن هذه المصادر نذكر: الشريف الإدريسي (ت 548 هـ . 1154 م) : نزهة المشتاق في اختراق الافاق و
ابن خلدون (ت 809 هـ . 1406 م) : كتاب العبر ، و الحسن بن الوزان (ت 957 هـ . 1550م) : وصف إفريقيا
، وأبو سالم العياشي (ت 1090 هـ . 1679 م) : رحلة العياشي

أما المراجع الفرنسية التي كتبت في القرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين، فلم تذكرها إلا باسم ورقلة⁽¹⁾ Ouargla .

وعليه كما يقول الشيخ إبراهيم أعزام وعثمان الكعاك وعبد الرحمن الجيلالي⁽²⁾ (إن القاعدة في كتابة هذه الألفاظ ، ترجع إلى قولهم كل ما يجبل يكلل ويقلقل)،مثل ما ينطق المصريون الجيم قافا واليمنيون القاف قافا،والجيجليون في الجزائر القاف كافا ومن هنا نلاحظ أن التسميات تختلف في نطقها في المجتمعات العربية من مجتمع إلى آخر،ومن قبيلة إلى أخرى ، وعليه فكلمة واركلان أو وارقلان أو وارجلان فهي سيان الاختلاف في النطق فقط .

ونظرا لكوني لم أجد مصادر قبل القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد كتبتها بالقاف أو بالكاف ، فإني أرجح أقدم التسميات التي أطلقت على الحاضرة و وصلتنا مدونة في المصادر وهي وارجلان و سأعممها في كامل فصول المذكرة بهذه التسمية.

الإطار الجغرافي لوارجلان :

تحتل وارجلان موقعا جغرافيا إستراتيجيا هاما، كونها تقع في مفترق الطرق في شمال الصحراء وبوابة لها ، و محطة للقوافل التجارية وممر لركب الحجيج القادم من المغرب الأقصى⁽³⁾ وبلاد شنقيط والساقية الحمراء و وادي الذهب المتجه إلى البقاع المقدسة و ملجأ للزهاد وللفارين من الاضطهاد عبر العصور .

الموقع الفلكي: تقع وارجلان فلكيا بين خطي عرض 31، 55 و 32 ، 00 شمال خط الاستواء ، وخطي 05 ، 15 و 05 ، 25 ، 05 طولاً شرق خط غريندش وعليه فهي تقع في منطقة صحراوية جافة، ترتفع عن سطح البحر في جهتها الشمالية ب 103 مترا

(1) . Delheure(J) : Vivre et mourir a ouarla . paris . 1988. p 11.

(2) . عبد الرحمن (الجيلالي) : المرجع السابق ، ص . 164 .

(3)- مولاي (بلحميسي) "مدينة ورقلة في رحلة العياشي" ، الأصالة ع41 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر 1977 م ، ص.60 .

وفي جهتها الجنوبية ب 212 مترا في قارة كريمة^(*) و تصل أقصاها عند المسطح الكبير بيا منديل إلى 220 مترا بكهف السلطان ⁽¹⁾ .

الموقع الجغرافي⁽²⁾: تقع وارجلان إقليميا في الجنوب الشرقي الجزائري ، وفي شمال الصحراء، و تبعد عن العاصمة الجزائر بمسافة (800 كلم) عن طريق البر، و (ب 580 كلم)⁽³⁾ عن طريق الجو، تحدها شرقا منطقة وادي ريغ، وغربا منطقة وادي ميزاب، وفي الجنوب الغربي حاضرة المنيعه، وفي الجنوب الشرقي العرق الشرقي الكبير، وفي الشمال حاضرة الحجيرة ، وهذا الموقع المتميز جعلها تنبوا مكانة هامة عبر محطاتها التاريخية، وفي علاقاتها مع محيطها. وحول المسافات الفاصلة ما بين وارجلان وعدد من الحواضر (أنظر الخريطة رقم (1) بالملاحق ص. 161 والجدول رقم (1) ص 171)

التضاريس

يعود التكوين الجيولوجي للمنطقة إلى الزمن الاركي ⁽⁴⁾ الذي سبق الحياة الحيوانية عندما كانت القارات ملتحمة ، وفي الزمن الجيولوجي الثاني عندما حدث ما يعرف بزحزحة القارات، ظهرت الصخور الجيرية والرملية التي تمتد من شمال شرق الصحراء إلى أقصى غربها، وعليه خلال الفترة الممتدة من الزمن الجيولوجي الثاني إلى الزمن الرابع تكونت معظم تضاريس المنطقة و هي :

الهضاب: هي المرتفعات التي تعلو سطح الأرض المجاورة لها، و تسمى محليا

(*) . **قارة كريمة** : يقال قارة في منطقة وارجلان على كل مكان مرتفع من الأرض أكان هضبة أو جبل ، وقارة كريمة إحدى الهضاب العالية والتي يصل ارتفاعها إلى 212 متر و تقع إلى الجنوب الغربي من الحاضرة ، وتبعد عنها بحوالي 15 كلم ، وتقول الروايات الشفوية أن امرأة تسمى كريمة سكنتها في أول الأمر وبالتالي حملت اسمها ، وظل متداولاً إلى اليوم .

(1)- Madeleine(R.B) : Le pays de ouargla (sahara algerien) . paris 1975 pp. 1-2-

(2) . 3. بشير (مقبيس): مدينة وهران - دراسة جغرافية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983، ص. 31 .

(3) . Madeleine(Rouvillois Brigol) : op. cit .p. 2

(4) عبد القادر علي (حلبي) : جغرافية الجزائر (طبيعية - بشرية اقتصادية) ، المطبعة العربية الجزائرية 1968، ط 1، ص. 11

بالقارة (GARA) ذات التكوين القديم ، تشكلت في الجهة بفعل عوامل التعرية التي لعبت فيها فيضانات الوديان و الرياح دورا كبيرا ، وعلى الخصوص وادي مائة القادم من هضبة تادمايت بالجنوب، فتكونت شعاب وهضاب بامنديل، وقارة كريمة التي يصل ارتفاعها إلى 212 مترا فوق سطح البحر، وهضبة إلى الغرب قرب كهف السلطان يصل ارتفاعها أكثر من 220 مترا، و جبل عباد إلى الجنوب من الحاضرة ، و قارة أم الأرناب بارتفاع 200 مترا . والبكرات وقارة الشوف و مرتفعات خشم الريح إلى الشرق ، وبقية القارات المنتشرة ما بين وارجلان و حاسي مسعود ، و وارجلان و حاضرة الحجيرة إلى الشمال، و محاطة من الناحية الغربية بهضبة كبيرة ومسطحة (haute falaise) تمتد إلى وادي ميزاب ومثليي بارتفاع يصل إلى 160 مترا فوق سطح البحر⁽¹⁾ .

العرق (ERG): يرجع العرق من حيث النشأة إلى الزمن الجيولوجي الرابع ويتمثل في كتبان رملية تشبه أمواج البحر من حيث منظرها العام، جمعتها الرياح من الحبيبات الصغيرة المتفتتة من الصخور و الهضاب المنتشرة فوق الرق والحماة ، و حملتها من مكان إلى آخر مكونة بها أشكالا هندسية مختلفة الأحجام ومن أشهر العروق الموجودة بالجهة نذكر (العرق الطويل . عرق بوصلاح . عرق طوارق . عرق بوخزنة⁽²⁾) ، و معظم العروق بالمنطقة توجد بالجهة الشرقية .

الرق : يتكون من حبات صخرية جرفتها الوديان وحطت بها على ارض مستوية وشكلت بها نوعا من التضاريس يعرف بالرق، واكبر رق في الجهة يقع في الناحية الشمالية الشرقية ما بين سيدي خويلد و تقرت.

السبخة Sebkhass⁽³⁾ : توجد بالأماكن منخفضة جدا بالجهة، تشكلت نتيجة صعود الماء في فصل الشتاء وجفافه في فصل الصيف، و بالتالي تكونت طبقة مجوفة

(1)_ Madeleine (Rouvillois – Brigol) : op.cit. p3.

(2) . عبد القادر علي (حلبي) : المرجع السابق، ص.13 .

(3) . وزارة الموارد المائية :وكالة حوض الهيدروغرافي بور قلة ، منشورات الوكالة سنة، 2008، ص.7.

و معرجة يابسة و شديدة الملوحة، ولا تصلح للزراعات الموسمية، ولا تنبت فيها إلا الأشجار التي تتحمل الملوحة العالية مثل، الأثل والنخيل، و من أبرزها السبخة التي تحيط بالحاضرة من الجهة الغربية إلى غاية بامنديل، وسبخة الشط، وسبخة أم الأرناب، وسبخة المرقب، و سبخة سفيون .

الحمادة : وهي أرض تغطيها صخور جيرية وحجارة على شكل صفائح توجد في الجهة الغربية من الحاضرة على المسطح الكبير، و تبدأ من بامنديل إلى أن تصل إلى منطقتي متليلي و وادي ميزاب⁽¹⁾ .

المناخ :

كما يتضح من موقعها الفلكي، فهي تقع في المنطقة الصحراوية ذات الضغط المرتفع، ومعرضة للرياح التجارية⁽²⁾ التي تزداد حرارتها كلما اقتربت من سطح الأرض ، و باردة شتاء ، و شديدة الحرارة صيفا، مع فروق كبيرة بين الليل والنهار وما بين شهر و آخر وفصل و آخر، ففي شهري جويلية و أوت تصل درجة الحرارة إلى 49 درجة في منتصف النهار تحت الظل في الحالات العادية ،وتصل إلى 50 و 52 تحت الشمس، وتنخفض إلى 35 درجة ليلا ، و تنزل في فصل الشتاء خلال شهري ديسمبر و جانفي إلى 4 درجات ليلا و 18 درجة نهارا⁽³⁾

الرياح : تهب على الحاضرة أنواع كثيرة من الرياح منها الباردة والحارة والمعتدلة، ومن أبرزها الرياح الباردة ، والتي تهب في الفترة ما بين شهر فيفري ومايو، وتكون قوية جدا تزيد سرعتها في بعض الأحيان عن مائة كيلومتر في الساعة ، وتتحول إلى عاصفة محملة بحبات الرمل التي تنشئ بدورها كثبانا رملية مختلفة الأشكال على أطراف المدينة ، وهي محببة لدى الفلاحين لكونها تقوم بعملية تأبير النخيل ، أما في فصل الصيف فتهب بين الحين و الآخر رياح ليست بقوية

(1) . Lethielleux (Jean) . : op . cit . p . 3 .

(2) . عبد القادر علي (حلومي) : المرجع السابق، ص.86.

(3). الديوان الوطني للأرصاد الجوي : المديرية الجهوية بورقلة ، منشورات ، 2008م.

السرعة و لكنها حارة⁽¹⁾، أما عن اتجاهها فهي تهب بصورة عامة مع وجود بعض الاستثناءات من شمال الشرقي إلى الجنوب في فصل الخريف و الشتاء وجزء من الربيع وتسمى البحري، ومن الجنوب إلى الشمال في أواخر الربيع و فصل الصيف وتعرف محليا باسم الشهيلي⁽²⁾ .

الأمطار : نظرا لوقوعها في المنطقة الصحراوية ، وتهب عليها الرياح الجافة التي لا تساعد على نزول الأمطار و أمطارها نادرة ومنتذبذبة ولا يصلها من المطر إلا ما بقي عالقا في الرياح القادمة من الشمال ،وقد تمر سنوات دون مطر وقد تأتي أمطار فجائية طوفانية تجعل من المنطقة شبه منكوبة ، وبصورة عامة فالمعدل السنوي للتساقط لا يتجاوز 50 ملم⁽³⁾ ، أما في سنوات الجفاف لا يتجاوز 20 ملم وفي السنوات الممطرة يصل إلى 200 ملم .

أما الرطوبة بالحاضرة فهي ضعيفة جدا، يقدر معدلها السنوي ب11، 44 %، حيث تنخفض في فصل الصيف إلى 97، 27 %، وترتفع في فصل الشتاء، وتبلغ ذروتها حيث تصل إلى 97، 62 في المائة⁽⁴⁾ (انظر الجدول رقم2 بالملاحق، ص.172.) .

الغطاء النباتي : بالحاضرة نباتات صحراوية كثيرة و متنوعة بعضها ظرفي يظهر و يختفي حسب نزول الأمطار و قدوم فصل الحر وهناك أشجار أخرى غير موسمية بعضها معمر، تكثر بها الأشواك وأوراقها أبرية مقاومة للجفاف و الحرارة و الرياح وهي: (الأثل⁽⁵⁾ (Tamarix articulata) . الطرفة (Tamarix gallica) . الرتم Ratama retam () . الحاد (Cornulaca monacantha) . الرمث (Haloxylon)

—

- (1). المرجع نفسه .
- (2). عبد القادر علي (حليمي) :المرجع السابق، ص. 88.
- (3). الديوان الوطني للأرصاد الجوي: المرجع السابق.
- (4). وزارة الموارد المائية:المرجع السابق، ص.9.
- (5). اعتمادا على مقابلة مع الشيخ الحاج بالمير عمره 65 سنة ،شعبي من عين البيضاء بوارجلان ، يوم 09 / 01/05 .زودني خلالها بأسماء الأشجار التي تنبت على ضفاف ورقلة.

(scoparium) - الضمران (Traganum nudatum) . العلندة (Ephedra alata)
(Salsola tetragoma) . الدرين (Stipagrostis pungens) . السويدة (Sueda)
(fructicosa) - حنة الإبل (Oudneya Africana) . الزيتة (Limoniastrum)
(guyonianum) . البائل (Anabasis articulate) . العقة (Zygophyllum album) .
القزاح (Pituranthos chloranthus) . العرفج (Rhantherrium adpressum) . الشبرق
(Zilla macroptera) . المرخ (Genista saharae) . لرطة (Calligonum comosum)
- الطقطاق أو القضم (Randonia Africana) . المثنان (Thymelea)
(microphylla)⁽¹⁾ (أنظر صورة رقم(3)بالملاحق،ص.166)

المياه : تتوفر الحاضرة على مخزون كبير من المياه الجوفية، حتى وصلت إلى درجة التشبع، وأصبحت تطفو على وجه الأرض ، مكونة لبرك وشطوط ومرد ذلك أنها أسست في منخفض و مجرى لواد كبير يدعى وادي مائة (oued mya) ينبع من شمال هضبة تادمايت بالقرب من عين صالح جنوبا ، ويتجه ناحية الشمال الشرقي و ينتهي به المطاف إلى سبخة سفيون شمال شرق وارجلان و منها إلى شط ملغين ،وبعد هذا الوادي من الوديان النائمة ، بالإضافة إلى مياه وادي ميزاب الأتي إليها من الغرب و يصب في نفس السبخة والذي تصل مياهه إلى وارجلان

مرتين في القرن⁽²⁾، و وادي نساء القادم من الغرب ويصب في سبخة سفيون ، ويعتبر هذا الوادي من الوديان النشيطة بالمنطقة ، إذ تصل مياهه إلى أطراف الحاضرة في كثير من الأحيان مرتين في السنة في شهر فيفري ونوفمبر أما المياه التي تتزود بها وارجلان للسقي أو للشرب في الفترة المدروسة فمصدرها :

. **عين الصفا**⁽³⁾: كانت تزود من مجرى عين الصفاء الذي ينطلق من سدراتة إلى

(1) – Abdelmadjid (Chahma) : phytomasse et valeur nutritive des principales plantes vivaces du sahara septentrional Algerien , Dar elhouda Ain melila Algerie ,2008, pp.12-56.

(2)- Halassa (Younes) : La cartographies geotechnique de la région de Ouargla . Mémoire de fin d`étude pour l`obtention du diplôme d`ingénieur d`état Spécialité : Géologie. Université Kasdi merbah ouargla .2007 .p. 71

(3). الشيخ إبراهيم (أعزام) : المصدر السابق، ص ص . 13.14 .

وارجلان ، وهو ينبع من عين مائية واحدة ، و تجري مياهها في نفق طويل بني بحجارة صلبة مقاومة للماء ، ومغطى بالصخور على ارتفاع من الأرض يزيد عن المتر، و له فوهات عند كل تجمع سكاني لغرض الشرب و السقي وظلت هذه العين جارية إلى العهد الاستعماري .

- **طبقة فيرياتييك⁽¹⁾ (Phreatique)** : مياهها قريبة جدا من السطح ، عمق آبارها الارتوازية يتراوح ما بين سبعين⁽²⁾ وثمانين ذراعا^(*) مياهها صالحة للشرب والسقي تستخرج بالطرق التقليدية ولها عمال مختصون فيها، يعرفون باسم الغطاسين، وظلت هذه الآبار هي المورد الرئيسي للشرب ولسقي الغابات المحيطة بالمدينة إلى القرن العشرين للميلاد، وتذكر بعض المراجع⁽³⁾ أن عددها وصل إلى ألف وواحد وخمسين عينا

- **طبقة الالبان Albien** : هذه الطبقة عميقة جدا يتراوح عمقها ما بين ألف و ألف وخمسمائة متر ، بعد تفجيرها تتدفق دون مضخات و بكميات كبيرة جدا ، و بدرجة حرارة عالية جدا مياهها قديمة وغير متجددة .

الجنور التاريخية لوارجلان:

إن هذه المنطقة قديمة جدا، عرفت التواجد البشري منذ آلاف السنين، أي من العصر الحجري القديم (Le paléolithique ancien) المقدر عمره بأكثر من مائتي ألف سنة.

العصور الحجرية التي مرت بها وارجلان : لقد أسفر المسح الشامل الذي أجري على وارجلان في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي على اكتشاف عينات و لوقى و مستحاثات و غابات متحجرة ، تعود إلى العصر الحجري القديم على مسافة شعاعها مائة كيلومتر من كل الاتجاهات المحيطة بالحاضرة، و أبرز هذه العينات . ذات الوجهين . (Bifaces) التي وجدت بكميات كبيرة في منطقة عرق الطوارق الذي

(1) . وزارة الموارد المائية : المرجع السابق ، ص.11 .

(2) . Largeau (V) : op. cit. p. 105 .

(*) . الذراع :مقياس من مقاييس الطول التي كانت تستعمل قديما ، ويقاس بذراع الرجل، ويقدر طوله ب50 سم

(3) . Madeleine (Rouvillois – Brigol) : op . cit . p. 15 .

يقع على مسافة عشرين كيلو متر جنوب وارجلان ، ووزعت هذه العينات على متاحف عديدة منها متحف تونس و متحف باردو بالجزائر، ومتاحف ايطاليا و فرنسا⁽¹⁾ (انظر الصورة رقم (1) بالملاحق ، ص.164)

أما في العصر الحجري الأعلى (La epipaleolithique) والذي يقدر عمره بستة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد وجدت عينات كثيرة تعود إليه في المنطقة^(*) و المتمثلة في المكاشط والفؤوس الحجرية والرحى⁽²⁾ و الأنصال و الأزامل و المسننات والسهام المصنوعة من مادة السيلكس ذات اللون الأبيض و الشفاف⁽³⁾ وبيض النعام المثقوب⁽⁴⁾ من جهة واحدة و الصحون الحجرية، جمعت أكثرها من منطقتي ملالة و حاسي مويلح. أما فترة العصر الحجري الحديث (Néolithique) والذي يبدأ من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد عثر في الحاضرة على آثار تعود إلى هذه الفترة في كل من حاسي قنيفيدة وبامنديل و ملالة وحاسي مويلح و الحمراية و البكرات و حاسي المخادمة و قارة كريمة) انظر الجدول رقم(3) المواقع الاثرية، ص173) تتمثل في: سهام ، وقطع من الفخار وقطع صغيرة من بيض النعام مثقوبة في الوسط ،يعتقد أنها كانت تستعمل عقود للزينة⁽⁵⁾. (انظر الصورة رقم(2) بالملاحق ص.165.) .

ومن خلال ما عثر عليه علماء الآثار في الجهة من العصر الحجري القديم الأسفل إلى العصر الحجري الحديث، من مخلفات مادية تظهر عليها بصمات الإنسان ، والتي لا يمكن أن تكون من صنع الطبيعة، دلت على وجود الإنسان منذ آلاف السنين بحاضرة

(1) . Aumassip (G) . et. Hachi (S) : Le gisement acheuleen de l'erg touareg .

Aux environs de ouargla .Libyca . C.R.A.P.E. tome . xxll. 1984. p . 97.

(*) . وجدت في كل من . منطقة ملالة ، و حاسي مويلح ، و حاسي الحجر ، و الحمراية ، و البكرات وحاسي المخادمة . تقع هذه المواقع في محيط وارجلان على أبعاد لا تزيد عن 40 كلم في الاتجاهات الأربعة .

(2). Marmier. (F) et Trecolle : Etude de l'industrie du gisement d'hassi mouillah,

(Region de ouargla sahara algerien).Tome .xx.alger.1972.pp. 137-147.

(3) - Feraud (Charles) : Pointes de fleches en silex de Ouargla .R.A. N16 . 1872 p .138.

(4) ..إبراهيمي (ك): تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر ، تر، محمد البشير شنيتي و رشيد بورويبة الشركة

الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1982 م ، ص.91. 92.

(5). نفس المرجع :ص. 121 .

وارجلان، ومدى تأقلمه مع بيئته، و ذلك بصنعه ما يعوضه عن ضعفه من الحجارة المتوفرة في محيطه .

السكان القدامى لوارجلان: يرجع علماء الآثار أن التعمير البشري القديم للمناطق الصحراوية، يعود إلى الزمن الجيولوجي الأخير قبل ظهور أخدود البحر الأحمر ومضيق جبل طارق، حيث تمكن الإنسان حينذاك من التحرك بكل سهولة بين إفريقيا واسيا وأوروبا⁽¹⁾، ومكث كثيرا فيما يعرف حاليا بالصحراء بسبب ملاءمة المناخ ، في زمن كانت فيه أوروبا تمر بمرحلة الجليد ، وعلى الخصوص جنوب الأطلس الصحراوي ، ومن ضمنه منطقة وارجلان أين استقر طويلا، وابتكر أدوات حجرية استعملها في حياته اليومية بقيت شاهدة على أنه استوطن هذه الجهة ردحا من الزمن في صورته البدائية الأولى . أما الصورة الأكثر تطورا فهي التي ظهر بها في العصر الحجري الحديث، وامتدت إلى فجر التاريخ⁽²⁾.

ومع مطلع التاريخ القديم سكن وارجلان شعب الغارمان⁽³⁾ الذي سكن جل الصحراء وعاش حياة الترحال من مكان إلى آخر واستعمل العربات المجرورة بالخيل ، كما سكنتها أجناس من أصول قفصيه وأخرى من أصول إثيوبية ، وسكنتها كذلك قبائل الجيتول و الأمازيغ الأوائل الذين كانوا يجوبون المنطقة ، ويصلون حتى إلى الهضاب العليا لغرض رعي مواشيهم شمالا. وما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الشعوب الذين مروا بالجهة في القديم ، لم يستقروا في مكان معين حيث أن الصحراء كلها سميت باسمهم فيقال عنها بلاد الجيتول ، ولم يؤسسوا حاضرة حملت اسمهم، وأهم ما ميزهم هو إقامة علاقات مصلحيه مع الكيانات السياسية المتزامنة مع وجودهم في شمال القارة من قرطاجيين و نوميديين و رومان⁽⁴⁾.

(1). محمد الطاهر (العدواني): الجزائر منذ نشأة الحضارة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص. 117.

(2). نفس المرجع ، ص . 124 .

(3)- مولاي (بلحميسي) : «ورقلة من خلال النصوص الأجنبية»، الأصالة ، ع 41 ، منشورات وزارة التعليم

الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر 1977م ، ص. 207

(4). محمد بشير (شنيطي) : المرجع السابق ، ص. 23.

كما ذكرت كتب التاريخ المتخصصة في القديم ، أن الحروب كانت سجالاتا مابين الغزاة الرومان⁽¹⁾ والأهالي المتشبهين بأرضهم الخصبة التي عملت روما على طردهم منها بالقوة و تعويضهم بأجناس أخرى أوروبية أي طبقت سياسة الاستيطان، فلجأ السكان الأصليون إلى الجبال والصحاري ، واستقروا بها، مع شن بين الحين والآخر غارات على المحتل الروماني. و هذا الأسلوب القهري المفروض، جعل مناطق كثيرة من الصحراء يعمرها البربر ومن بينهم قبائل بني وركلا الزناتيين القادمين من منطقة الزاب بكل ثقلهم ، واستقروا استقرارا نهائيا وادخلوا معهم الجمل⁽²⁾ والمواشي وشيدوا الدور والقصور، وفجروا العيون وزرعوا أشجار النخيل وحملت هذه القصور اسمهم بعد أن التحمت مع بعضها ، وكونت حاضرة و بقيت سلالتهم موجودة إلى يومنا هذا

دخول الإسلام إلى وارجلان :

إن المصادر و المراجع ، المتخصصة في تاريخ الفتوحات الإسلامية لبلاد شمال إفريقيا لم تشر إلى حاضرة وارجلان، رغم أن الفاتح الكبير عقبة ابن نافع في ولايته الأولى⁽¹⁾ في سنة 50 هـ . 670 م /55 هـ . 674 م، قد سلك طريق الصحراء لكنه لم يصل إلى هذه الجهة ، فمن الزاب غير مسار طريقه من جهة الجنوب صوب الشمال الغربي ، ثم بعد ذلك تفرغ لبناء القيروان⁽³⁾ ، وكذلك الشأن بالنسبة لخليفته أبي المهاجر دينار الذي تولى في الفترة من 55 هـ 674 م /62 هـ . 681 م وواصل عملية الفتح في أوساط البربر البرانس في الجهة الشمالية حتى تلمسان.

وفي عهد الخليفة يزيد بن معاوية، عين عقبة بن نافع لولاية ثانية على إفريقيا من 62 هـ 681 م / 64 هـ . 684 م، كرسها لمواصلة الفتوحات غربا حتى وصل إلى

(1). محمد البشير (شنياتي) : سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا 146 ق.م - 40 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م، ص.136.

(2) عبد الله (العروي) : مجلد تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان 1996 م، ط 5، ص ص 109 . 112 .

(3). رشيد (بورويبة) وآخرون: التاريخ العهد الإسلامي ، الشركة الوطنية للكتاب، 1984 ، ص.18

المحيط الأطلسي⁽¹⁾، ومن ناحية السوس بجنوب المغرب الأقصى ومنه قفل راجعا ناحية الشرق متوجها إلى القيروان ، متخذا طريق الصحراء إلى الزاب ، ولكن غاب ذكر مروره على وارجلان، وفي الطريق استشهد على يد كسيه في منطقة تاهودة⁽²⁾ بضواحي بسكرة وكذلك الشأن بالنسبة للواليين اللذين جاء من بعده زهير بن قيس البلوى و حسان بن النعمان اللذين اهتموا بإعادة الاستقرار ومحاربة الروم.

وعليه فإن دخول الإسلام إلى وارجلان يبدو لي أنه قد تم بإحدى الفرضيات الآتية . يكون قد تم على يد الصحابي عقبة بن نافع، عندما قفل راجعا من المغرب الأقصى سنة 64 هـ 684 م أو على يد أصحابه اللذين سبقوه في العودة إلى القيروان لكون وارجلان تقع على خط العبور الرابط ما بين جنوب المغرب و وارجلان و بسكرة و منها إلى المشرق، وقد سلكت فيما بعد هذا المسار القوافل المغربية المتوجهة إلى البقاع المقدسة.

. إن الإسلام لم يدخل بواسطة حملة و إنما تم بصورة تلقائية عن طريق الدعاة والتجار و الاحتكاك بالحواضر المجاورة، وعلى الخصوص منطقة الزيبان التي لا تبعد عن الحاضرة إلا بمسيرة ثمانية أيام، مع الإشارة أن وارجلان محطة هامة من محطات القوافل المتوجهة إلى السودان الغربي، وسوق كبيرة يقصدها التجار من كل حدب وصوب. وإذا صنفنا سكان الجهة مع البربر البتر لأنهم يمتازون بالترحال عكس برابرة الشمال البرانس المستقرين، فإن هذا الصنف من البربر الزناتيين البتر، تقول عنهم كتب التاريخ⁽³⁾ : إنهم كانوا أكثر إقبالا على الإسلام و اعتنقوه عن طواعية.

إن هذه الجهة في نهاية القرن السابع الميلادي ، كانت تتكون من مجموعة قرى متناثرة، ذكرها بعض المؤرخين أنها وصلت إلى ثلاثمائة و خمس و عشرين قرية⁽⁴⁾

(1). موسى (لقبال) : المرجع السابق ، ص ص. 29 - 30 .

(2) - الشيخ (أبو عمران) وآخرون:معجم مشاهير المغاربة ،المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995 ، ص.366

(3). رشيد (بورويبة) : المرجع السابق ، ص.29.

(4) -ouargla - "Notes historiaues sur la province de Constantine" : Ferrou (Charles) (4) .R.A .N .30. 1886. p. 263.

على شريط يمتد من سدراتة(*) غربا إلى فران شمالا على مسافة تزيد عن ستين كيلومتر وربما لا تكون ذات أهمية كبرى لبساطتها ، إذ مر عليها الفاتحون الأوائل فدعوها الواحدة تلو الأخرى للإسلام و هم في طريقهم من السوس إلى الزاب .
في حين يرى لارجو Largeau⁽¹⁾ أن الفاتحين الأوائل الذين جاءوا إلى المنطقة في القرن الثاني للهجرة السابع الميلادي، لم تكن وقتذاك وارجلان موجودة ، بل نشروا الإسلام في نقوسه(*) و سدراتة وبامنديل و الرويسات أي القرى التي كانت موجودة

(*)- سدراتة : هي إحدى المدن التاريخية في وادي مائة ، تبعد عن وارجلان بأربعة عشر كيلومتر من ناحية الجنوب . وقد تضاربت الآراء حول تاريخ تأسيسها ، فهناك من يرجعها إلى الأربعينيات من القرن الأول للهجرة السابع للميلاد ، و هناك من يرجعها إلى نهاية القرن الثالث للهجرة بداية العاشر للميلاد ، أي بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين سنة 296 هـ . 908 م ، وهجرة من نجي إلى وارجلان ، وأسسوا مدينة سدراتة التي إستبحر عمرانها ، وأصبحت تتكون من مائة وخمس و عشرين قرية ، تسقى من عين تسمى عين الصفاء أنجبت الكثير من العلماء منهم : أبو يعقوب يوسف ، نوح بن محمد بن ميمون السدراتي، أبو عبد الله السدراتي. ، تعرضت لعدة غزوات آخرها كانت على يد علي بن يحيى بن إسحاق بن غانية الميورقي سنة 626هـ . 1229 م ، الذي حطم أجزاء كثيرة منها.(انظر مسعود (مزهودي) الإباضية في المغرب الإسلامي منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296- 442 هـ) . (909 . 1058 م) لمسعود مزهودي، منشورات جمعية التراث القرارة غرداية الجزائر 1996م

(1) . Largeau (v) : op. cit. p . 154 .

(*)- نقوسة : تروي كتب التاريخ أن هذه المدينة تعد أقدم حاضرة في منخفض وادي مائة ، ترجعها طائفة من المؤرخين إلى فجر التاريخ أي إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، و ترجعها طائفة أخرى إلى الفترة النوميدية أي القرن الثاني قبل الميلاد ، وذكرت بأسماء كثيرة منها (. منقوصة ، ماقوسا ، مقوسا منهوسة محروسة ، أنقوسة ، إنقوسة ، نجوسة ، تلي أزدوس ، N`gouca ، Ngoussa) . و عرفت النظام الملكي منذ القدم ، زارها الرحالة المغربي العياشي في منتصف القرن السابع عشر وقال إنها مملكة قوية متعادية مع سلطنة وركلة ، ومتآزرة مع سلطنة وادي ريغ ، وكانت قوية و مستقلة ، قادها ثلاثة وعشرون سلطانا من سنة 412 هـ . 1021 م إلى غاية سنة 1265 هـ . 1848 م ، وتتكون من قصر كبير له أربعة مداخل وهي . باب باعلوش من الناحية الشرقية . باب بساسي من الناحية الغربية . وباب زغبة من الناحية الجنوبية . و باب تمنونت أو باب السلطان من الناحية الشمالية ، و بها عدة مساجد ، ولعل من أبرزها مسجد سيدي صاح الذي مازال يحافظ على شكله القديم . أما من الناحية الاجتماعية فهي تتكون من عرش أولاد العربي ، وعرش أولاد هيمة أو المقاديم ، وعرش أولاد عطية و عرش أولاد البساطي ، وعرش أولاد سيدي نوح ، وعرش أولاد سيدي علي . (انظر المجلة الإفريقية (R.A) الأعداد 30 و 31 و 64) .

قبلها في نظره ، في حين أن جل المصادر قد ذكرت أن نقوسة و وارجلان أقدم من هذه القرى التي ذكرها، ولكن تذكر أن هناك قرى كثيرة قد تجاوزت مائة و عشرين قرية لكن لا نعرف أسماءها، وليست الأسماء التي ذكرها .

تأسيس حاضرة وارجلان :

في ظل غياب المصادر التي درست بعمق تاريخ هذه الحاضرة ، يبقى الترجيح و التأويل هو السائد، في كتابات المؤرخين المتخصصين في تاريخ الحواضر و المدن حيث وجدت تضاربا في كتاباتهم، حول تاريخ تأسيسها فهناك من يرجعها إلى ما قبل التاريخ و فئة أخرى ترجعها إلى القرون العتيقة، في حين ترجعها طائفة أخرى إلى فجر التاريخ ، و السواد الأعظم يرجعها إلى الفترة الإسلامية ، وعليه سأحاول أن أناقش هذه الفرضيات ، وأرجح أقربها إلى المنطق .

وارجلان في الفترة العتيقة: تذهب بعض المراجع إلى القول إن تأسيس وارجلان قديم ، يعود إلى العصور الحجرية ، ويعلمون ذلك بوجود أدوات حجرية صنعها الإنسان القديم بهذه الجهة ، يعود بعضها إلى العصر الحجري القديم والبعض الآخر إلى الحديث وبكميات كثيرة جدا ، حيث لا تخلو جهة من الجهات الأربع المحيطة بالحاضرة من وجودها⁽¹⁾. من المؤكد أن الإنسان مر بهذه الجهة و لم يشيد أية مدينة ولم يترك أي عمران ، بل كان متجولا لا يمكث كثيرا في منطقة حتى يبرحها ، ولم يعش على شكل تجمعات بشرية كبيرة ، مع الإشارة أنه بدأ يعرف نوعا ما الاستقرار و ذلك من خلال استعماله للكهوف والمغارات المتوفرة في أعالي وارجلان بمنطقة بامنديل وخاصة في المنطقة التي تعرف باسم كهف السلطان^(*) على بعد حوالي عشرين كيلو متر جنوب غرب وارجلان ، وسبق وأن زار هذه الكهوف الرحالة الفرنسي لارجو (Largeau) سنة 1294هـ 1877م ، و وجد بها كهوفا يصل

(1) - Aumassip (G) . et Hachi (S) : op. cit. p.97.

(*) . كهف السلطان : منطقة تقع جنوب غرب وارجلان على بعد حوالي عشرين كيلو متر ، سكنت من طرف السلاطين القدامى لوارجلان بها كهوف ومغارات عديدة وعلى شكل طوابق زارها العديد من الرحالة و العسكريين الفرنسيين في القرن التاسع عشر الميلادي .

عمقها إلى ثلاثين مترا وبها طوابق وغرف ، وأخذ مقاييس إحدى هذه الغرف فوجد ارتفاع الغرفة المحفورة في الجبل تصل إلى 1,70 مترا و طولها 3,90 مترا وعرضها 2,75 مترا ، كما اكتشف كتابة باللغة العربية لم يستطع أن يفهم منها إلا لفظ الجلالة الله⁽²⁾ . ولكن هذه النواة الأولى للتمدن والاستقرار ، لم تعرف في التاريخ باسم معين ، ودلت الآثار المادية التي لا تترك مجالا للشك أنها كانت تمتد من الجهة الشمالية إلى الجهة الجنوبية الغربية، أي من موقع الحمراية إلى كهف السلطان مرورا بملالة و حاسي مويلح والعظام ، وبهذه الصورة يمكن أن نقول إنه استعمل أعلى الهضاب معمل للصناعة الحجرية وسفحها كهوف ومغارات للإيواء والمنخفض للصيد والزراعة.

وارجلان في الفترة النوميديية : بينما يذهب الحسن بن محمد الوزان أنها مدينة نوميديية أسسها النوميديون في صحراء نوميديا حيث قال : (وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها سور من الحجر النئى ودور جميلة ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى⁽²⁾) .

إن المنتبع لما قال الحسن الوزان يستنتج من كلامه أنها كانت مملكة قوية و محصنة بسور له أبواب، وعاصمة لمجموعة من القصور والقرى المحيطة بها، و الثراء ظاهر عليها و على سكانها ، و لكنه لم يقدم أي سند على أنها تعود إلى الفترة النوميديية. في حين ترى أغلب المراجع أنه ابتداء من منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وتحت ضغط الاحتلال الروماني ، حلت أفواج من البربر إلى الصحراء ، ولم تستطع العودة لكون الجهات الشمالية محاصرة من طرف الجيوش الرومانية ، فسكنت أولا منطقة الزاب وما لبثت أن عمرت كل الوديان و المنخفضات التي تقع إلى الغرب و الجنوب الغربي من الزيبان من وادي ريغ إلى غاية حاسي ريرة (Rirha) الذي يقع على بعد ثلاثين مرحلة جنوب غرب وارجلان⁽³⁾، وأسسوا مع بداية التاريخ الميلادي في منخفض

(1) - Largeau (V) : op. cit. p . 184

(2) . الحسن بن محمد الفاسي (الوزان) : المصدر السابق ، ص . 136 .

(3) - Largeau (V) : . op. cit. p. 153 .

وادي مائة من قارة كريمة غربا إلى فران شرقا ما يزيد عن ثلاثمائة و خمس و ستون قرية⁽¹⁾ لم يبق منها الآن إلا أقل من ثلثها ، هذا ما يؤكد رأي عبد الرحمان بن خلدون حين يقول إنها بنيت من طرف قبائل بني واركلا القادمين من زناتة ، أي أنهم زحزحوا من طرف الرومان إلى هذه المنطقة أين (اختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة ، في القبلة منها ميامنة إلى الغرب . بنوها قصورا متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها)⁽²⁾ .

في حين يرى الرحالة لارجو (Largeau) أن وارجلان لم تؤسس إلا مع قدوم العرب الفاتحين إلى المغرب سنة 46هـ 666 م ، وشنوا حربا على الأهالي ، و حاصروهم في قارة كريمة حصارا طويلا دام ما يقارب الشهر ، وبعد أن يبسوا رفعوا الحصار و غادروا المنطقة ، فنزل الأهالي إلى الوادي مرة ثانية ، فوجدوا أن قراهم قد هدمت و نخيلهم قد قطعت ، فقامت امرأة منهم اسمها ورقلة فبنت كوخا التف حولها الناس و بنوا ديارا تلاحمت مع بعضها البعض و بهذا تكونت المدينة⁽³⁾

يبدو لي أن هذه المعلومة أقرب للأسطورة منها إلى الواقع ، وأن هذه الغزوة التي يذكرها قد تكون من حثالة الرومان الباقية، لكون الأسلوب الذي سلكه هؤلاء الغزاة ليس من أسلوب المسلمين في عملية الفتح بالإضافة إلى أنها وقعت سنة 46هـ 666م في حين أن الفتوحات إلى أعماق الجزائر كانت على يد عقبة بن نافع 51 هـ 671 م⁽⁴⁾.

وترى فئة من المؤرخين أن تأسيسها كان في القرن الثاني الميلادي ، عندما قام الرومان بحملة استيطانية واسعة ، استحوذوا من خلالها على الأراضي الزراعية الخصبة و طردوا البرابرة الزناتيين إلى الصحاري، فحل فخذ منهم يدعى بني واركلا إلى حوض وادي مائة، و شيد مجموعة من المنازل المتجاورة مع بعضها البعض كبرت مع الزمن فكونت مصرا، حمل اسمهم إلى يومنا هذا.

(1) Ibid.p. 265.

(2) . عبد الرحمن (ابن خلدون) : المصدر السابق، ص. 106 .

(3) . Largeau (V) : op. cit .pp. 152 .153.

(4) . رشيد (بورويبة) و آخرون : المرجع السابق ، ص. 47 .

ويرجع بعض المؤرخين أن تأسيس هذه الحاضرة يعود فقط إلى بداية الفتح الإسلامي عندما وقعت فتن داخلية⁽¹⁾ ، أدت إلى هجرة مجموعة من البرابرة إلى حوض وادي مائة ، وأسسوا قصورا كثيرة منها قصر وارجلان .

في حين يرى بعض علماء الآثار أن قصر وارجلان وهو الخلية الأولى في تأسيس الحاضرة ، يعود فقط إلى الفترة الإسلامية ودليلهم على ذلك ما يتوفر عليه من مميزات الحضارة الإسلامية المتمثلة في كثرة المساجد والزوايا⁽²⁾، والنمط العمراني للمنازل الذي يحمل خصائص العمارة الإسلامية، من أقواس وقباب وأقبية وزخرفة إسلامية.

ومن خلال هذه الأطروحات ، نستطيع أن نقول إن وارجلان كوعاء حضاري وبشري وجدت منذ زمن بعيد ، ولكنها لم ينشئ كيان اجتماعي مميز ، ومع فجر التاريخ ظهرت تجمعات سكنية عديدة، وبأسماء متنوعة انقرضت من الوجود، ومع الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا في القرن الثاني قبل الميلاد وزوال الدولة النوميديّة و القرطاجية، وتحت ضغوط المستعمر الروماني الذي انتهج سياسة الاستيطان، انتقل البرابرة الزناتيون إلى الجهة الجنوبية ، وأسسوا بها قرى كثيرة توسعت وتلاحمت مع بعضها بعضا مكونة لمجتمع متجانس⁽³⁾ حاملة لاسم اكبر قبيلة من قبائله، و أصبحت منذ هذا التاريخ المبكر محطة هامة من المحطات القوافل التجارية القادمة من الشمال أو الذهابة إلى أعماق الصحراء، وظلت على هذه الصورة حتى دخول الإسلام إليها في القرن الأول للهجرة ، وقد تعرضت هذه الحاضرة عبر تاريخها الطويل إلى أكثر من تهديم كلي ويعاد بناؤها من جديد في الفترة الإسلامية.

وارجلان في الفترة الإسلامية :

في منتصف القرن الثاني للهجرة منتصف الثامن الميلادي ، إبان قيام الدويلات ———

(1) . مختار (حساني): المرجع السابق، ص. 187 .

(2) . علي (حملاوي): «مواقع و معالم أثرية من الجنوب الشرقي لمنطقتي ورقلة و وادي ريغ {» ، مجلة البحوث الأثرية ، قسم الآثار جامعة الجزائر 1997، ص. 62 .

(3) . Trumlet(C) : Les Francais dans le desert . Paris . 1863 .p.21

الإسلامية ببلاد المغرب ، كانت وارجلان تمثل الحدود الجنوبية⁽¹⁾ للدولة الرستمية وبعد سقوطها على يد الدولة العبيدية الفاطمية سنة 296 هـ 908 م ، توجه ورثة هذه الدولة بقيادة الإمام يعقوب بن يفلح بن عبد الوهاب إلى وارجلان خوفا من بطش العبيديين⁽²⁾ واختياره لهذه الحاضرة لم يكن من باب الصدفة أو الهروب إلى المجهول، بل هو توجه إلى جزء من داره الكبرى ، التي لم تمتد إليها بعد يد الشيعة، ومازالت تنعم بالأمن والاستقرار على رأس قافلة كبيرة تتكون من آلاف الجمال يقودها أدلاء متمرسون على هذه الطريق، و معه جالية تتكون من أفراد الأسرة الحاكمة والحرس الخاص و كوكبة من الرعايا، مكثوا في الطريق عدة أيام رزقوا خلالها سبعين طفلا ذكرا⁽³⁾ وتقول بعض المصادر⁽⁴⁾ إن يعقوب بن يفلح أثناء السير في الطريق وقف خطيبا في الركب قائلاً: (افترقوا فقد انقضت أيامكم و زال ملككم ولا يعود إليكم إلى يوم القيامة.) وتقول مراجع أخرى⁽⁵⁾ انه نظر نظرة في النجوم و قال لأصحابه (إنكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر إلا كان عليكم الطلب افترقوا فقد انقطعت أيامكم و زال ملككم). وقد لحقت بهم العساكر الفاطمية في الطريق و جرت بينهم معارك دامية شارك فيها حتى الإمام يعقوب بن يفلح قائد الركب، وعندما وصلوا إلى وارجلان وجدوا أبا صالح جنون^(*) بن يمران

-
- (1)- إبراهيم بكير (بحاز) : الدولة الرستمية- دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية ، مطبعة لافوميك الجزائر سنة 1985 م ، ص . 107 .
- (2). مسعود (مزهودي) : المرجع السابق ، ص. 39 .
- (3). مختار (حساني) : المرجع السابق، ص. 179 .
- (4). يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) : المصدر السابق، ص. 189 .
- (5)- محمد عيسى (الحريري) : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي . حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160 هـ . 296 هـ) ، دار القلم للنشر و التوزيع الكويت ، ط3، 1987م، ص. 186 .

(*) . أبو صالح جنون بن يمران : حسب طبقات المشايخ للدرجيني ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري درس على يد مشايخ وارجلان و على رأسهم الطرفي تولى مهمة رئاسة مجلس الجماعة بوارجلان أعطى أهمية كبرى للعلم و العلماء و كان رحمه الله ينفق من ماله الخاص على طلبه العلم في جانب المأكل و الملبس ، استقبل الإمام يعقوب بن يفلح عندما حل بوارجلان بعد نكبة تيهرت ، توفي في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة و دفن بسدراته بالمقبرة التي تحمل اسمه الآن .

شيخ المدينة في استقبالهم ،فاستقبلهم استقبال الأبطال في جمع كبير مع الأهالي، و أكرمهم و طلب من الإمام أن يتولى أمرهم،فامتتع و قال: قولته المشهورة ” **الجميل لا يستتر بالغنم**“⁽¹⁾ وبقي بين الناس مواطنا زوج ابنتيه لرجلين من أهل البلد. وبهذا بدأ عهد جديد في وارجلان اتسم ببناء مدينة سدراتة التي أصبحت بحق عاصمة ثانية بعد أفول نجم تيهرت ، ونشطت حركة العلم والتأليف هذا ما جعلها مقصدا لطلبة العلم من بلاد ريغ وجربة ونفوسة ، واستتب بها الأمن لمدة زمنية طويلة،ونشطت بها الحركة التجارية مع السودان الغربي.

تأسيس مدينة سدراته(*) :

لقد اختلفت المصادر والمراجع و ما كتب علماء الآثار حول تاريخ تأسيس هذه المدينة الظاهرة لما احتوته من أسرار من جانب العلماء الذين ينسبون إليها،ومن جانب الزخرفة العمرانية التي عثر عليها علماء الآثار^(**) بعد الحفريات التي أجروها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ،فالبعض ذهب إلى القول أن هذه الزخارف الفنية الجميلة لا توجد مثيلاتها في تيهرت،وعليه يستبعد أن تكون هذه المدينة الجميلة من إنجاز أحفاد الدولة الرستمية،في حين أرجعها البعض إلى النصف الأول من القرن

(1). الشماخي (أبو العباس احمد) : كتاب سير المشايخ ، مطبعة حجرية قديمة دون تاريخ للطبع ، نسخة منها بمكتبة الوفاق المسجد الكبير لالة عزة بوارجلان ، ج 2 ، ص.365

(*) سدراته : ترجع بعض المراجع أن أصل تسمية هذه المدينة نسبة إلى قبيلة سدراته الامازيغية ، أما ما هو متداول عند العامة فهي نسبة إلى شجرة السدرة المنتشرة بكثرة في هذه الجهة

(**) الحفريات الأثرية بسدراته: لقد قام العديد من علماء الآثار بحفريات بموقع بسدراته الأثرية على بعد أربعة عشر كيلومترا جنوب وارجلان خلال القرنين التاسع عشر و العشرين و من جملة هؤلاء نذكر . H. Tarry هارولد طاري قام بحفريته سنة 1881 م ، لقد اكتشف قصرا كبيرا و جميلا مزدانة جدرانه بزخرفة جصية تحمل توقيع الفنان المعماري الذي أبدعها . كما قام كذلك Paul Blanchet بول بلانشي بحفرية أخرى على سدراته سنة 1898 م اكتشف أربع وثلاثين حجرة و زخارف على الجدران . كما قام كذلك Foucher فوشر بحفرية في سدراتة سنة 1942م ووضع مخططات و التقط صوراً جميلة . و آخر باحث من الأوروبيين قام بحفرية في سدراتة هي الأنسة Maguerite Van Berchem مارغوريت فان برشم من سنة 1950 إلى 1952 م اكتشفت زخارف و كتابات بخط كوفي وآثار قنوات المياه وأخذت صور جوية للمدينة الأثرية .

الأول للهجرة النصف الأول من القرن السابع الميلادي أي إلى سنة 42 هـ 662 م⁽¹⁾ و ذهبت مجموعة أخرى من المؤرخين إلى الحكم أنها تأسست بعد ما رفع الحصار الذي ضرب على سكان وارجلان في قارة كريمة، وعند نزولهم إلى السفح وجدوا كل ما على الأرض قد هدم و أتلّف من طرف العبيديين، و بالتالي أسسوا كل شيء من جديد بما فيها مدينة سدرا ته سنة 297 هـ 909 م ، التي شيدت في مكان آمن بين قارة كريمة وجبل عباد على ارض منبسطة تزيد على اثني كيلومتر مربع ، على طريق القوافل المتوجهة إلى السودان الغربي، وفي مجرى وادي مائة، فكانت تحفة في الجمال من حيث الهندسة المعمارية⁽²⁾ والزخرفة الجصية، ومدينة متكاملة كما دلت عليها الآثار المادية المكتشفة في موقعها الأثري، و بها جل المرافق العمومية الضرورية لحياة الإنسان من حمامات، و مساجد للعبادة، ودار للقضاء، و قصور للأثرياء مزدانة بالزخارف والكتابات الجميلة بالخط الكوفي بالإضافة إلى بقايا لمساحات خضراء ومجار لتزويد السكان بالماء .

وما تجدر الإشارة إليه أن المصادر لم تتطرق إلى ذكر نوع النظام السياسي الذي كان سائدا في هذه المدينة الدولة ، في حين تشير بعض كتب السير إلى أن الإمامة قد زالت بسقوط الدولة الرستمية ، ودخلت هذه المؤسسة فيما يعرف بمرحلة الكتمان ، أي أن الإمام موجود في الواقع لكن لا تعرفه إلا قلة قليلة من السكان .

وفي مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي . 409 هـ 1018 م تأسس ما يعرف بنظام أو حلقة العزابة^(*) في وادي ريغ ثم دخلت إلى وارجلان وهي تهدف

(1) . Lethielleux (J) : op . cit . p . 26 .

(2) . علي (حملاوي): «الأبحاث الأثرية بمدينة سدرا ته الأثرية» ، محاضرة ألقاها في اليوم الدراسي حول المدن بالمغرب تأسيس و تنمية ، من تنظيم المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان التاريخ بالجزائر، ديسمبر 199م ، ص. 10 .

(*) . حلقة العزابة : هي مؤسسة تربية اجتماعية ، سميت بهذه التسمية نسبة إلى الأعضاء المكونين لها والمتفرغين لخدمة المجتمع و إصلاح ذات البين ومطلقين للأمور الدنيوية أي الفرد الواحد عزاب و جمعها عزابه تأسست هذه الحلقة على يد العالم أبي عبد الله بن بكر الفرستائي النفوسي (345 هـ 440 هـ) ببلدة عمر بمنطقة وادي ريغ .

في الأساس إلى تربية النشء وتعليمه كما تقوم بأدوار اجتماعية واقتصادية. وبهذا يتضح لنا أن المسير الفعلي للبلاد والعباد هي التنظيمات والمجالس، مثل العشيرة والجماعة والأعيان و حلقة العزابة ، وكل هيئة من هذه الهيئات لها شروط محددة ومضبوطة للانتماء إليها ، أما الإمام فهو موجود في الواقع لكنه مستتر و إذا كنا نعرف عدد أئمة الدولة الرستمية فإننا لا نعرف عددهم في الفترة السدراتية .

ولقد سارت سدراته المدينة الدولة على هذا النمط التسييري لمدة تناهز الأربعة قرون من الزمن، من تأسيسها إلى أن سقطت على يد يحيى بن غانية الميورقي المرابطي سنة 226 هـ . 1229م ، عرفت المنطقة خلالها نهضة كبيرة خاصة في المجالين الثقافي والاقتصادي، حيث كانت بمثابة جامعة تشد لها الرحال للتزود بالعلم و المعرفة و أنجبت علماء فطاحل منهم مكتشف الاستواء أبو يعقوب يوسف الوارجلاني⁽¹⁾ المولود بوارجلان سنة 500 هـ . 1106م⁽²⁾ ترعرع وتعلم فيها و رحل في إحدى جولاته الاستكشافية إلى إفريقيا أين وصل إلى نقطة تساوى فيها الليل والنهار⁽³⁾ فقال « هذه صرة الدنيا »، وذلك قبل أن يكتشف الغرب خط الاستواء .

وأبو يعقوب يوسف هذا كاتب ومؤرخ و مفسر، درس بوارجلان ، و واصل تعليمه بالأندلس بقرطبة، تجول بالشرق والمغرب وإفريقيا ،ثم عاد إلى مسقط رأسه أين اعتكف للتأليف و التدريس ، حيث روي عنه أنه في حالات كثيرة لا يخرج من داره لسنوات عديدة إلا لأداء الفرائض، و كل من زاره كما يقول الشماخي⁽²⁾ « يجده إما للحبر طابخا، أو لأقلام باريا، أو للكتب ناسخا أو مجلدا » ، وقد ترك لنا عدة مصنفات وفي شتى المجالات منها: تفسير القرآن الكريم في سبعين جزءا ،الدليل والبرهان في ثلاثة أجزاء العدل والإنصاف في ثلاثة أجزاء ، مرج البحرين ، فتوح المغرب ، ترتيب مسند الإمام الربيع بن الحبيب ،وقد توفي بوارجلان ودفن فيها سنة 570 هـ 1175م

و أبو يعقوب بن سهلون الطرفي السدراتي عاش ما بين 250 و 300 هـ 864 و 912م

(1) . علي (يحيى معمر) : الاباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الرابعة ، الاباضية في الجزائر، ج1 ،المطبعة

العربية غرداية الجزائر 1985 م، ص، 233 .

(2) الشماخي(أبو العباس أحمد) : المصدر السابق ، ص . 443 .

ويعد شاهد عيان على سقوط الدولة الرستمية ، حل بها مع الوفد المهاجر ، عين قاضيا على وارجلان و سدراته ، و كان يلقب بشيخ الرأي الناصح،و قال لابنه وهو يعظه : ((لا يكن ندبك الناس إلى الخير،أؤكد من ندبك نفسك إليه،ولا يكن غيرك أسبق للحرث منك ، وكن للناس كالميزان و كالسيل للأدران و كالسماء للماء. (1))) .

و الشيخ سليمان بن إبراهيم بن بانوح توفي بوارجلان سنة 407 هـ 1016 م عن عمر يناهز 114 سنة ترك كتابا حول المذهب الإباضي في خمسة مجلدات عنوانه: ((كتاب الإبراهيمي في سلوك المذهب الإباضي (2))) . والشيخ أبو نوح سعيد بن زنجيل الذي جاء فارا من الفاطميين في مطلع القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي إلى وارجلان أين وجد آمنه وراحته،فاستقر وأسس حلقة للعلم في مسجد الشيخ أبي صالح جنون بن يامرمان وبقي ناشرا للعلم إلى أن توفي(3) . والشيخ أبو عمار عبد الكافي ، نشأ في وارجلان و درس على مشايخها ثم سافر إلى تونس أين مكث ثلاث سنوات ، طالبا للعلم و المعرفة ، ثم عاد إلى مسقط رأسه واشتغل بالتدريس و الفتوى و النظر فيما يرد عليه من النوازل ، و من أهم مؤلفاته: الموجز في الرد على كل من خالف الحق في جزئين،وشرح كتاب الجهالات و كتاب الاستطاعة(4) .

وما زاد لهذه الحركة التنويرية تألقا هو ظهور حلقة العزابة التربوية العلمية الإصلاحية في سنة 409 هـ . 1018 م في منطقة بلدة عمر بوادي ريغ و انتشرت في كل الجهات التي يسود فيها المذهب الإباضي، إذ حملت على عاتقها لواء الإشراف والإنتفاق على دور العلم والعلماء ،فأصبح للتعليم مؤسسات خاصة ، بها حلقة للعلم يشرف عليها شيخ و عرفاء مساعدون له، يتولون مهمة مراقبة الطلبة في أوقات الدراسة وخارجها و التعليم بها مجاني، و المعلم لا يتقاضى أجره يشتغل في مزرعته

(1) . الدرجيني : المصدر السابق، ج2 ، ص ص . 57 . 58 .

(2) . Lethielleux(J) : op. cit . p . 24 .

(3) . اعمر و خليفة (النامي):((ملاحح الحركة العلمية في وارجلان و ضواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن 6هـ)) ، محاضرة ألقاها في الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ، المنعقد بوارجلان 1977 .

(4) . علي (يحي معمر): المرجع السابق ، ص ص . 206 . 207 .

أو في متجره مع تخصيص أوقات للتدريس يتم ضبطها مع شيخ الحلقة، وكما يفهم من خلال ما ورد في المراجع أنها كانت هناك إقامة للطلبة تمول من مدا خيل الأوقاف وتبرعات المحسنين، خصص لها عريف للنوم و آخر للأكل⁽¹⁾. و قد كان الإقبال على هذه الحلقات كبيرا جدا حيث وصل عدد الطلبة بإحدى هذه الحلقات إلى نحو ثلاث مائة طالب⁽²⁾، أما العلوم التي كانت تدرسها فهي: (سير السلف الصالح - علم الأخلاق - اللغة العربية - الوعظ و الإرشاد - تفسير القرآن الكريم - علم الحديث - الفقه⁽³⁾) .

و بالإضافة إلى الحركة العلمية والفكرية والعقائدية الكبرى التي عرفت سدراته وارجلان في هذه الفترة، فقد ظهرت بها حركة فنية تعبيرية تشكيلية أخرى تجسدت في الزخرفة الجصية التي وجدت منقوشة على جدران منازل و قصور و مساجد سدراته ، متنوعة الأشكال صنفها البعض بمثابة مدرسة في هذا الجانب وتمثلت في تيجان و أقواس وعناصر نباتية من غصون ملتوية و أوراق الكرم و عناقيد العنب وزهور و ورود، و أشكال هندسية، و كتابة عربية بالخط الكوفي⁽⁴⁾ .

كما عرفت الزراعة في وارجلان تطورا كبيرا بفضل وقوعها في منخفض و مجرى لواد زودها عبر الزمن بالطمي الغني بالمواد العضوية المخصبة للتربة، و مياهها الجوفية ليست بالعميقة لا تزيد عن الثمانين ذراعا، بالإضافة إلى الخبرة التي استثمرها الوافدون عليها من كل الجهات ،وبذلك تطورت أنظمة الري والسقي، حيث ذكرت بعض المراجع⁽¹⁾ أن منخفض وارجلان كان يحتوي على أكثر من ألف و واحد وخمسين بئرا وعينا كبرى جارية ،و قال العياشي في شأن هذه العيون (من غرائب

(1) . المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م :« الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، الحياة الثقافية في وارجلان» ، مطبعة دار القصب للنشر ، الجزائر 2007 م ، ص . 66 .

(2) . الشماخي(أبو العباس احمد) : المصدر السابق ، ص . 379 .

(3). المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54: المرجع السابق ص . 70

(4) . رشيد (بورويبة) « الفن الرستمي بتيهت و سدراته» ، الأصالة ، ع 41 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر 1977 م ، ص . 192 .

(5) . Madeleine(Rouvilois Brigol) : op . cit . p . 15 .

هذه البلدة استخرج عيون الماء الغزيرة بحفر الآبار فيحفرون بئرا نحو من خمسين قامة ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانا قويا ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر و يصير عينا فإن لم يتدارك الحافر بالجذف أغرقه الماء (1) .

ومن أهم هذه العيون عين الصفاء التي تتبع من سدراته وتجري في نفق مبني بالحجارة الصلبة المقاومة للرطوبة و الماء تعرف عند العامة باسم (الصم) و مغطاة بالصخور وضعت لها فوهات تفتح وتغلق عند كل تجمع سكاني، وقد وصل عدد هذه التجمعات إلى مائة و خمس وعشرين قرية، كلها تسقي و تشرب من هذه العين العملاقة ، وقد عثرت الباحثة الأثرية (*) مارغوريت فان برشم (Maguerite Van Berchem) في الفترة ما بين 1950 إلى 1952م على مجرى هذه العين ، كما عثر كذلك المقاول مسعودي محمد(**) سنة 2003م على نفق عين الصفاء عندما كان ينجز مسلكا للموقع الأثري سدراته .

التحريشات الخارجية على وارجلان :

لقد كانت وارجلان في الفترة الإسلامية إلى غاية مطلع التاريخ الحديث جوهرة في الصحراء من حيث الثراء و العلم و الموقع الإستراتيجي، فكانت بوابة للسودان(2) كما قال بن خلدون ، و ميناء داخليا للتجارة مع السودان(3) ، و مدينة الذهب و مستودعا للعبيد وتقع على طريق القصور، و صاحبة تجارة العبور، ويسودها الأمن والاستقرار

(1). العياشي : المصدر السابق ، ص . 48 .

(*) Maguerite Van Berchem مارغوريت فان برشم : باحثة في علم الآثار قامت بحفريات على مستوى مدينة سدراته الأثرية ما بين سنة 1950 و 1952 اكتشفت آثارا كثيرة زودت بها متاحف وارجلان و الجزائر وفرنسا .

(**) مسعودي محمد : هو مقاول من وارجلان مختص في الإشغال العمومية كلف بإنجاز مسلك إلى الموقع الأثري سدراته في الفترة ما بين 2002 و 2004 م من قبل مديرية التعمير و البناء ، و أثناء الانجاز اكتشف هذا النفق العملاق ،ويعد تدخل مديرية الثقافة لولاية ورقلة تم تغيير مسار هذا المسلك .

(2). عبد الرحمن (ابن خلدون) : كتاب العبر، المصدر السابق ، الجلد 7، ص. 107 .

(3). روبرير (برينشفيغ) (Rebert (Brunschvig) : تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1988 ، ج2 ، ص. 265

و ملجأ للفارين و الثائرين ، و لهذا كانت محط أطماع جميع الكيانات السياسية المحيطة بها، كبيرها وصغيرها على حد سواء،البعض ناظم على مذهبها والبعض الآخر طامع في ذهبها.و من هنا كان الكل يبحث عن مبرر لشن حملته عليها ومنها :

. الحملة الفاطمية (297هـ 909م):

لقد تعرضت وارجلان إلى حملة انتقامية فاطمية سنة 297 هـ . 909 م ⁽¹⁾ ، بعد وصول المهاجرين إليها من تيهرت إثر سقوط الدولة الرستمية ، أرسلها إليها عبيد الله الشيعي من القيروان لملاحقتهم وللقضاء على آخر وريث فيهم ،و لضم الجهة إلى حظيرة الفاطميين،ولكن بمجرد ما انتشر نبأ هذه الغارة بين الناس،حتى اعتصم الجميع على قمة جبل يعرف باسم كريمة ،فحاصروهم الجيش ألعبيدي في هذا الجبل مدة قاربت الشهر، ورفع هذا الحصار ظنا منه أنهم يملكون كمية لا تتضب من الماء و المؤونة وأنه لا جدوى من هذا الحصار ، وأثناء مغادرته للمنطقة صب جام غضبه على المدينة و القرى المحيطة بها،فهشم العمران وقطع الأشجار ، وأتلف مطامير التمر وعثر على قارورة من بيض النعام مملوءة بالشعير فأخذها معه ، ولما وصلوا إلى القيروان لامهم عبد الله الشيعي على هذا التقصير حيث أنهم لم يتمكنوا من القضاء على ثلة قليلة من الفارين فقالوا له:(كيف نقاتل حصنا كهذا؟وهذه مطا مرهم،وأخرجوا له البيضة مملوءة بالشعير)) ⁽²⁾ و أراد السلطان الفاطمي أن يعيد الهجوم على وارجلان مرة ثانية في السنة الموالية 298 هـ 910 م لكن الموت لم تمهله، فتولى ابنه أبو القاسم بن عبيد الشيعي العرش لكنه لم يستطع أن ينفذ طموحات والده وانشغل بثورة أبي زيد مخلد بن كيداد المناوئة

. حملة المنصور الحمادي (405هـ . 1014م) :

في مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ⁽³⁾ 405 هـ . 1014 م ——— .

(1). الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص.48.

(2). نفس المصدر : ص ص 48 . 49 .

(3). عبد الرحمن (الجليلي): تاريخ الجزائر العام،دار الثقافة بيروت لبنان،1980 ، ج2، ص. 275 .

ظهرت على مسرح الأحداث بالمغرب الأوسط دولة ناشئة مؤيدة للدولة العباسية ببغداد على حساب الدولة الزييرية في القيروان من جهة ، وعلى الدولة الفاطمية في القاهرة من جهة أخرى ، بقيادة حماد بن بلكين بن زييري.

وقد استطاع هذا الكيان الجديد ، أن يحرز عدة انتصارات على حساب بني عمومتهم في تونس، وأن يشيد قلعة بني حماد و بيني بجاية ، ولكن الدولة الفاطمية لم تمهل لا الزييريين في القيروان ولا الحماديين في الجزائر، فأرسلت إليهم حملة تقودها قبائل بني هلال لتأديبهم على تمردهم على القاهرة 442 هـ⁽¹⁾ 1052م ، فدخلت الدولة الحمادية معهم في حروب إبان عهد الملك المنصور بن ناصر بن علناس الذي قام بغارتين ضد قبائل زناته المتحالفين مع الهلاليين ناحية الزاب ، ثم أرسل بجيوشه في حملة على وارجلان⁽²⁾ لملاحقة الهلاليين والمتآزرين معهم من جهة ، ولتأمين طريق الذهب⁽³⁾ من جهة أخرى، وما إن دخل جيشه المدينة التي لم تقاومه، حتى عاث فيها فسادا وتخريبا، وحطم معظم القصور بما فيها الجوهرة سدراتة ، وقطع أشجار النخيل وغور عيونها⁽⁴⁾ ، وعين عليها واليا ، أغفلت المصادر عن ذكر اسمه⁽⁵⁾ وطالبه بضممان السير الحسن للتجارة الخارجية مع السودان ، حيث كانت كل بضائع الدولة الحمادية المتوجهة جنوبا ، تمر على طريق وارجلان⁽⁶⁾ . وبعد هذه الحادثة هاجر عدد كبير من سكان سدراتة إلى غرداية ، وبقيت ثلة قليلة عملت على ترميم ما خرب، أما قصر وارجلان فقد أعيد بناؤه من جديد شمال شرق المدينة المخربة ببضعة أمتار .

. حملة يحيى بن غانية الميورقي (626هـ . 1229م) : يرجع نسب بني غانية إلى امرأة

من الأسرة المرابطية تدعى غانية زوجها يوسف بن تاشفين إلى أحد المقربين

(1) . رابح(بونار):المغرب العربي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981،ص.192 .

(2)رشيد(بورويبة):الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها،الطبعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007، ص.72.

(3)- Aumassip (G) et Al : passage quaternaire et peuplement de la region de Ouargla Libyca .t,xx,Alger. 1972. p. 238.

(4) . Le Gouvernement general de l'Algerie..op.cit. N .64 .p .383

(5) . رشيد (بورويبة) : المرجع السابق،ص.124.

(6) . نفس المرجع: ص.150.

إليه يسمى علي بن يوسف المسوفي من أصول بربرية أنجبت منه أبناء عرفوا في التاريخ باسم . بني غانية ، أسندت لهم على عهد المرابطين إمارتا قرطبة و جزر البليار أو ميورقة ، وبعد سقوط دولة المرابطين على يد الدولة الموحدية سنة 553 هـ . 1148 م (1) ، نصبوا أنفسهم الورثاء الشرعيين لدولة المرابطين ، وأعلنوا ثورة ضد الموحدين ، دامت ما يقارب القرن من الزمن من القرن السادس إلى القرن السابع الهجري . الثاني عشر إلى الثالث عشر الميلادي، استولوا خلالها على مدن كثيرة في شرق دولة الموحدين تقع في الجزائر و تونس ، وفي مطلع العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادي عندما بدأت دولة الموحدين تضعف نوعا ما ، شرع والي تونس أبو زكرياء في التحرك لتأسيس الدولة الحفصية و مطاردة آخر تائر من الميورقيين وهو يحيى بن غانية ولكن ما إن علم يحيى بذلك حتى فر إلى الصحراء ، واختبأ وراء أسوار قصر وارجلان العالية مع أتباعه سنة 625 هـ 1227 م من ملاحقة أبو زكرياء الحفصي ، وما إن اطمأن على سلامته حتى غادر المدينة للقيام بأدوار أخرى ، ثم يعود إليها ثانية في السنة الموالية 626 هـ . 1229 م (2) ناقما عليها لعدم مؤازرتها له ضد عدوه ، فخرّب قصره وارجلان و سدراتة. وقال ابن خلدون عن هذه النكبة: (خرّب عمرانها واجتث شجرها، وغور مياهها، ويشهد لذلك أثر العمران بها في أطلال الديار ورسوم البناء وأعجاز النخل المنقعر⁽³⁾). فعلا النكبة كانت كبيرة ولكن التحدي كان أكبر، حيث انضم أهالي سدراتة إلى وارجلان وأعادوا بناءها من جديد.

. حملة أبو زكرياء الحفصي (628 هـ . 1230 م): أثناء مطاردته ليحيى بن غانية الميورقي التائر على الموحدين والتمرد على الحفصيين، قام أبو زكرياء الحفصي بحملة عسكرية على منطقتي الزاب ووادي مائة سنة 628 هـ 1230 م ، فدخل وارجلان

(1). محمد شفيق (غريال) : الموسوعة العربية الميسرة : دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر مصر، 1965 ، ص، 1676 .

(2). Madeleine (Rouvilos Brigol): op. cit. p. 21.

(3) . عبد الرحمن (ابن خلدون) : المصدر السابق، ج7، ص. 98.

وأعجب بقصرها رغم كونه مخربا فأمر: (بالزيادة في تمصيره، فاختمت مسجده العتيق ومئذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا في الحجارة⁽¹⁾)، لكن السلطان أبو زكرياء لم يتمكن من إلقاء القبض على بن غانية بسبب فراره إلى أعماق الصحراء، وبعد بضع سنوات وصلت أنباء عنه تذكر انه توفي 633 هـ 1235م ، وهكذا انتهت ثورة بن غانية، وجرت معها وارجلان إلى دفع الضريبة للدولة الحفصية .

- حملة المنصور المزني (673هـ - 1274م) : كانت منطقة الزيبان الفاصلة ما بين القيروان و ورجلان خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي تحت قيادة إمارة بني مزني البسكرية ، وقد أسندت لها الدولة الحفصية مهمة الإشراف وجمع الضرائب على منطقتي وادي ريغ و وادي مائة الواقعتين جنوبها⁽²⁾ ، و كانت وارجلان خلال هذه الفترة تنعم بالرخاء الاقتصادي لما كانت تدر عليها تجارة السودان من ذهب ، وكان الأمير المزني حينذاك المنصور بن فضل بن علي بحاجة إلى مال يجعله قادرا أكثر على القيادة ، ومطاعا ومحترما من بطانته ورعيته، ولتحقيق هذا الطموح ، قرر شن غزوة عسكرية استنزائية على وارجلان، و خرج في حملة من بسكرة سنة 673 هـ . 1274 م⁽³⁾ ، ومرت على وادي ريغ و منه إلى وارجلان التي وجدها في حالة دفاع جد محكم ، أبواب أسوارها مغلقة ، والخندق المحيط بها مملوء بالماء ، و الحرس في أعلى السور بسلاحهم يترصون ، وبعد محاولات عديدة لاجتياز هذه الحواجز و الدخول إلى القصر والاستحواذ على الذهب ، لكنه لم يوفق ، فصب جام غضبه على القصور المجاورة فأباد قصر عين القبائل عن آخره ولا نعرف عنه الآن شيئا و كذلك قصر عين الحواس⁽⁴⁾ ، وبعد ذلك توجه إلى مدينة سدراته التي وجدها تحتضر، فدخلها دون أية مقاومة تذكر، وجيرانهم بقصر وارجلان لم يستطيعوا

(1). نفس المصدر : ص.107 .

(2) . Le Gouvernement général de l'Algérie : op. cit. p. 385.

(3). Aumassip (G) et Al: op. cit. p. 239.

(4) . Lethielleux (Jean) : op. cit. p. 133.

أن يقدموا لهم أية مساعدة لكونهم في حالة دفاع عن قصرهم ، و بالتالي وجد راحته الكاملة في قصر مفتوح ولا يقاوم فحطمه عن آخره ولم يترك فيه بيتا قائما ، وقام بعملية جمع الغنائم من كل ما خف وزنه وغلا ثمنه ، فما كان من سكانه الذين بقوا على قيد الحياة إلا المغادرة النهائية لهذا الموقع ، وتوزعوا على كل من حي بني وقين بوارجلان ونقوسه و غرداية .

. **حملة سلطنة تقرت (783 هـ . 1381م) :**

لقد كانت سلطنة تقرت التي تقع شرق وارجلان على مسافة أربعة أيام أي مائة وستين كيلومترا، كثيرا ما تترصد بها وتبحث عن أية فرصة لغزوها ، طمعا في خيراتها و مالها⁽¹⁾ ، وحدث وأن وصل إلى سدة العرش بوارجلان سلطان صغير من الأسرة الحاكمة حينذاك بني أبي غبول وعمره لا يتجاوز السبع عشرة سنة يدعى أبا بكر بن موسى بن سليمان⁽²⁾ ، فاغتنم الجار هذه الفرصة ، و توجه إليها بجيش قوي تمكن من الدخول إليها دون مقاومة ، إذ وجد أبواب القصر مفتوحة والجسور جاهزة للعبور على الخندق هذا ما جعل بعض المراجع ترجح بأن هناك مؤامرة أحيكت ضد السلطان⁽³⁾ وفي هذه الظروف الغامضة يفر السلطان ناجيا بنفسه إلى وادي ميزاب تاركا البلاد لسلطان تقرت و بهذه الحملة تسقط سلطنة بني أبي غبول لكون السلطان الهارب لم يترك وراءه أي وريث ولا أي نسل بعد أن عمرت قرنا من الزمن من سنة 682 هـ 1283م إلى 783 هـ - 1381م

. **حملة السلطان الحفصي (870 هـ . 1465م) :**

عندما وصل عثمان الحفصي إلى سدة الحكم على رأس الدولة الحفصية سنة 839 هـ 1435 م ، شرع في إعادة ترتيب أموره الداخلية و ذلك بالتخلص من المعارضين والمتمردين ، في بجاية وقبائل دواودة وغيرهما ، و بعد ذلك توغل في الجنوب فشن غارة على تقرت لتأديب أميرها الذي تمرد عن سلطته سنة 870 هـ 1465 م فدخل

(1) . Ibid. p. 154.

(2) . عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق ، ج7 ، ص. 107.

(3) . Lethielleux (Jean): op. cit. p. 155.

المدينة و هدم جزءا منها ، ثم توجه إلى وارجلان مرورا بتماسين و بلدة عمر والحجيرة و نقوسة ، وما إن وصل إلى وارجلان حتى وجد الأعيان في استقباله عند مدخل باب بوسحاق⁽¹⁾ ، وأقيمت له استعراضات بالخيول و (الفانطازية^(*)) و البارود وألقيت أمامه أشعارا باللامازيغية وبالعربية في مدحه ذكر فيها اسمه عثمان و وصف بالغزال و بالقمر و بالنجوم ، وبهذا استطاع مجلس الجماعة أن يحول الحملة العسكرية إلى استقبال رسمي لضيف خاص ، وبالتالي لم يتعرض للقصر بأي سوء ، واكتفى فقط بتعيين ممثل له ، يتولى عملية جمع الضرائب ، و إرسالها بانتظام .

السلطنات المحلية بوارجلان: بعد الغارات العديدة التي تعرضت لها وارجلان والتي أدت إلى زعزعت تماسكها المحلي ، وسقطت على إثرها قلعتها العلمية سدراته، ووصلتها قبائل بني هلال، و وقع فيها شبه إفلات أمني ، وبرزت قصور أخرى مجاورة ، وتوسعت تجارتها مع السودان بات من الضروري إيجاد قيادة محلية تقود البلاد و ترعى مصالح العباد وتبت في علاقة الحاضرة مع الغير ، فقرر مجلس الجماعة إنشاء نظام ملكي محلي ، تكون فيها سلطة الملك أو السلطان شرفية فقط ، أما المسير الفعلي فهو مجلس الجماعة ، الذي يتكون من اثني عشر عضوا ، أربعة عن كل حي من الأحياء الثلاثة للمدينة ، وبهذا تم تكوين نظام ملكي في المدينة ، له برلمان مصغر يسمى مجلس الجماعة ، ظل قائما إلى الاستعمار الفرنسي .

سلطنة بني أبي غبول (682 هـ 1283م إلى 783 هـ 1381م)

لقد تأسست هذه السلطنة المحلية بإرادة أهلها بعد عقد من الزمن من سقوط مدينة سدراتة وذلك سنة 682 هـ . 1283 م⁽²⁾ ، اختار فيها الأهالي رجلا من عائلة بني أبي غبول النازحة من سدراته و المقيمة في حي بني واقين ، أن يكون سلطانا على

(1). Ibid .pp. 177.179.

(*) . الفنطازية : مصطلح فولكلوري يعني في عالم الثقافة الجزائرية رقص الخيل بفرسانها تحت أنغام الغايطة و البارود و الزرنة في استعراض أو تجمع شعبي في احتفال استقبال الضيوف الرسميين أو في المناسبات الدينية ، وكذا في الأعراس .

(2) . Lethielleux (Jean): op. cit .p.p. 140.141.

البلاد ، وقد ذكره ابن خلدون عندما تكلم على قصر واركلا قائلاً: (ويعرف رئيسه باسم السلطان، شهرة غير نكيرة بينهم ،ورياسته لهذه الأعصار مخصوصة ببني أبي غبول ويزعمون أنهم من بني واكير ،إحدى بيوت بني واركلا ، وهو بذو العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غبول ، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب .⁽¹⁾) ، ويفهم من كلام ابن خلدون أن الحكم السائد في وارجلان خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ، هو حكم ملكي وراثي و يلقب الملك فيه بالسلطان ، وما يلاحظ عليه أنه لا يملك بلاطا ملكيا ،بل يسير البلاد من منزله الخاص دون تجبر ولا غطرسة، يساعده في ذلك مجلس الجماعة الذي ينظر في الشؤون الأمنية والاقتصادية،وعلى الخصوص ذات الصلة بالتجارة مع السودان ، وحركة البدو الرحل الذين يحيطون بالمدينة،وقرارات السلطان ومجلسه تحترم وتطبق من الجميع بما فيها القصور المحيطة بالحاضرة إلى غاية قصر⁽²⁾ المنيعة. وعمرت هذه السلطنة قرنا من الزمن من سنة 682 إلى 783 هـ 1283 إلى 1381م وسقطت على يد سلطنة تغرت⁽³⁾ ، وكانت طوال هذه المدة تدفع الضريبة إلى الدولة الحفصية بتونس .

. سلطنة الأشراف الفلاليين (مطلع القرن 10 هـ 16م إلى مطلع القرن 11 هـ 17م).

إن الوضع العام الذي أصبح سائدا في الجهة من مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، من انتشار للفكر الصوفي ، وتغيير التركيبة الاجتماعية للمجتمع بسبب تطعيمه بقبائل بني هلال ، و انتشار المذهب المالكي إلى جانب المذهب الإباضي وتأثير قوافل الحجيج المارة عليها من شنقيط و الساقية الحمراء و وادي الذهب و جنوب المغرب الأقصى والتي كثيرا ما يبقى أفراد منها إما بإرادتهم أو بطلب من الأهالي ، وإذا حدث وأن مات أحد علماء ركب الحجيج يدفن في وارجلان و تشيد عليه قبة، ومع مرور الزمن تصبح مزارا ، وبهذه الطريقة أصبحت الجهة تحتوي على

(1) . عبد الرحمن (ابن خلدون) : المصدر السابق، ج7، ص.107.

(2) - Lethielleux (Jean): op. cit .p.p..142.

(3) . عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق ، ص. 99.

على مئات الأضرحة والقباب، ما زالت تحترم وتزار إلى غاية هذا العهد. أما الذين بقوا فقد التفت حولهم الناس و تكونت بفضلهم قرى وأرياف على ضفاف المدينة مثل سيدي سالم بعجاجة⁽¹⁾ و سيدي موسى و سيدي عطاء الله بالشط و سيدي اخويلد بالقرية التي تحمل اسمه .

كما ظهرت في هذه الفترة ظاهرة اجتماعية بين عوام الناس، تتمثل في احترام وتبجيل كل من يقول أنا شريف وآتي من الغرب و صلت إلى درجة التبجيل، ونظرا للمكانة التي حظيت بها هذه الفئة اقترب منها أعيان الحاضرة ، و وقع اختيارهم على رجل شريف النسب فلالي المولد يدعى مولاي موسى الفلالي، كان ذلك في مطلع القرن العاشر الهجري مطلع القرن السادس عشر ميلادي، حيث أكد ذلك الحسن بن الوزان الذي جال جنوب الأطلس الصحراوي من جنوب المغرب إلى جنوب ليبيا في الفترة ما بين 919 . 933 هـ . 1513 . 1526 م⁽²⁾ و قال عن وارجلان : (لواركلة أمير يشرفونه كالمك يعيل نحو ألف فارس من حرسه ، و يجبي إليه من إمارته مائة و خمسون ألف مئقال ، ويؤدى إلى جيرانه الأعراب خراجا مرتفعا⁽³⁾ .)، لقد أعاد هذا السلطان تنظيم البلاد ، ونشطت في عهده التجارة و ظهر الرخاء و الغناء والترف على المواطنين .وبعد وفاته وقعت أمور تراجيدية في البلاد ، حيث ترك أربعة ورثة وهم . سليمان و موسى وعلي وحسان ، لم يضمّنوا مواصلة السلطنة بسبب مشاكل وقعت بين أحياء القصر الرئيسية وتدخلات القبائل الرحل المحيطة بالمدينة ، أدت إلى اغتيال السلطان سليمان بن مولاي موسى الفيلاي ،وما أن شعر خليفته مولاي موسى بهذه المؤامرات ضد الأسرة الحاكمة حتى فر مع قافلة تجارية تاركا البلاد دون سلطان⁽⁴⁾ غارقة في الفوضى وذلك في مطلع القرن الحادي عشر الهجري . السابع عشر للميلاد.

(1) . Lethielleux (Jean): op. cit .p.p.135.136.

(2) . الوزان: المصدر السابق: ج 1 ، ص.10.

(3) . نفس المصدر السابق: ج 2 ، ص.137.

(4) . Le Gouvernement general de l'Algerie: op. cit .p.386

4 . سلطنة بني علاهم (1011 هـ 1602م إلى 1266 هـ 1849م) : وأثناء هذا الوضع المتردي تقرر صفوة رجالات وارجلان⁽¹⁾ في مجلس الجماعة، أن تختار سلطانا آخر شريف النسب من عائلة بني علاهم، يدعى مولاي علاهم وذلك سنة 1011 هـ . 1602م وقد جهزوا له قصرا خاصا محصنا له أبراج للمراقبة، ومساحات خضراء بجوار عين بوسحاق، ووضعوا في خدمته عدد من العبيد وصل إلى أربعين⁽²⁾ مع كتيبة من الحراس، وكانت مهمته شرفية ومعنوية ورمزا للوحدة⁽³⁾، أما شؤون البلاد فيتكفل بها مجلس الجماعة، وبهذه الطريقة في التسيير مكثت هذه السلطنة أكثر من قرنين من الزمن إلى غاية 1266 هـ 1849م.

البنية الاجتماعية للسكان وارجلان في القرن السابع عشر ميلادي:

إذا كانت وارجلان في بداية تأسيسها تتكون من قبائل بربرية ، حلوا بها اضطراريا تحت ضغوطات خارجية من الشمال ، فإنها بعد القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي أصبح يتقاسم هذه الرقعة أكثر من جنس بربر و عرب و زنوج ، ومع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي دخلتها قبائل بني هلال كباقي الحواضر الصحراوية ، وفي الفترة مابين القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي و العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، أصبحت تعج بالقبائل والعروش، التي استوطنت على ضفاف المدينة بعضها بنى الدور والقصور والبعض الآخر بقي على حالته البدوية ردحا من الزمن و من بين هذه القصور والقبائل والعروش التي برزت على عهد سلطنة بني علاهم في القرن السابع عشر ميلادي نذكر :

قصر وارجلان: هو النواة الأولى في تأسيس وارجلان ويعد من القصور المغلقة ، يحيط به سور كبير له سبعة أبواب مصنوعة من خشب النخيل تغلق ليلا وعند الضرورة

(1) . Aumassip (G) et Al: op. cit. p.242.

(2) . Féraud(C) : R.A. Volume 30.op.cit.p. 374.

(3) . عبد الحميد (زوزو): ((الوضع في ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي)) ، الأصالة ، اع 41 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر 1977، ص.105.

في حالات الدفاع ويحيط به خندق مملوء بالماء ،ويرجح أغلب المؤرخين أن تأسيسه يعود إلى ما قبل الإسلام ، شيد على ريوه تطل على واحة كبيرة من النخيل من الجهات الأربع ، هدم عدة مرات ، أعنفها كانت على يد يحيى الميورقي بن غانية المرابطي سنة 626 هـ . 1229م، كما تعرض لغزوات عديدة خارجية طمعا في ذهبه⁽¹⁾، زاره الملك الحفصي أبو زكرياء في نفس السنة التي حطمه فيها بن غانية فأعجبه وشيد به مسجدا، يتربع هذا القصر على مساحة ثلاثين⁽²⁾ هكتارا ، ويتكون من ثلاثة أحياء رئيسية و هي بني واقين و بني سيسين⁽³⁾ و بني إبراهيم ، و به قصر السلطان ، ويحتوي على مرافق عمومية من سوق و مسجد جامع ، وتعرف أبوابه السبعة بالأسماء التالية . 1 باب السلطان . 2 باب ا حميد . 3 باب البستان . 4 باب الربيع . 5 باب رابعة . 6 باب عزي . 7 باب عمر أو لالة منصوره . ويعد عاصمة لجميع القصور المحيطة به .

قصر الرويسات : يقع هذا القصر في الجهة الجنوبية من قصر وارجلان ويبعد عنه بحوالي أربعة كيلومتر، تقول بعض المراجع⁽⁴⁾ أن سكانه الأصليين سكنوا في أول الأمر قارة كريمة التي تقع على بعد اثني عشر كيلومترا إلى الجنوب منه ، وفي مطلع القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، رحلوا من هذه الهضبة وحطوا عند مجموعة ربي صغيرة ذات رؤوس شبه حادة و بالتالي حملت المنطقة اسم الرويسات تصغيرا لكلمة الرؤوس وأول من سكن فيه هما عائلتا الصافي و بن ساسي ثم توافدت عليهم قبائل أخرى من عرش بني ثور و مخادمة والشعانبة، شكله مستطيلا⁽⁵⁾، جعله الشريف محمد بن عبد الله عاصمة لثورته ضد فرنسا ابتداء من سنة 1269 هـ 1852م

(1) . زهير (الزاهري) : «محاضرة عن تاريخ وارجلان» ، قدمها بوارجلان بدعوة من دار الثقافة ورقلة بمناسبة عيد العلم يوم 16 أفريل 1994م

(2) . Madeleine(Rouvilois Brigol) : op . cit. p .67.

(3) . Daumas (Eugène): Le Sahara Alerien . Paris. 1845. p .74.

(4) . Lethielleux(Jean) : op. cit .p.217.

(5) . Madeleine (Rouvilois Brigol): op. cit. p .75.

- قصر نقوسة: تسمى نقوسة أو منقوسة هذا الاسم أطلقه عليها الرجل الصالح سيدي صالح بن موسى ، ونقول المراجع إنه أقدم قصر في وادي مائة ، يعود إلى ما قبل الفترة النوميدية ، أعيد بناؤه عدة مرات ، عرف النظام الملكي منذ مطلع القرن الخامس الهجري القرن الحادي عشر الميلادي ، زارها الرحالة المغربي العياشي⁽¹⁾ في منتصف القرن السابع عشر وقال إنها مملكة قوية ، متعادية مع سلطنة وركلة ومتآزرة مع سلطنة وادي ريغ ، ومنذ مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي إلى منتصف الثالث عشر الهجري منتصف التاسع عشر الميلادي ، وهي مملكة قوية ومستقلة⁽²⁾، وامتد نفوذها من فران شمالا إلى بور الهيشة جنوبا قاد هذه السلطنة ثلاثة وعشرون سلطانا من سنة 412 هـ . 1021 م إلى غاية سنة 1265 هـ . 1848 م وتتكون من قصر كبير له أربعة مداخل وهي . باب باعلوش من الناحية الشرقية باب بساسي من الناحية الغربية . وباب زغبة من الناحية الجنوبية، وباب تمنونت أو باب السلطان من الناحية الشمالية و بها عدة مساجد ، ولعل من أبرزها مسجد سيدي صالح الذي مازال يحافظ على شكله القديم . أما من الناحية الاجتماعية فهي تتكون من عرش أولاد العربي وعرش أولاد هيمة أو المقاديم وعرش أولاد عطية، وعرش أولاد البساطي، وعرش أولاد سيدي نوح وعرش أولاد سيدي علي.

وأثناء دخول العثمانيين الجهة بقيادة صالح رايس سنة 960 هـ 1552 م عينت سلطان نقوسه ممثلا للسلطة العثمانية ، ومكلف بجمع الضرائب ، ومن أبرز سلاطين نقوسه في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي السلطان الغالي الذي حكم من سنة 1224 هـ 1818 م إلى 1258 هـ 1842 م والسلطان الحاج احمد بن بابية من سنة 1258 هـ 1842 م إلى 1268 هـ إلى 1851 م وسقطت هذه المملكة على يد المقاومة الشعبية سنة 1267 هـ . 1851 م⁽³⁾ .

(1) . العياشي: المصدر السابق ، ص . 49.

(2). Féraud (Charles): op.cit. pp. 262.263

(3) . يحيى (بوعزيز) : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ، دار البعث قسنطينة 1400 هـ .

قصر سيدي اخويلد: يقع إلى الشرق من قصر وارجلان ويبعد عنه بخمسة عشر كيلو مترا ، سمي بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسه الأول الرجل الصوفي الصالح سيدي اخويلد⁽¹⁾ الذي حل بالجهة مع زمرة من العلماء و الصالحين منهم سيدي سالم وسيدي عطاء الله ، فسيدي اخويلد مع شقيقه عبيد أو المعبد وأبن أخيه علي و أمه واصلوا الطريق على متن قافلة الحجيج المغربية المتوجه إلى البقاع المقدسة حتى وصلوا إلى الجريد التونسي وهناك أعاققتهم أحداث منعتهم من مواصلة الطريق، فمن الجريد انتشروا مرة ثانية في الأرض ، الأم استوطنت غدامس بالأراضي الليبية الحالية في منطقة تدعى بني مازير⁽²⁾، أما عبيد فقد أصبح رجلا صوفيا متجولا أسس العديد من الزوايا ما بين غدامس وتبسه حتى وافته المنية بمنطقة قرب مدينة تبسه أصبحت الآن تحمل اسم أولاد سيدي عبيد ، أما ابنه علي فقد توجه إلى منطقة الوادي ، و استقر في منطقة هناك وكون عرشا يعرف حاليا بأولاد سيدي علي بن عبيد ، بينما سيدي اخويلد قفل راجعا إلى الغرب فانتهى به المطاف في قرية عجاجة ، أين مكث بها مدة أنجب خلالها ابنه الأول جلول ، وبسبب خلاف داخلي بينه وبين أهل عجاجة⁽³⁾ ، غادر المكان بمعية أسرته و أتباعه ، وحط رحاله على بعد بضعة كيلومترات ناحية الشرق و هناك و في سفح الهضبة شرع في وضع الخلية الأولى لقصره ، وبعد أن وافته المنية دفن في السفح و وضعت له قبة كما كان شائعا في زمانه، وبعد مدة وفي مطلع القرن الحادي⁽⁴⁾ عشر الهجري السابع عشر ميلادي وقعت قلاقل في الجهة بسبب هجمات قبائل حميان الوافدة من الغرب، ولتحصين أنفسهم من هذه الاضطرابات التي تقع بين الحين والآخر، صعد أبناء سيدي خويلد إلى الهضبة المجاورة وشيدوا قصرهم الحالي من جديد سنة 1042هـ . 1632 م بمادة الجبس و الطوب ووضعوا

(1) . Daumas: op. cit .81.

(2) . Lethielleux (Jean) : op. cit .pp.136- 222.

(3) . Feraud (C): op.cit. p .273.

(4) . Madeleine (Rouvilois Brigol): op. cit. p .76.

له سورا خارجيا وأبوابا⁽¹⁾ ، أما عن التركيبة الاجتماعية لسكان القصر فهي تتكون من حيين حي أولاد سيدي خويلد و حي أولاد سيدي عطاء الله⁽²⁾ واشتهر هذا القصر بزوايته التي تعلم القرآن الكريم و علوم الدين ، امتهن سكانه مهنة الزراعة ، و هم مستقرون لا يخرجون إلا لفترات محدودة في السنة لرعي أغنامهم و مواشيمهم ولا يبتعدون كثيرا يرعون في محيط لا يتجاوز حاسي مسعود الحالي. وقد مر الرحالة الجزائري الحاج بن الدين الأغواطي على قصر سيدي خويلد سنة 1245 هـ . 1829 وقال : (وسيدي خويلد قرية وسط الرمال، وفيها الماء والتمر ، وجدرانها من الطين والسكان يتكلمون العربية ، وهم يستعملون الجمال للركوب و يلبسون الثياب المصنوعة من الصوف⁽³⁾) ونظرا للمكانة الروحية التي كان يتمتع بها قصر سيدي خويلد ، فإن سكانه كانوا معفيين من دفع الضرائب لسلطان وارجلان⁽⁴⁾.

قصر الشط :يقع قصر الشط على بعد سبعة كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من وارجلان ، حمل في تاريخه عدة أسماء منها عين عمار و العين الخضراء ، وإيمقراز (Imgraz)-⁽⁵⁾ باللغة الامازيغية الوركلية و الشط و هي أشهر هذه التسميات اشتقت من البحيرة المالحة التي تفصل بينه وبين وارجلان ، وهناك اختلاف في تاريخ تأسيسه و مؤسسه بعض المراجع ترجعه إلى مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي على يد الرجل الصالح سيدي موسى⁽⁶⁾ ، وهناك من يرجعه إلى ما بعد سقوط سدراتة سنة 673 هـ . 1274 م وساهم في تأسيسه الناجون من هذه الأحداث وهناك من يذهب إلى أن مؤسسه الحقيقي هو الولي الصالح سيدي بلخير في القرن

(1) . Ibid: p. 76.

(2) . بن يوسف (تلمساني): «الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842 م» مجلة المؤرخ ، ج1، 2002، ص.291.

(3) . أبو القاسم (سعد الله) : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986 ج2 ص.259.

(4) . بن يوسف (تلمساني): المرجع السابق ، ص.292.

(5) . Madeleine (Rouvilos Brigol) : op. . cit. pp. 74.75

(6)- Lethielleux (J) : op. cit .p.135.

الثالث عشر الميلادي . وقد بني كبقية قصور وادي مائة بالطوب والجبس و وضع له سورا خارجيا وأحيط بخندق يجري فيه الماء ، و به ثلاثة أبواب . الباب الرئيسي النادور بالقرب من عين عمر. و الباب الشرقي من الناحية الشمالية و الباب الغربي من الناحية الجنوبية ، يتقاسم العيش فيه ثلاثة عروش وهي :

1. عرش أولاد بن علي 2. عرش الشطوطة 3. عرش أولاد البساطي (1)

وقد اشتهر هذا القصر بعلمه وعلماؤه ورجاله الصالحين ، ومن بينهم سيدي بلخير الشطي وقد شبهه بعض المهتمين بالتراث الثقافي بفاس ومكناس من حيث العلم والعلماء والمخطوطات .

قصر عجاجة : يقع شرق وارجلان على الطريق الرابط بينها وبين سيدي اخويلد ومتجاورا مع قصر الشط، أطلق عليه هذا الاسم حسب الروايات الشفهية نسبة إلى العجاج و العجاج هو نوع من الريح الذي تهب على شكل دوائر، وما دام هذا النوع من الريح يكثر في هذا الموقع فحمل اسمه، و هناك من يقول نسبة إلى صوت المياه التي تتدفق بقوة من الآبار الموجودة بهذه الجهة.أسس هذا القصر الرجل الصالح سيدي سالم الآتي من الغرب ، و الذي اختار هذا الموقع و حفر به جبا مياهه قوية تتدفق على وجه الأرض ، وذلك في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي فالتلف حوله الناس ، وشرعوا في بناء منازلهم بالطوب و الجبس فتلاحمت بجوار بعضها البعض حتى كونت قصرا له باب رئيسي في الجهة الجنوبية(2) ، وتحيط به الواحات من كل الجهات، ويتشكل هذا القصر من الناحية الاجتماعية من عرشين : عرش أولاد بن نصر الله . و عرش أولاد سيدي عبد الرحمان.

الديار أو القصور المفتوحة: بالإضافة إلى القصور التي تميزت بها الحاضرة ، والتي كانت متلاحمة و محصنة ومحروسة و بها جل المرافق العمومية من دكاكين و مساجد و زوايا، ظهر على أطرافها في الفترة الممتدة ما بين مطلع القرن

(1). بن يوسف (تلمساني): المرجع السابق، ص. 293.

(2) . Madeleine (Rouvilois Brigol): op. cit. p. 74.

الحادي عشر الهجري . السابع عشر الميلادي والقرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي ، ما اصطلح على تسميته بالديار أو القصور المفتوحة⁽¹⁾ ، وهي منازل قليلة العدد وغير متلاحمة قد تصل المسافة بين الدار والدار في بعض الأحيان إلى واحد كيلو متر، ويختلف بناؤها عن القصور من حيث كونها مسقفة بالقباب وشوارعها واسعة وغير مسقفة ،يحتوي المنزل على فناء كبير متعدد الأدوار فهو مرتع للمشاة و تتصب فيه الخيمة عند الضرورة. وهذه الديار في الغالب لا تسكن إلا فصلين في السنة الخريف و الشتاء ، وتكون شاغرة في الربيع والصيف لكون سكانها يرحلون مع مواشيهم في هذه الفترة ولا يرجعون إليها إلا في فصل الخريف لجني تمورهم و شراء مؤونتهم ،و وصفت هذه الفئة من المجتمع بصفة نصف بدوية (Semi-nomade)، واشتقت أسماء ديارها إما نسبة إلى قبائل كديار بني ثور وديارمخادمة، أو نسبة إلى بئر الذي يعرف محليا باسم الحاسي كديار حاسي ميلود وديار حاسي الشتاء، أو نسبة إلى آبار كبرى تجري في بعض الأحيان على وجه الأرض وتعرف محليا باسم عين كديار عين البيضاء وعين موسى أو نسبة إلى تضاريس طبيعية كديار الحدب والرويسات، أو نسبة إلى رجل صالح كديار سيدي بوغوفالة.

و خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر الميلادي توسعت هذه الديار ، و استقر سكانها أكثر وأصبحت قرى تشارك في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية لوارجلان .ومن أهم هذه القصور و الديار و القرى التي كانت موجودة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي هي: قصر وارجلان . قصر نقوسة . قصر الشط . قصر عجاجة . قصر سيدي خويلد . قصر الرويسات . حي بني ثور . حي مخادمة . حي سعيد عتبة . حي عين البيضاء . قرية أم الأرناب . قرية عين موسى . قرية البور . قرية فران . قرية بامنديل . و قرية الحدب . و قرية سكرة

(1) . Ibid: p.78.

الدخول العثماني إلى وارجلان :

في الفترة التي دخل فيها العثمانيون الجزائر في مطلع القرن العاشر الهجري مطلع القرن السادس عشر ميلادي ، كانت وارجلان سلطنة مستقلة قائمة بذاتها، تحت قيادة السلطان مولاي موسى الفلالي الأول، وكذلك الشأن بالنسبة للإمارة المجاورة تقرت المستقلة ، وكانتا تدفعان الضريبة إلى السلطة العثمانية أيام خير الدين باشا ، لكن بعد وفاته امتعتا عن دفع هذه الضرائب، فطالبتهما الإدارة المركزية العثمانية الجديدة بدفع مستحقتهما الضريبية فرفضتا هذا الأمر⁽¹⁾، اعتقادا منهما أنهما إمارتان مستقلتان وبعيدتان في أعماق الصحراء ، و لا يمكن النيل بهما⁽²⁾ ، بالمغامرة في صحراء يجهلها الجيش العثماني جهلا تاما⁽³⁾ ولكن وقع ما لم يكن في الحسبان، إذ شن صالح راييس حملة عسكرية على إمارتي وارجلان و تقرت، و ألزمهما بالطاعة التامة لإيالة الجزائر و فرض عليهما ضريبة .

حملة صالح راييس (960هـ . 1552م): خرج صالح راييس باي لارباي الجزائر في شهر أكتوبر⁽⁴⁾ من سنة 960هـ 1552م على رأس قوة عسكرية برية كبيرة ، تتكون من ثلاثة آلاف جندي مسلحين بالبنادق ، وألف من الخيالة و ثمانية آلاف شخص من البربر، و مدفعين ، ولانجاز هذه المهمة مكث أكثر من شهر ونصف في الطريق وأربعة أيام استغرقها في حصار إمارة تقرت، انتهت بقصف المدينة بالمدافع لمدة ثلاثة منها واحد وعشرون يوما من الجزائر إلى بسكرة، و خمسة أيام من بسكرة إلى تقرت أيام متواصلة، و إلقاء القبض على الأمير و إعدامه بقذفه من المدفع تمزق أشلاء وأسر ولي العهد وفرضت عليها ضريبة ، ثم توجه إلى وارجلان في شهر نوفمبر من

(1)- Haedo (Fray).traduction .H.D. de grammont “ Histoire des rois d’Alger” .
R.AN.24.1880.p.271

(2) .Madeleine (Rouvilois Brigol): op. cit. p.27

(3) . العزيز سامح (التر): الإتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر ،دار النهضة العربية بيروت لبنان، 1989 م ، ص.185.

(4) . H.D.de grammont : op. cit. pp.271.272.

نفس السنة، وما إن علم سلطانها مولاي موسى الفيلاي بذلك، و تقاديا لسفك الدماء في معركة غير متكافئة مثل ما وقع في تقرت، حتى فر برفقة أربعة⁽¹⁾ آلاف فارس إلى أقصى نقطة من سلطنته إلى قصر المنبوعة الذي يقع إلى الجنوب على بعد سبع مراحل إي سبعة أيام من السير، وتحصن هناك وما إن وصل صالح راييس بعد مسيرة أربعة أيام⁽²⁾ حتى وجد المدينة خالية على عروشها، أبوابها مفتوحة و دكاكينها أغلبها مغلقة ولم تواجهه أية مقاومة تذكر، فأخذ ما شاء ومكث عشرة أيام ينتظر عسى و أن يرجع سلطانها وما أن يؤس من الانتظار حتى قفل راجعا إلى الجزائر و معه غنائم كثيرة قدرها بعض المؤرخين بخمسة عشر ألف بغير محملة بالذهب وأكثر من خمسة آلاف أسير⁽³⁾ من العبيد والأقمشة والجواهر والجلود، وفرض عليها ضريبة جديدة قدرت بثلاثين عبدا⁽⁴⁾ من عبيد السودان تدفع سنويا إلى الجزائر وعندما وصل إلى تقرت نصب سلطانها الشاب، وفرض عليه ضريبة تقدر بخمسة عشر عبدا ، وطالبه بالولاء للعثمانيين، وبعد هذه الحادثة عاد سلطان وارجلان إلى إمارته، فوجد المدينة لم تحطم ولم تقصف بالمدافع ولكن سلبت وفرضت عليها ضريبة قاسية، وطلب منها الولاء للسلطة العثمانية بالجزائر مع بقاء السلطنة المحلية قائمة بشكلها الوراثي المعهود.

حملة يوسف باشا (1057هـ 1647م) : وصل يوسف باشا إلى منصب باشا الجزائر ثلاث مرات كانت آخرها سنة 1057 هـ 1647⁽⁵⁾، وقد عرفت فترته الأخيرة بعض الاضطرابات في الأجزاء الشرقية والجنوبية من الإيالة، على شكل تمرد وعصيان وامتناع عن دفع الضريبة السنوية المفروضة عليهم، فما كان بوسع يوسف باشا إلا الخروج هو بنفسه لإخماد الفتن وإرجاع هذه الجهات إلى الحضيرة العثمانية

(1) . ناصر الدين (سعيدوني) : المرجع السابق ، ص . 76 .

(2) - Charles Feraud (C):R.A. N. 30..1886.p.373

(3) - وولف (جون) : الجزائر و أوروبا ، تر، أبو القاسم سعد الله ، طبع ، ش.و.ك. 1986 م ، ص، 70

(4). أندري (شارل جوليان) : تاريخ إفريقيا الشمالية، تر، محمد مزالي ،الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1978 ، ج2 ، ص.343 .

(5) . عزيز سامح (التر) : المرجع السابق، ص.662 .

حدث ذلك في خريف سنة 1059 هـ . 1649م⁽¹⁾ إذ جهز حملة عسكرية بقطع من المدافع⁽²⁾ ، وسلك نفس الطريق الذي مر عليه صالح رايس حتى وصل إلى تقرت وأجبرها على الطاعة والامتثال للأوامر العثمانية و خاصة الالتزام السنوي بدفع الضرائب، ومنها عرج على وارجلان ، وعندما اقترب من سورها المحصن ضربها بقذائف مدفعية دون أن يقتل سلطانها وطالبه بعدم التمرد مرة ثانية، وخفض له الضريبة السنوية من ثلاثين عبدا اسود إلى خمسة وعشرين⁽³⁾.

وبعد حملتي صالح رايس ويوسف باشا ، لم تعرف وارجلان حملات عثمانية قوية بهذه الشدة بل كل ما تواصل هي حملات لجمع الضرائب ، في حين عرفت الإمارة المجاورة بني جلاب بتقرت سلسلة من الحملات الأخرى منها حملة صالح باي وحملة باي قسنطينة أحمد المملوك⁽⁴⁾ سنة 1234 هـ . 1818م

الضرائب العثمانية المفروضة على وارجلان: لقد ورد في سجل التشريفات العثماني⁽⁵⁾ المسجل بتاريخ 20 صفر 1205 هـ . 1790م والذي يظهر من خلال جداوله أن المنطقة من تقرت إلى وارجلان تدفع خمسة وأربعين عبدا من السود موزعة كالاتي:

. تقرت تدفع سنويا ستة عشر عبدا أسود .

. تماسين تدفع سنويا أربعة عبيد سود .

. وارجلان تدفع سنويا خمسة و عشرين عبدا اسود .

خلاصة الفصل :

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن وارجلان حاضرة صحراوية من حيث الموقع الجغرافي وعتيقة من حيث القدم و التاريخ ، أرجعها المؤرخون إلى العصر الحجري القديم

(1) . عبد الرحمن (الجيلالي): تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة بيروت لبنان ، 1980 ، ج2 ، ص، 136.

(2) . Trumelet(C) : op. cit. p. 26.

(3) . Feraud (Charles):R.A. volume.23.année. 1879.p. 270 .

(4) . ناصر الدين (سعيدوني) : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792 . 1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985 م ، ص.124 .

(5) . Feraud (C):op. cit . p .271.

بناء على ما جمعوا من آثار من محيطها تعود إلى فترة ما قبل التاريخ. وقد اختلف المؤرخون في أصل تسميتها من واركلا إلى وارجلة ووارجلان وأخيرا ورقلة وكل هذه الاختلافات مردها اختلاف نطق الأسماء البربرية من مجتمع لآخر . وقد رجحت وارجلان لكون هذا الاسم ورد في أقدم المصادر التي وصلتنا من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي . وقد مر على أديمها العديد من الأجناس البشرية من الغرمنتيين والأثيوبيين والجيتوليين و أخيرا البربر و العرب و الزنوج .

دخلها الإسلام في نهاية القرن الثاني الهجري مطلع الثامن الميلادي عن طريق الدعاة والتجار دون حملة منظمة لذلك، وساهم دعائها وتجارها في مواصلة نشره في إفريقيا جنوب الصحراء. توافد عليها الفارون من الاضطهاد العبيدي بعد سقوط الدولة الرستمية في نهاية القرن الثالث الهجري مطلع العاشر ميلادي، واستقروا وامتزجوا مع الأهالي ، وأسسوا مدينة سدراتة وأعطوا نفسا جديدا للحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالحاضرة حتى أصبحت رائدة في التجارة والعلم إلى غاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وتدهورت بعد هذا التاريخ بسبب الهجمات الخارجية التي تعرضت لها من طرف الميورقي يحيى بن غانية(626هـ 1229م) والمنصور المزني (673هـ 1274م) .

وابتداء من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي تأسست بها إمارات مستقلة على شكل سلطنات وهي : سلطنة بني غابول ثم سلطنة الفلاليين وأخيرا سلطنة بني علاهم. و دخلها العثمانيون في منتصف القرن السادس عشر ، وتم ضمها لإيالة الجزائر .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

القوافل التجارية ومسالكها الصحراوية من
وارجلان إلى السودان الغربي

. الجذور التاريخية لعلاقة وارجلان بالسودان الغربي

. تحضيرات القافلة التجارية للرحلة .

. المخاطر التي تواجه القافلة أثناء الرحلة.

. المسالك الصحراوية من وارجلان إلى السودان الغربي .

الجدور التاريخية لعلاقة وارجلان بالسودان الغربي:

لقد أجمعت الدراسات التاريخية على أن العلاقات التجارية ما بين حواضر شمال الصحراء ، وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء قديمة فرضتها المصالح المشتركة والتكامل الاقتصادي ما بين الضفتين، و من بين هذه الحواضر حاضرة وارجلان التي أقامت لها علاقات مع السودان الغربي منذ ما قبل الإسلام ، وكانت نقطة هامة من نقاط عبور القوافل التجارية القرطاجية النوميدية والرومانية المتوجهة إلى الهقار والنيجر⁽¹⁾ وأعماق إفريقيا الغربية ، وكانت كثيرة الحركة نظرا لكونها متصلة بمسالك عديدة متجهة إلى بلاد السودان الغربي ، مرت عبرها العربات الرومانية في القرن الثالث الميلادي، هذا ما أثبتته العملة القرطاجية والرومانية التي عثر عليهما على المسلك الرابط ما بين وارجلان والمنيعية وهما معروضتان حاليا في متحف المنيعية .

وقد كانت وارجلان وغيرها من الحواضر الصحراوية معبرا لحضارة البحر البيض المتوسط⁽²⁾ القديمة ، و انتقلت عبرها الحضارة العربية الإسلامية إلى إفريقيا عن طريق القوافل التجارية التي أوصلت الدعاة ورجال الصوفية إلى هذه الأمصار وتواصلت هذه الحركة دون انقطاع لمدة زمنية تجاوزت العشرة قرون ، وبلغت قمة عطائها خلال الفترة الإسلامية من القرن . الثاني للهجرة . نهاية الثامن و بداية التاسع للميلاد إلى غاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ،حيث كانت لها الريادة⁽³⁾ في قيادة القوافل التجارية إبان الدولة الرستمية التي كانت تصل إلى مصادر

(1)-Lewicki (Tateuz): Études magrébines et soudanaises . Éditions scientifiques de la pologne .varsovie. 1976.p.9.

(2) . عبد القادر(زيادية): مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493 . 1591 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1971م،ص.211 .

(3) - الهادي المبروك (الدالي): التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية 1999م ،ص.299 .

الذهب الأولى بإمبراطورية غانة^(*) الوثنية، وظلت هذه العلاقة قائمة حتى بعد سقوط الدولة الرستمية⁽¹⁾، بل تطورت أكثر على الأيام التي بلغت فيها سدراته⁽²⁾ الأوج من القرن الرابع الحجري العاشر ميلادي إلى مطلع السابع الهجري الثالث عشر الميلادي حيث كانت تجارة وارجلان تصل إلى كل من تادمكة⁽³⁾ (Tademkka) - وغاو (Gao) - وغانة (Ghana) و قوارة (Guyara) - وزافوني (Zafunu) - وكوقا (Kuga) - وكوار (Kuwar) - و زاقاوا (Zagawa) - وزاقاري (Zagari) - ومالي (Mali) - وتاكدة (Takedda) و أغاديس (Agades) ونقارة (Neggara) .

وقد كان تجار وارجلان في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي يشترون معظم ذهب نقارة المشهورة بإنتاجها القوي لهذه المادة النفيسة التي هي من إقليم غانا وتبعد عنها بمسيرة ثمانية أيام⁽⁴⁾ . وكما كانت وارجلان بمثابة ميناء كبير للبضائع التجارية العابرة للصحراء في عهد الدولة الحفصية من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي إلى التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، حيث كانت تتجمع فيها السلع القادمة من القيروان و الجريد التونسي و سكيكدة و قسنطينة ومنها تتوجه إلى السودان

(*) . إمبراطورية غانة الوثنية : هي أول إمبراطورية ظهرت في السودان الغربي ، أخذت اسمها من أسماء ملوكها ، وشملت رقعة جغرافية واسعة جدا من جنوب موريتانيا و شرق السنغال و جزءا من مالي و غينيا . ويرجع الدكتور عبد القادر زبادية تاريخ تأسيسها إلى القرن الثالث الميلادي ، ومر على تسيرها عشرات الملوك ، دخلها الإسلام في القرن التاسع ميلادي عن طريق تجار شمال إفريقيا ومن ضمنهم تجار تيهرت و وارجلان ، قد بلغت أوجها و قوتها في الفترة ما بين القرن الثالث إلى الخامس الهجري التاسع الحادي عشر الميلادي ، واتخذت من مدينة كوبي صالح عاصمة لها ، وسقطت على يد إمبراطورية مالي سنة 638هـ - 1240 م . (أنظر كتاب : عبد القادر (زبادية) : مملكة سنغاي في عهد الإسقيين 1493 - 1591 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971 ، ص.16 .

(1) . عبد الكريم يوسف (جودت) : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ص.266 .

(2) . محمد (ظمار) : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983 ، ص.97 . op.cit .

(3) . Lewicki (Tateuz) : p32 .

(4) . الإدريسي (الشريف) : المصدر السابق ، ص.24 .

الغربي⁽¹⁾ ، وكانت بحق بوابة للسودان حيث إن معظم الدول التي قامت في الجهة الشرقية من منطقة شمال إفريقيا قد استعملت هذه المحطة الإستراتيجية الهامة في الجهة في تجارتها مع إفريقيا جنوب الصحراء ، وعلى الخصوص الدولة الحمادية⁽²⁾ والدولة الحفصية.

وقد ذكرت بعض المراجع أن كانكان موسى^(*) سلطان مملكة مالي عندما كان ذاهبا إلى البقاع المقدسة سنة 725 هـ 1324 م ، مر بالتراب الإقليمي لسلطنة وارجلان، وأرسل مندوبين عنه إلى سلطانها طالبا منه تعزيز العلاقات التجارية ما بين السلطنتين⁽³⁾ .

وما تجدر الإشارة إليه أن العلاقات التجارية ما بين وارجلان و السودان الغربي، كانت جد متميزة في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي خاصة مع مملكة أغاديس (Agades)، حيث وصلت إلى درجة أن بعض التجار قطنوا هناك ، وبلغوا من الثراء درجة عالية جعلتهم يمشون في الأسواق بالحراس⁽³⁾ ، وقد أشار الحسن بن الوزان إلى هذا التميز عندما تطرق في سنة 933 هـ . 1526 م إلى وارجلان⁽⁴⁾ واصفا سكانها بالغناء الكبير بسبب تجارتهم مع مملكة أغاديس، وسر ذلك بضاعة التبر والعبيد التي كانت تباع لتجار قسنطينة و سكيكدة و بجاية ، و تونس ، الذين كانوا يتعاملون مع سوق وارجلان ويشترون منه معظم البضاعة الواردة من السودان الغربي ونتيجة لهذا التدفق المالي الكبير من القرن الرابع إلى القرن العاشر هجري . القرن العاشر إلى السادس عشر ميلادي، أصبح سكان الحاضرة من أغنياء زمانهم، ويملكون

(1) . برنشفك (روبار): تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، تر، حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي لبنان 1988 م ، ج2، ص.265.

(2) . رشيد (بورويبة) : المرجع السابق، ص.150 .

(*) . كانكان موسى: سلطان إمبراطورية مالي و من أشهر سلاطينها حكم مدة واحد وثلاثين سنة من 1308 إلى 1337م. وقام برحلة مشهورة إلى البقاع المقدسة سنة 1324 م . تصدق فيها بأطنان من الذهب على الفقراء المسلمين

(3). Lethielleux (J): op.cit .p. 150.

(4). Lewicki (T): op.cit.p.75.

(4) . الوزان: المصدر السابق، ص. 136 .

الدور و القصور الجميلة و لهم عملة ذهبية تسمى الدينار⁽¹⁾، يضربونها من تبر السودان، و مدينتهم مقصد كل طالب للمال و للكسب والثراء، حيث قال عنها أبويعقوب يوسف الوارجلاني المتوفى سنة 570 هـ . 1174م في قصيدته الحجازية المشهورة ما يأتي⁽²⁾ :

جزى الله عنا وارجلان خير ما جزى به بلدا عن طالب الخير سائر

هو جنة الدنيا و أبواب مكة وأبواب تبر غانة و الدنانير

فمن كان يبغي الحج فليأت وارجلان يجد سبلها رحبا و خفرة خافر

ونظرا لسهولة الذهاب إلى السودان الغربي، وضمان نجاح التجارة فيه، أصبح تجار وارجلان يضربون مواعيد لبعضهم البعض هناك لغرض تسديد دين ، أو تسليم بضاعة في كل من مالي و أغاديس و تادمكة⁽³⁾ وغانا ، وكانت لهم مستودعات لتخزين بضاعتهم ، وبعضهم استقر وتزوج من أهل السودان ، وامتنه مهنة الوساطة التجارية ما بين تجار شمال الصحراء وجنوبها في كل من مالي والنيجر، هذا ما أكده الرحالة المغربي بن بطوطة عندما تجول في إمبراطورية مالي سنة 754 هـ 1353م ووجد من بين ساكنيها المقيمين من هو من شمال إفريقيا ومن هو على المذهب الإباضي. هذا ما يؤكد أنهم من وارجلان لكون المذهب الإباضي كان سائدا بقوة خلال هذه الفترة بالحاضرة . وفي منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي أي ابتداء من سنة 960 هـ . 1552م ، أصبحت وارجلان تحت النفوذ العثماني مع احتفاظها بنظام سلطنتها المحلية ، فهي مطالبة بالولاء والمساهمة في تمويل ميزانية الإيالة ، عن طريق دفع ثلاثين عبدا اسود من عبيد السودان في القرن السادس عشر الميلادي وشيء من الذهب كهدايا وهبات و خمسة وعشرين عبدا في القرن السابع عشر ميلادي ثم باشماق من الذهب في القرن الثامن عشر الميلادي ، و أخيرا في القرن التاسع أصبحت تدفع العملة فقط، وكل هذه الضرائب المختلفة الأشكال والأنواع والكميات كانت توفرها وارجلان عن طريق تجارتها مع السودان في الفترة ما بين القرن الحادي

(1) . الإدريسي: المصدر السابق ، ص . 24.

(2) . إبراهيم بكير (بحاز): المرجع السابق، ص.222.

(3) . الشماخي: المصدر السابق ، ص.379.

عشر الهجري السابع عشر ميلادي مطلع الرابع عشر الهجري نهاية التاسع عشر الميلادي ، ولم تتعثر التجارة الورجلانية السودانية بهذه المتغيرات المستجدة على الصعيدين المحلي والدولي ، بل ظلت وارجلان مركزا تجاريا هاما لمنتجات السودان أين تتم مقايضة العبيد بمصنوعات ومحاصيل شمال القارة⁽¹⁾. وتذكر بعض المراجع أن مردود هذه العلاقة التجارية قد تراجع في العصور الحديثة لأسباب موضوعية نذكر منها:

. ظهور منافسة دولية كبيرة بعد الكشوفات الجغرافية .

. ظهور تجارة المحيطات البرتغالية.

. سقوط مملكة سنغاي على يد السعديين سنة 1591م⁽²⁾.

. وقوع انفلات أمني في السودان الغربي بسبب عدم وجود دولة مركزية قوية .

. نشطت حركة قطاع الطرق في الفيافي والقفار الصحراوية.

. زادت تكاليف القافلة التجارية بسبب تأجير حراس وجند طيلة مدة السفر .

. دفع ضرائب لحكام المدن التي تمر عليها القوافل أثناء الرحلة.

ورغم كل هذه المشاكل المستجدة لكنها لم تثن عزيمة التجار لكونها مهنة نبيلة لا يمكن الاستغناء عنها ومورد لهم الوحيد، حيث قال أحد شعراء الشعر الشعبي بوارجلان:

الجرب دواه القطران^(*) والفقر دواه السودان⁽³⁾

وبقيت هذه الحركة طيلة الفترة العثمانية، تشكل حلقة وصل و بوابة طبيعية ما بين الجزائر و إفريقيا السوداء⁽⁴⁾، و بصورة عامة فهذه العلاقة لم تتدهور إلا في النصف

(1) ناصر الدين (سعيدوني) والشيخ المهدي (بوعبدلي): الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ج4، ص.72.

(2) محمد عبد الغني (سعودي): قضايا أفريقيا ، المجلس الأعلى للثقافة الكويت ، 1980 م ، ص . 63.

(*) . القطران : مادة سائلة تستخرج من بعض الأشجار لونها أسود تستعمل قديما في علاج داء الجرب .

(3) . Damas: Moeurs et Coutumes de l'Algerie .Paris 1853. p 333 .

(4) . ناصر الدين (سعيدوني): الأصالة ، ع 41 ، المرجع السابق ، ص . 94.

الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي⁽¹⁾ أي بعد احتلال فرنسا للصحراء، وأصبحت القوافل التجارية تتعرض لهجوم الجيش الفرنسي على متن جماله السريعة⁽²⁾. وظلت حتى القرن العشرين⁽³⁾ أين عوضت سفن الصحراء بالشاحنات و سيارات الدفع الرباعي . ومن خلال ما تقدم وحسب المصادر و المراجع فإن علاقات وارجلان مع السودان ضارية في القدم تعود إلى ما قبل الإسلام ،وقد تعززت أكثر في الفترة الإسلامية⁽⁴⁾ بسبب الطلب الأوروبي الكبير على بضاعة غرب إفريقيا خاصة مادتي الذهب والعبود و انكشفت قليلا في التاريخ الحديث ، وهددت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد بالسلاح إبان الاستعمار اعتقادا من فرنسا أن هذه القوافل التجارية تدعم المقاومة الشعبية ، وتهرب الأسلحة، وتتاجر في بعض المحظورات بالإضافة إلى رغبة فرنسا الجامحة في احتكار هذه التجارة.

تحضير القافلة التجارية للرحلة:

إن المد الحضاري العربي الإسلامي الذي وصل إلى السودان الغربي في الفترة الإسلامية ، واستمر في الحديث و المعاصر، و ترك آثارا ما زالت ماثلة للعيان إلى يومنا هذا ، من انتشار للإسلام وللغة العربية ، وللطرق الصوفية ، وللعادات والتقاليد الإسلامية ، توج بظهور إمارات ودول تبنت الشريعة الإسلامية منهاجها سياسيا واقتصاديا في تسيير شؤونها العامة ، وانتعاش للحركة التجارية ما بين ضفتي إفريقيا شمال الصحراء وجنوبها ، في اعتقادي ما كان ليتحقق بهذا الحجم وهذا التنوع لولا

(1). هوبكنز (أ.ج) (A.G.Hopkins): التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر، فؤاد (بلبع) ، المجلس العلى للثقافة مصر 1998 م ، ص.159.

(2) . محمد العربي (الزبيري) : التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 - 1830 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 م ، ص.161 .

(3) . هوبكنز (أ.ج): المرجع السابق ، ص. 165.

(4) . نفس المرجع: ص. 158.

وصول التاجر المسلم عن طريق القوافل التجارية بهذه الوسيلة البرية في النقل وقتذاك حيث تركز في الأساس على سفينة⁽¹⁾ الصحراء الجمل^(*)، قطعت آلاف الأميال في الفيافي والقفار، وربطت الشعوب مع بعضها البعض ، وظلت رائدة وقامت بما لم تقم به البواخر والسفن عبر المحيط الأطلسي حينذاك⁽²⁾ .

إن التحضير لهذه الرحلة يشرع فيه بعد أن تتجمع البضائع في مخازن وارجلان بصفتها أكبر ميناء بري⁽³⁾ في الصحراء و القادمة إليها من القيروان ، ومن البريد التونسي ومن قسنطينة و سكيكدة و بجاية و المسيلة ، وعندها يبدأ الوسطاء والمؤجرون لقيادة القوافل إلى السودان الغربي في التحضيرات الجادة لانطلاق القافلة من جميع الجوانب إذ تستغرق بضعة أيام لتوفير احتياجات رحلة فيها شيء من المجازفة والمغامرة تدوم أكثر من سبعين يوماً ذهاباً وأكثر من ذلك إياباً لكون بضاعة العبيد تسير على الأقدام وتحمل شيئاً من البضائع على رؤوسها.

وتتطلق التحضيرات بعقد جمعية عامة تضبط فيها مجموعة من الأمور منها:

اختيار مسؤول عن الرحلة و يفوض له بتسيير القافلة ، ويصبح له الحق في الأمر والنهي، وإعطاء إشارة التوقف والانطلاق، كما يعين في هذه الجلسة الإمام المرافق

(1) . محمد عبد الغني (سعودي): المرجع السابق، ص.61.

(*) . سفينة الصحراء الجمل : هو حيوان صحراوي ثدي ومجتر، استأنسه الإنسان منذ فجر التاريخ أي منذ حوالي 4500 سنة ، توجد منه في العالم عدة أنواع أبرزها الجمل العربي السائد في الجزيرة العربية وشمال إفريقيا وحيد السنام (كاميليس دروميداريس) ، ويصل وزنه ما بين 450 إلى 600 كيلوغراما و طوله من 1,85متر إلى أكثر من 2 متر ، لونه بني و بني داكن المائل للسواد و الأبيض ، يقاوم الظروف الطبيعية الصعبة برجله خف يساعده على السير في المناطق الرملية ، ويصبر عن شرب الماء لأكثر من نصف شهر ، ويستطيع أن يخزن أكثر من 300 لتر من الماء ، ويقطع مسافة 40 كلم في اليوم الواحد ، ويحمل ما بين 250 إلى 300 كلف استعمله الإنسان في مجالات عديدة في النقل وفي الحرب وفي الحرث ، وكما يستفيد الإنسان كذلك من لحمه ووبره و حليبه . (أنظر ، محمد شفيق (غريال) : الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر مصر ، 1965 ، ص.646.

(2) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ، ص.211.

(3) . برنشفك (روبار): المرجع السابق ، ص. 265.

ومن وظائفه: (إمامة القوم وإرشادهم ووعظهم في الأمور الدينية والصلاة على الأموات)، والمؤذن والطبيب الذي يعالج مختلف الأمراض بما فيها لسعات العقارب والثعابين وتجبير المكسور بالأعشاب الطبية⁽¹⁾ التي يحملونها معهم أو تلك التي يلتقطونها من الأرض وهم يعبرون الصحراء، والكاتب الذي يقوم بعملية تسجيل العقود الخاصة بالبيع والشراء وضبط الحسابات وتسجيل الوفيات إذا ما حدثت في أعضاء القافلة⁽²⁾، و(براح) يتولى مهمة الإعلان في وسط الركب بصوت عال عند وقوع أي حدث أثناء الرحلة، كما يحدد في هذه الجلسة كذلك مكان توجه القافلة، و مسلكها الذي يشترط فيه وجود نقاط الماء والبدو الرحل للاستعانة بهم في معرفة مكان ماء المطر الغدير، وتضبط احتياجات القافلة، ويشترط في التنفيذ كسواء أو كراء العدد الكافي من الإبل القوية القادرة على حمل البضاعة المراد شحنها، ويتم ختمها بطابع مالكا ويتم تأجير ما يعرف بالخبير أو الدليل أو المنير الذي له فراسة قوية في معرفة المسالك الصحراوية في النهار بواسطة معالم ونقاط إشارية يعرفها من السابق وله دراية بمعرفة طرق الاهتداء بالنجوم في الليل⁽³⁾، ومعرفة خصائص التربة لتساعده على معرفة الموقع الجغرافي الذي توجد به القافلة عند الضرورة، ويعرف أماكن الآبار والمراعي الخاصة بالإبل، ويساعده شخص يسمى (الشواف) الذي يشترط فيه أن يكون حاد النظر لكي يتمكن من رصد أي تحرك قادم من بعيد لعدو أو لصديق، وللدليل مسؤولية كبرى عن أي مكروه يصيب القافلة، وإذا بقي على قيد الحياة بعد تعرض القافلة لأي حادث فإنه يحاسب على أخطائه ويدفع دية الأموات، كما يتم كذلك تعيين الحراس للقافلة لضمان الأمن لها من الرجال الأقوياء الأشداء⁽⁴⁾ ويزودون بالأسلحة

(1) . محمد الصالح (حوتية) : توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر و التوزيع الجزائر، 2007 ، ج 1 ، ص.142.

(2) .Daumas (E): op. cit. p. 329.

(3) . Ibid.p. 329.

(4) . يحيى (بوعزيز) : «طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر» ، الثقافة ، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، ع 59 ، 1980 ، ص.20.

المناسبة ، وشراء الحبال المصنوعة من الحلفاء أو من ليف النخيل لحزم البضائع ولربط الجمال بعضها بعض وعقلها عند الضرورة ، وتوفير العدد الكافي من الأكياس التقليدية أكانت (القراير)(*) أو (المزود) (**) وجمع المؤنثة الغذائية التي تغطي حاجة القافلة طيلة السفر من . الطعام و اللحم المجفف، والسكر والشاي والتمر و الرفيس (أكلة شعبية) والدقيق و الشحم و الكبريت والملح و البقول و الدهان كل ما يمكن أن يحتاجه وتوفر قرب (***) الماء الكافية من الحجم الكبير بمعدل قربتين لكل جمل، ويتم ضبط عدد الأشخاص الذين توكل إليهم مهمة قيادة الإبل ، وكذا الذين تسند لهم مهمة الرعي والخدمات العامة من جمع للحطب و طهي للطعام والتحسس من الوضعية الأمنية في المناطق التي سيمرون عليها وكذا حالة الآبار والمياه ، و يحدد تاريخ الانطلاق الذي يكون عادة في فصل الخريف بعد الانتهاء من جني التمور⁽¹⁾، لكي تتمكن القافلة من الذهاب والإياب قبل حلول فصل الصيف الذي يهدد الركب بالعطش والتزود بالأسلحة المناسبة للدفاع بها في حالة ما إذا تعرضت القافلة لأي خطر .

بعد أن يتم التحضير الجيد والمحكم للرحلة ، واتخاذ كل الاحتياطات اللازمة ، ويعلن يوم خروجها بالطرق التقليدية ، وفي حفل كبير بعد صلاة العصر تغادر القافلة التجمع السكاني، وتسير ناحية الجنوب الغربي مسافة لا تزيد عن عشرة كيلومترات وتحط في مرحلتها الأولى غرب قصر الرويسات ، وتبيت ليلتها الأولى هناك قريبة من القصور لكي يتمكن كل من نسي شيئاً من أغراضه أن يجلبه بكل سهولة ، وفي الصباح الباكر من اليوم الموالي تخرج القافلة إما اتجاه الناحية الجنوبية الغربية عبر مسلك المنيعه أو

(*) . قراره جمعها قراير : تسمية محلية للأكياس التقليدية تنسج محليا من الوبر والصوف وفي الغالب تكون باللونين الأحمر والأسود ، ومنها الحجم الكبير والصغير تحمل في المتوسط أكثر من قنطار ، يحمل منها الحمل من إثنين إلى أربعة ، ومقاومة وصالحة لحمل كل السلع باستثناء السوائل .

(**) . المزود : هو كيس من جلد الحيوانات

(***) . القربة : هي إناء تقليدي لحمل السوائل يصنع في الغالب من جلد الماعز بعد صبغه وطلائه (بالقطران) ويتم في الأخير غلق جميع مخارج هذا الجلد باستثناء فوهة الرقبة ، وفي الأخير تملأ بالماء وتعلق بالخيمة أو تحت ظل شجرة أو بالجمال أثناء الرحلات .

(1) . يحيى (بوعزيز) : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة الجزائر، 2001، ص. 49 .

من الناحية الجنوبية الشرقية عن طريق أمقيد متجهة إلى السودان الغربي ، وتسير حتى منتصف النهار وتتوقف لتناول وجبة الغداء، وشرب الشاي ثم صلاة الظهر والاستراحة قليلا، وتتطلق ثانية على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال⁽¹⁾، ثم تواصل سيرها إلى ما بعد المغرب ، حيث تتوقف للمبيت قرب بئر تقليدي أو ماء غدير، ويتم خلالها تجريد الجمال من الأحمال ، ويتركونها ترعى إلى غاية الصباح ، ثم تتطلق الرحلة من جديد بعد أن تزودت بالماء الصالح للشرب وروت إبلها، وهكذا دواليك إلى أن تصل إلى السودان الغربي بعد رحلة تدوم في أحسن الأحوال أكثر من ثلاثة شهور. محفوفة بعدد كبير من المخاطر منها ما هو طبيعي ومنها ما هو بشري.

المخاطر التي تواجه القافلة أثناء الرحلة:

إن قافلة تتكون من ثلاثة آلاف⁽²⁾ إلى اثني عشر ألف جمل⁽³⁾، ويرافقها أكثر من أربعمائة نفر، وتقطع الآلاف الكيلومترات خلال مدة تزيد عن الثلاثة أشهر كلها في الفيافي والقفار، فإنه لا مناص من وقوعها في جملة من المشاكل و المخاطر ومنها:

. التيه في الصحراء بسبب نقص خبرة الدليل في بعض الأحيان بالمسالك وطرق القوافل التجارية ، هذا ما يؤدي إلى الزيادة في مدة الرحلة ، أو هلاك عناصرها . . التعرض للزوابع الرملية التي تهب بين الحين والآخر، فتؤثر على سير القافلة خاصة في فصل الربيع، فتذهب معالم المسلك ، وتشوش على عناصر القافلة طيلة هبوبها التي تستمر في بعض الحالات إلى أسبوع كامل .

- إذا ما تأخرت القافلة في العودة إلي الضفة الشمالية من الصحراء وحل عليها فصل الحر وهي مازالت في الطريق تكون بحاجة كبيرة للماء وعدم العثور عليه في الوقت المناسب يعرضها للهلاك.

(1) . Jean Lethielleux: op.cit .p.170.

(2) . يحيى (بوعزيز) : الثقافة ، ع 59 ، المرجع السابق ، ص.18.

(3) . عبد الرحمن (بن خلدون) : كتاب العبر، المصدر السابق ، ج 6، ص.405.

. بعض الأماكن في الصحراء لا يوجد بها العشب الطبيعي ، هذا ما يؤدي بمسيري القافلة أن يقدموا للجمال الشعير والحبوب والمأكولات التي تكون معهم .

- تتعرض القوافل التجارية في كثير من الأحيان إلى هجمات اللصوص وقطاع الطرق التي يتزعمها التوارق⁽¹⁾ والبدو الرحل .

. تدفع رسوم وضرائب عالية في مواقع كثيرة من المسالك لحمايتها وتوفير الأمن لها طيلة وجودها على ترابهم، وإذا ما حدث وتم الاعتداء على القافلة تقوم الجهة الحامية بملاحقة العصابة و استرجاع ما سلب منهم.

. دفع حقوق التبليغ عن تحركات العصابات في الطريق إلى كل مدل بها حتى لا تباغتها وتقوم بتحضر نفسها لمواجهتها.

. تتعرض في بعض الأحيان الجمال إلى أوبئة طارئة تفتك بعدد كبير منها هذا ما يؤثر سلبا على عملية شحن البضاعة إلى السودان .

. توجد بالصحراء آبار للماء حفرها رجال محسنون صدقة جارية⁽²⁾ لغرض التقرب بها إلى الله ومنها عدد معتبر على طول المسالك الصحراوية وقد يحدث أن لا يعثر عليها دليل القافلة لعدة أيام بسبب ضياع علاماتها الإشارية ، أو ردمت بالرمال نتيجة الزوابع ، أو بفعل عصابات قطاع الطرق ، وإذا ما عثرت عليها القافلة في هذه الحالة يتطلب منها مجهودا و وقتا إضافيا لإعادة حفرها و تنظيفها، وفي كثير من الأحيان تباغتهم عصابات النهب والسطو وهم منشغلون بعملية الحفر مثل ما وقع لفلاتيرس عند تنظيفه لبئر الغرمة سنة 1881م .

. تصرف القافلة أموالا إضافية على الرحلة لغرض نجاحها و منها أجره الدليل والحراس، وحقوق تأمين الطريق، وهدايا لبعض الأسر العريقة في الصحراء نظير تقديم حماية لها⁽³⁾ في ترابها الإقليمي.

(1) . يحيى (بوعزيز) : الثقافة ، ع 59 ، المرجع السابق ، ص.19.

(2) . محمد الصالح (حوتية) : المرجع السابق ، ج 1 ، ص.143.

(3) . يحيى (بوعزيز) : الثقافة ، ع 59 ، المرجع السابق ، ص.20.

. تدفع قافلة شمال الصحراء رسوما جمركية كبيرة عند دخولها الأسواق السودانية

تختلف⁽¹⁾ في القيمة المالية من سوق لآخر ومن بضاعة لأخرى .

- لقد أصبحت تتعرض القافلة التجارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد الاحتلال الفرنسي لشمال الصحراء لمطاردة جيش الجمال السريعة الفرنسي (مهاريست) (Les Meharistes) وهذا ما أثر سلبا على جدية هذه التجارة .

. رغم كل هذه الاحتياطات فإنه كثيرا ما كانت قبائل الطوارق و البرابيش و الفلان تنمرد عن السلطة ، وتجبر القوافل على دفع إتاوات عالية كي تسمح لها بالمرور⁽²⁾ وهذا الثلاثي من القبائل يتحرك علي محور كبير جدا من جنوب عين صالح إلى أوجلة بالتراب الليبي شرقا ، وأولف و تمبكتو غربا ، وفي الجنوب الغربي حتى نهر السنغال وفي الجنوب الشرقي حتى جنوب بحيرة تشاد فمن تكون هذه القبائل الثلاث ؟.

الطوارق : وكما يعرفون بالملثمين أو الرجال الزرق ، يرجعهم بن خلدون إلى أصول بربرية صنهاجية ، وجدوا في هذه الجهة قبل الإسلام⁽³⁾ ، ويتميزون بلونهم الأبيض وبلغتهم الأمازيغية المكتوبة بحرف تيفيناغ ، يرتدي الرجل اللثام مع عمامة كبيرة على الرأس بينما تكون المرأة سافرة الوجه ، ويمتهنون مهنة رعي الإبل بالدرجة الأولى⁽⁴⁾ مع قليل من الغنم والماعز وتجارة القوافل ، يعتمدون في معيشتهم اليومية على الألبان ولحم الإبل وقليل من الحبوب ، ويستخفون بالزراعة و يسندونها إلى طبقة العبيد الذين يملكون منهم عددا كبيرا ، مساكنهم عبارة على خيم مصنوعة من الجلود ، وحياتهم مبنية على التجارة والترحال في مجال واسع جدا تحط قافلتهم أين يوجد الماء والكأ والمرعى، وما تلبث أن تغير مكانها. وفي أواخر شهر أوت من كل سنة عندما يحل موسم المطر في منطقة جنوب الصحراء ، يغادرون مضاربهم ويتركون العبيد يحرقون

(1) . عبد القوى عثمان (شوقي): التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك، المجلس الأعلى للثقافة مصر 2000، ص.91

(2) . الهادي المبروك (الدالي) : المرجع السابق ، ص.318.

(3) . محمد (سويدي): بدو الطوارق بين الثبات و التغيير ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص.73.

(4) . محمد شفيق (غريال) : المرجع السابق ، ص.1165.

و يزرعون ، ويتوجهون نحو الشمال إلى غاية جنوب عين صالح لرعي مواشيهم والقيام بالمبادلات التجارية مع القوافل القادمة في فصل الخريف من شمال الصحراء ويأخذون منها كذلك حقوق العبور والحماية .

أما حياة الطارقي الاجتماعية فهي مبنية في الأساس على الطبقة، حيث نجد ثلاث طبقات في هذا المجتمع⁽¹⁾ :

. طبقة الأسياد أو الأشراف « نماجيهان »

. طبقة الأحرار وتعرف بالطارقية « إيهكارن »

. طبقة العبيد و تعرف بالطارقية « لمغادن »

والطوارق يتكونون من عدة قبائل وداخل القبيلة الواحدة توجد مجموعة عشائر ، وعلى رأس كل عشيرة شيخ ، و أنبل عشيرة تسند إليها مهمة رئاسة القبيلة ورئيس القبيلة يدعى (أمنوكل) ، والحكم ينتقل بالوراثة لكن ليس لابن شيخ القبيلة وإنما لابن أخته ولشيخ القبيلة مجلس استشاري تحضره حتى النساء ، و يلاحظ في المجتمع الطارقي أن للمرأة حرية كبيرة حيث أنها لها الحق في إختيار زوجها ، أما أولادها فهم ينتسبون إليها ويلقبون باسمها العائلي ويرثون أمهم لا أباهم .

وينقسم الطوارق إلى ثلاثة أقسام :

. طوارق جبال طاسيلي ناجر وينتشرون في جانتي وإيليزي و غات وليبيا .

. طوارق جبال الهقار وينتشرون بتمنراست وضواحيها

. طوارق جبال أدرار . إفوغاس . وينتشرون في إفريقيا جنوب الصحراء بمالي وتمبكتو وإير

وأغاديس والنيجر ومنطقة الأزواد .

ومن هنا نلاحظ أن الطوارق يوجدون في منطقة واسعة جدا بالصحراء و جنوبها

(1) . محمد (الشلحي): «الطوارق أمازيغ الصحراء الكبرى»، مقالة على شبكة الأنترنت . قوقل طوارق .

الزيارة للموقع كانت يوم 30 / 01 / 2010 .

(2) . إسماعيل (العربي): الصحراء الكبرى و شواطئها ، المرجع السابق ، ص.75.

(3) . محمد الصالح (حوتية) : المرجع السابق ، ج1 ، ص.64.

وعليه فإن أراضيهم منطقة عبور لكل القوافل التجارية القادمة من شمال إفريقيا وبالتالي فهي ملزمة بدفع ضرائب إليهم نظير السماح لهم بالعبور وحمايتهم طيلة وجودهم على ترابها الشاسع الذي يتطلب قطعه أكثر من شهر .

البرابيش : هي قبائل عربية ذات أصول هلالية من فرع أولاد رحمون بن رزق بن أودي بن حسان، خرجت من جنوب المغرب الأقصى خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي⁽¹⁾، ومرت بالساقية الحمراء ووادي الذهب ، وتركت مجموعة منها هناك أصبحت تحمل اسم الحسانيين ، وواصلت السير إلى بلاد شنقيط (موريطانيا) وتركت مجموعة هناك أصبحت تحمل اسم الرحمانين ، ثم واصلت الرحلة إلى إفريقيا جنوب الصحراء ، انتشر أفرادها بضواحي نهر السنغال ونهر النيجر وبمنطقة تمبكتو وبالأزواد ، سمو بهذه التسمية نسبة إلى أحد أجدادهم المسمى (بريش) امتهنوا التجارة داخل السودان الغربي ، ووصلوا إلى درجة أنهم أصبحوا يسيرون في سوق تمبكتو ، ومن خلال هذه المهمة أصبحوا يتولون تحصيل الضرائب من القوافل التجارية القادمة من شمال الصحراء ومن ضمنها قافلة وارجلان .

الفلان : هي قبائل غير زنجية لكون أفرادها يمتازون بالشعر المسترسل ، والأنف المستقيم والشفاه الصغيرة ، واللون النحاسي الفاتح ، وقد اختلف الباحثون في أصل نسبهم حيث أرجعهم البعض إلى الجنس العربي ، والبعض الآخر إلى الفراعنة وآخرون إلى الرومان⁽²⁾ ، استوطنوا ضواحي نهر سنغال وانتشروا في جنوب موريطانيا وفي أجزاء كبيرة من السودان الغربي كان ذلك قبل الإسلام ، و يتكلمون اللغة البولارية ، اعتنقوا الإسلام في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وساهموا في نشره في إفريقيا الغربية وخاصة في منطقة التكرور ، وقد أنجبت قبائل

(1) . حسين بريوشي : «البرابيش» ، مقال بالإنترنت ، موقع hama.maktoobblog.com ، الزيارة لهذا الموقع كانت يوم 30 / 01 / 2010.

(2) . مقالة بعنوان : «الفلان والسنونكي» ، على الإنترنت ، موقع www.rayah.info ، الزيارة لهذا الموقع كانت يوم 30 / 01 / 2010.

الفلان العديد من العلماء مثل الفقيه إبراهيم موسى الفلاني ، والشيخ عثمان دان فودي، والحاج عمر الفوتي، امتهنوا مهنتي الرعي والزراعة والتجارة ، وسكنوا في مساكن مبنية، وفرضوا الضرائب على القوافل التجارية القادمة من شمال القارة والتي تعبر أراضيهم .

المسالك الصحراوية من وارجلان إلى السودان الغربي :

سلكت القوافل التجارية ما بين حاضرة وارجلان وحواضر بلاد السودان الغربي عدة مسالك صحراوية على مدار أكثر من عشرة قرون من الزمن من القرن الثاني الهجري التاسع ميلادي إلى الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي ،منها ما هو رئيسي و منها ما هو ثانوي ، ومن أهم هذه المسالك.

. مسلك وارجلان . تادمكة . غاو :

يعد هذا المسلك من أقدم المسالك المؤدية إلى السودان الغربي حيث ورد ذكره في المصادر القديمة في كل من كتاب طبقات المشايخ للدر جيني⁽¹⁾ و كتاب السير المشايخ للشماخي⁽²⁾، ويعد من أقرب المسالك المتوجه رأسا إلى السودان و يطلق عليه اسم طريق العبيد ، لكون معظم العبيد الذين تم جلبهم إلى وارجلان في العهد العثماني⁽³⁾ مروا على هذا الطريق ، وطوله مسيرة خمسين يوما إلى تادمكة حيث قال البكري :

(فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان..)⁽⁴⁾

هذا المسلك ينطلق من وارجلان ومنها إلى المنبوعة ، ثم إلى عين صالح ومنها إلى جبل (Mouydir) مويدير بمنطقة الهقار أين ينقسم إلى عدة مسالك أحدها يتجه إلى أغاديس (Agades)، وآخر يتجه إلى غاو (Gao) مرورا على منطقة (أبالسة) و (تين زاواتين) و (كيدال) ثم إلى (بورم) ومنها إلى تادمكة و أخيرا غاو. كما أشار إليه

(1) . الدرجيني: المصدر السابق ، ص. 77.

(2) . الشماخي: المصدر السابق ، ص. 379.

(3) - Lewicki (T): op cit.p.41.

(4) . البكري: المصدر السابق ، ص. 182.

ليفسكي (Lewicki) ، في حين يقدم جون ليتيليو (Lethielleux) معطيات أخرى مفادها أنه من عين صالح تتوجه القافلة إلى (تمنطيط) ومنها إلى (أولف) ثم إلى (والن) و (عين زيرة) ثم إلى (تادمكة) ومنها إلى (تابنكور) و أخيرا (غاو) وبقي هذا الخط مستعملا دون انقطاع إذ استعمل في القرن السابع عشر للميلاد من طرف قوافل شعانية⁽¹⁾ وارجلان واستمر إلى القرن التاسع عشر. (انظر الخريطة رقم(2) مسالك القوافل الصحراوية بالملاحق، ص.162.).

. مسلك وارجلان غانة Ghana:

بالإضافة إلى مسلك وارجلان تادمكة هناك مسلك ثان يقع إلى الغرب منه يتجه إلى غانة (Ghana) ، والذي يتزامن في حركته التجارية مع المسلك الأول ، و قد وصف هذا الطريق بطريق الذهب لكونه ينتهي (بنقارة) التي تبعد بمسيرة ثمانية أيام عن غانة⁽²⁾ أين يتم جمع الذهب في شهر غشت أي أوت بعد جفاف ماء الفيضان ويشتري اقلبه أهل وارجلان ،وقد قال أبو يعقوب يوسف الوارجلاني في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي . من أراد الغنى فعليه بغانة⁽³⁾ ، وقد ظل هذا الطريق مستعملا بعد سقوط الدولة الغانية على يد الإمبراطورية المالوية سنة 638 هـ 1240 م⁽⁴⁾ ثم في عهد إمبراطورية سنغاي و تواصل نشاطه إلى القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي. يتجه هذا الطريق في مساره من وارجلان إلى المنيعه ومنها إلى تتجورارين ثم تمنطيط ومنها إلى تغازة ثم ولاتة ومنها إلى اوداغست أين تلتقي بقوافل سجلماسة المغربية وتقطع خلالها واحدا وثلاثين مرحلة^(*) ، ثم تتجه إلى غانة التي تصلها بعد مسيرة ثلاث عشرة مرحلة⁽⁵⁾ ومنها إلى نقارة على بعد ثماني مراحل .

(1) . Lewicki (T): op.cit. p. 35.

(2) . الإدريسي: المصدر السابق ، ص. 24.

(3) . بحاز (إبراهيم باكير) : المرجع السابق ، ص ، 222 .

(4) . زبادية (عبد القادر) : المرجع السابق ، ص. 20 .

(*) . المرحلة : هي المسافة التي تقطعها القافلة خلال اليوم الواحد وتقدر بأربعين كيلومتر .

(5) . ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادي): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان 1979 ، ص. 92.

وفي أسواق غانة المتكونة من اوداغست وغانة و نقارة ، يتم بيع بضائع وارجلان وعلى رأسها التمر و الملح المشحون على شكل صفائح من مناجم تغازة ، يحمل منها الجمل لوحين ، كما تبيع الفائض من جمالها وخاصة العاجز منها و تشتري بدله العبيد و الذهب ، والجمال الشابة ثم تعود قبل نهاية فصل الربيع .

. مسلك وارجلان قوياارة Guyara:

على نفس المسلك السابق يواصل تجار وارجلان رحلتهم البرية إلى أعماق السودان الغربي من جهته الجنوبية الغربية بحثا عن الربح ، حتى يصلوا إلى مدينة الذهب المسماة قوياارة أو غياروا⁽¹⁾ (Guyara). لقد كانت هذه المدينة في القرنين السابع عشر والثامن عشر تعج بالتجار المسلمين الوافدين عليها من بلاد المغرب العربي⁽²⁾ ، وكانت مشهورة بتجارة العبيد والذهب و يشحن الفائض منها إلى أسواق غانة ، ويصل إليها تجار وارجلان على المسلك الجنوبي الغربي أي المنبوعة ثم تتجورارين ومنها إلى تمنطيط ثم تغازة وولاته إلى أن يصلوا إلى اوداغست بعد أن يقطعوا مسافة واحد وثلاثين مرحلة ، ثم يصلون إلى غانة بعد ثلاث عشرة مرحلة ، وبعد مسيرة أربع أيام يصلون إلى مدينة سامقندي⁽³⁾ المشهورة بوفرة الذهب حتى قيل عنها أن ذهبها يلمع في الليل عندما يسطع ضوء القمر، ومنها إلى بلدة تسمى (طاقة) وبعد يومين تدخل القافلة في أحد خلجان نهر السنغال يدعى (زوغوا) تعبره الجمال⁽⁴⁾ ولا يعبره الناس إلا بالقوارب خلال يوم واحد، ثم إلى بلدة غرنتل و منها إلى قوياارة أو غياروا بعد يوم من المسير أي بمجموع ثمانية أيام تقطعها القافلة من غانة إلى قوياارة حيث يصلون إلى هذا السوق الكبير أين يقبل فيه السكان على بضاعة شمال الصحراء وبييعونها بالذهب.

. مسلك وارجلان زافون Zafunu:

تواصل القوافل التجارية طريقها صوب الجنوب الغربي من مدينة غانة وعلى بعد

(1) . البكري: المصدر السابق ، ص. 177.

(2) - Lewicki(T) : op.cit. p .51.

(3) . ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى): المصدر السابق، ص. 93.

(4) . البكري: المصدر السابق ، ص ص. 177.178.

عشرين فرسخاً^(*) حوالي مائة و خمسة عشر كيلومتر أين تقع مملكة زافون⁽¹⁾ المتجاورة مع قوياروة ، وإلى هذه المناطق النائية تصل البضائع الورجلانية أين يتم تسويقها مقابل الذهب الخالص .

. مسلك وارجلان كوكا Kuga :

إلى الغرب من غانة وبضواحي نهر السنغال وغير بعيد عن مدينة التكرور تقع مدينة كوكا (Kuga) ذات الكثافة السكانية العالية ، وبها أسواق وتجار وصناع كثيرون، ومن غانة تقطع القوافل التجارية المسافة إليها في مدة شهر ونصف ،وأغلب سكانها مسلمون يقبلون على البضائع القادمة من شمال إفريقيا ، و كما اشتهرت هذه المدينة بوفرة التبر⁽²⁾ .ومنها تتجه قافلة وارجلان إلى عدة مدن تجارية أخرى إلى دنقلة التي تبعد بمسافة شهر من السير، وإلى سما (Sama) التي تبعد هي الأخرى بمسافة أقل من الشهر ، وإلى كاوكاو (Kawkaw) أو قاو (Gao) على بعد مسافة عشرين يوماً .

. مسلك وارجلان كوار Kavar :

ابتداء من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي وصلت القوافل التجارية الورجلانية إلى الممالك والمدن التي تقع في الجهة الوسطى والشرقية من السودان الغربي إلى غاية بحيرة تشاد ، أين حطت رحالها بمنطقة كوار (Kavar) وهي مجموعة واحات عامرة تقع في الصحراء ما بين إقليم فزان الليبي وبحيرة تشاد ،وتسلك قوافل وارجلان المسلك المؤدي إليها من وارجلان إلى غدامس ثم زويلة بمنطقة فزان ومنها تسير مدة خمسة عشر يوماً حتى تصل إلى كوار وتجار هذه الواحة من البرابرة المسلمين ، ومنها تواصل رحلتها أحيانا حتى إلى إمارة كانم (Kanem) التي تقع إلى الجنوب من كوار ، أين تتم عملية تسويق بضاعة شمال إفريقيا

(*) . الفرسخ : هو وحدة قياس مسافات طوله ثلاثة أميال أي حوالي 5,7 كلم في البر (انظر محمد فريد وجدي:

دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر لبنان ، ط3، 1971م، مج7 ، حرف الفاء ص.198).

(1)- Lewicki (T):op.cit. p.5.

(2) . Ibid: p. 53.

و تشتري بدلا منها العبيد و الشب (Ulun)⁽¹⁾.

مسلك وارجلان زقاوة Zagawa:

بالإضافة إلى مدينة كوار قرب بحيرة تشاد كانت تصل قوافل وارجلان عبر هذا المسلك الصحراوي حتى مدينة زقاوة (Zagawa) التي تقع إلى الجنوب منها ، وهي مدينة كثيفة السكان و عاصمة لمجموعة قرى تحيط بها تقع على شاطئ نهر الغزال وشمال حاضرة واداي (Ouaddai) ، وكانت أهم بضاعة تنقلها قوافل وارجلان إلى مدينة زقاوة هي مادة القمح الذي يكثر الطلب عليه هناك ، ويتم مقايضته في غالب الأحيان بالعبيد ، والولوج إليها يتم عبر مسلك وارجلان جبل نفوسة بليبيا ثم فزان والزويلة و منها إلى كوار وأخيرا زقاوة⁽²⁾.

. مسلك وارجلان زقاري مالي^(*) . Zagari –Malli:

تعد مالي ثاني إمبراطورية كبيرة قامت في السودان الغربي بعد إمبراطورية غانة ابتداء من سنة 638 هـ 1240م⁽³⁾ ، بلغت الأوج والعظمة في القرن الرابع عشر الميلادي، ومن ضمن مدنها زقاري التي كانت تعج بالإباضية الوافدين عليها تجارا من وارجلان وجبل نفوسة وفضلوا الاستقرار والبقاء بها في الفترة ما بين القرنين الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي والتاسع الهجري الخامس عشر الميلادي

(1) –Ibid:p.60.

(2) .Ibid : p.62.

(*) . مالي : يقصد بها هنا إمبراطورية مالي التي تأسست على يد قبائل الماندينك سنة 1213م في السودان الغربي ، استولت على أراضي إمبراطورية غانة بعد أن أسقطتها 1240 م و دخلت عاصمتها كومبي صالح، وشملت أراضيها من بلاد البورنو شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و الصحراء الكبرى شمالا سكانها بدو رحل وقد بلغت أوجها في في القرن الرابع عشر الميلادي ومن أشهر ملوكها كانكان موسى الذي حكم من سنة 1308 إلى غاية سنة 1337م وقد عرفت البلاد في عهده نهضة علمية واقتصادية كبرى وجعل من تيمبكتو عاصمة لها ، وشيد بها مسجدا كبيرا أصبح بمثابة جامعة يدعى مسجد سانكوري ، وقد سقطت هذه الدولة على يد إمبراطورية سنغاي في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي.(انظر كتاب زيادية عبد القادر ، مملكة سنغاي عهد الاسقيين المرجع السابق ص.21.)

(3) . زيادية (عبد القادر): المرجع السابق ، ص ، 21

وللوصول إلى هذه الأراضي تخرج القافلة من وارجلان إلى المنبوعة، ومنها إلى تنجورارين ثم تمنطيط و تتجه نحو الجنوب الغربي حتى تصل إلى تغازة، ومنها إلى ولاتة حيث تسير القافلة عشرة مراحل حتى تصل إلى زقاري⁽¹⁾ (Zagari)، ومنها إلى كارساحو (Karsahu) إلى أن تصل إلى مالي وظل هذا الخط مستعملا إلى دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادي .

. مسلك وارجلان تاكدة Takeda :

لقد انتعش هذا المسلك ابتداء من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وقد مر على جزء كبير منه الواقع ما بين بودة بتوات و السودان الرحالة العربي بن بطوطة حتى وصل إلى تاكدة (Takeda) سنة 754 هـ 1353م ، وقال إنها مملكة سلطانها يدعى إزارا بكسر الهمزة⁽²⁾ ، وصناعة النحاس فيها منتشرة بكثرة بسبب توفرها على هذه المادة وكانت العلاقة جيدة ما بين سلطنة بني غابول الحاكمة في وارجلان وسلطان تاكدة⁽³⁾ إذ لا تقل أهمية عن علاقتها مع سلطنة أغاديس التي تقع إلى الجنوب منها ، وأن المرور إلى تاكدة يمر على منطقة . أير (L`AIR) والمسافة بين تاكدة و وارجلان قدرت بحوالي سبعين مرحلة وتعتبر إليها القافلة عبر مسلكين⁽⁴⁾ وهما وارجلان ثم غدامس ومنها إلى غات ثم إير وأخيرا تاكدة والمسلك الثاني وارجلان المنبوعة ثم عين صالح ومنها إلى تمرست ثم إير وأخيرا تاكدة ، وقد ظل هذا المسلك يستعمل إلى غاية الاحتلال الفرنسي لحاضرة وارجلان .

. مسلك وارجلان أغاديس Agades :

لقد كانت العلاقة التجارية ما بين وارجلان و أغاديس جد متميزة و عريقة ذكرها أكثر من رحالة في التاريخ الحديث ، ومن جملتهم الحسن بن محمد الوزان الذي وصف

(1) -Lewicki(T) : op.cit. p .68.

(2)- Defremery(C) et .Sanguineti (B.R): voyages d`ibn batouta .Paris. Sans date. Tome 4. p .442

(4) - Lewicki (3)(T) : op.cit. P .71.

(4) . Lethielleux (J): op.cit .p.158.

سكان وارجلان في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي بالأغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة أغاديس⁽¹⁾، وبضاعة شمال الصحراء جد رائجة هناك وغالية الثمن حيث إن الحصان الواحد تتم مقايضته ما بين خمسة عشر إلى عشرين عبدا اسود⁽²⁾، والمرور إلى أغاديس يكون على نفس خط تاكدة أي وارجلان ثم غدامس ومنها إلى غات ثم إير و تاكدة ومنها إلى أغاديس وتصل منها حتى إلى زندار كما تسلك القوافل الخط الثاني المنيع. عين صالح . تمنراست . عين أزؤوس . أغاديس . زندار .

. مسلك وارجلان تمبكتو Tombouctou:

يعد هذا المسلك من المسالك الهامة و التي بقيت تنشط إلى غاية الاحتلال الفرنسي لضفتي الصحراء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ينطلق من وارجلان ومنها إلى المنيع ثم عين صالح فالمبروك و منه إلى تمبكتو⁽³⁾ .

. مسلك وارجلان مالي Mali :

حسب رواية الحاج بوعزة⁽⁴⁾ محمد بن أحمد الذي شارك في تجارة القوافل في الأربعينيات من القرن العشرين على الخط الرابط ما بين وارجلان و مالي ، يروي أن القافلة تخرج من وارجلان إلى مالي وتسير على المسلك الجنوبي الغربي حتى تصل إلى عرق الطوارق ، ومنه تأخذ مجرى وادي مائة إلى تصل إلى المنيع ، ومنها إلى عين صالح ثم تماساو ، ومنها إلى الترك الكحلة ثم تيمياوين ثم تهرسال ومنها إلى كيدال بالأراضي المالية ، تقطع هذه المسافة في مدة تقارب الشهر من الزمن .

إن المنتبغ لحركة القوافل و المسالك الصحراوية في مختلف المصادر والمراجع خاصة في الفترة ما بين القرن الحادي عشر والسابع عشر الميلادي ، يجدها متنوعة ومتعددة

(1) . الوزان: المصدر السابق ، ج 2، ص.136.

(2) . محمد الصالح (حوتية) : المرجع السابق ، ص. 147.

(3) . Lewicki (T) : op.cit. p.75.

(4) . مقابلة : مقابلة مع السيد الحاج بوعزة محمد بن أحمد عمره 89 سنة ، ولد سنة 1920م ، أجريت معه

مقابلة يوم 30 / 04 / 2009 على الساعة 11:30 صباحا بمنزله الكائن بحي المخادمة ورقلة

قاسمها المشترك أنها تمر على الحواضر والتجمعات السكانية و مصادر المياه ، ولها مواعيد محددة في السنة تنطلق فيها لا يمكن تغييرها أو تبديلها بحكم قانون الطبيعة وكل من حاد عن هذا العرف هلك .

أما في القرنين الثامن عشر والتاسع فهذا التدفق التجاري الكبير قد تقلص وأصبحت مسالك القوافل من وارجلان إلى أرض السودان لا تزيد عن مسلكين أو ثلاثة على الأكثر ، حيث يحددها الدكتور محمد العربي الزبيري^(*) بمسلكين فقط وهما .

1 . المسلك الذي يتوجه صوب غات :

تخرج القوافل من وارجلان إلى غات ومنها إلى بلدة إير وهي أول بلدة في بلاد السودان ، تقطع هذه المسافة الأولى في ظرف ثلاثة وسبعين يوما ، ومنها إلى أغاديس في ظرف سبعة أيام ثم دامركو ومنها إلى بلدة كاتشنة المبنية بالأجور ، ثم ساقاطو ومنها إلى كانو التي تعد أكبر المدن في هذه الجهة من حيث الكثافة السكانية والعمران والنشاط التجاري .

2 . المسلك الذي يتوجه صوب المنية:

ينطلق من وارجلان ويتجه جنوب غرب حتى يصل إلى عرق الطوارق ، ويأخذ مجرى وادي مائة حتى يصل إلى حاسي باب الحطب ، ومنه إلى حاسي الحجر⁽¹⁾، ثم يتجه جنوبا حتى يصل إلى حوض الرومنة ومنه إلى العريق، ثم منطقة الدقوق ، ومنها إلى جرف البقرة ثم سهب مبارك، ومنه إلى جبل جافو ثم المويلحات ومنها إلى العريق ثم حاسي ميقل ومنه إلى قور ورقلة، وبعد مسيرة ثمانية أيام من وارجلان تصل القافلة إلى المنية، ومنها فرع يتوجه إلى تمنطيط حيث يمر على حاسي والن ثم حاسي سبتي، ومنه إلى حاسي يكة ثم حاسي ساكة وبعده حاسي التويرقي، ومنه إلى تميمون

(*) . العربي الزبيري : دكتور في التاريخ الحديث و المعاصر وباحث ، اشتغل أستاذا في التاريخ بجامعة الجزائر ، نشر العديد من الكتب و المقالات في مختلف المجالات والصحف ، ما زال حي يرزق سنة 2009 م .
(1) . مقابلة : مقابلة مع السيد الحاج مناع الصادق عمره 94 سنة ، ولد سنة 1915م بورقلة سبق له وأن شارك في تجارة القوافل في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، أجريت معه مقابلة خاصة بمنزله الكائن بحي المخادمة ورقلة يوم 02 /ماي/ 2009 على الساعة 11،30 صباحا .

ثم أقروت فدلول، ثم المطارقة ومنها إلى كبرتن ثم حاسي السبع ومنه إلى تمنطيط ثم أولف، ومنها إلى أوسلان ثم عين زيزة ومنها إلى تادمكة ثم تابنكور ومنها إلى غاو أو إلى تادمكة⁽¹⁾ والفرع الثاني يتوجه إلى فقارة الزوى ثم عين صالح ومنها يتجه مباشرة إلى تيمبكتو ومنها إلى منطقة الهوسة ثم إلى مدينة ساقاطو ومنها إلى كانو.

في حين يذكر الدكتور يحيى بوعزيز أن الخط الذي بقي يعمل ما بين وارجلان والسودان الغربي إلى الاحتلال الفرنسي ومر عليه فلاتيرس⁽²⁾ في سنة 1880 / 1881 هو خط وارجلان ومنها إلى البيوض ثم أمقيد ومنها إلى الهقار ثم تيميساو و منها إلى أيفرون ثم مبروك ومنها إلى تيمبكتو، وكما يتفرع في النقطة الأولى البيوض إلى فرعين آخرين فرع يتوجه إلى عيين صالح والآخر إلى غات .

وما يمكن استخلاصه من خلال دراسة طرق القوافل وتحركاتها ما بين وارجلان والسودان نجد أن :

. في الفترة ما بين القرن العاشر الميلادي إلى القرن السابع عشر ، كانت حركة القوافل مركزة أكثر على الجهة الغربية من السودان الغربي أي إلى منطقة اوداغست و غانة ومالي و تيمبكتو و تادمكة و غاو وقويارة و زافون و التكرور .

- أما في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، فكان توجه القوافل أكثر إلى الجهة الشرقية من السودان الغربي أي ما يعرف حاليا بالنيجر و تشاد ، وحتى الشيوخ كبار⁽³⁾ السن حاليا في وارجلان إذا سألتهم عن السودان الغربي لا يعرفون إلا النيجر ، وإذا سألتهم عن المسالك لا يعرفون منها إلا طريقي أمقيد و غات هذا ما يؤكد أنه قبيل الاحتلال الفرنسي كان التوجه أكثر إلى كوار قرب بحيرة تشاد وإلى زقاوة و تاكدة وأغاديس و زندار و بورنو و كانم .

ومن المرتكزات الأساسية التي تعتمد عليها القافلة أثناء سيرها بالمسالك الصحراوية

(1). محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق ،ص.163.

(2) . يحيى (بو عزيز) : المرجع السابق،ص.45 .

(3) . مقابلة مع الحاج بالمير عمره 75 سنة ، شعبي من عين البيضاء بوارجلان يوم 05 / 01 / 2009

بمنزله على الساعة العاشرة صباحا

هي مصادر الماء الصالح للشرب للتزود منه وسقي جمالهم ، وعلى رأسها الآبار الصحراوية أو ما يعرف محليا باسم (الحواصي ومفردها حاسي) المنتشرة من شمال الصحراء إلى السودان الغربي . فما هي قصة الحواصي بالصحراء؟

الحواصي الصحراوية الآبار:

يوجد عدد كبير من الآبار في الصحراء حفرها رجال محسنون . يبتغون من ورائها أجر الله و تبقى صدقة جارية⁽¹⁾ عليهم ما دامت تستعمل من طرف رعاة الإبل و القبائل الرحل والقوافل التجارية و عابري السبيل، حفرت على خط المسالك الصحراوية المتجهة نحو الجنوب ، أنجزت بوسائل بسيطة وتقليدية تتزود بها المجموعة المكلفة بالحفر وتتكون في الغالب من (أدوات حديدية مختلفة منها . الفأس . القادوم . المعول . قضبان حديدية ...) و دلاء وحبال لحمل التراب أثناء عملية الحفر ، وهذه الآبار تختلف في عمقها من منطقة إلى أخرى تتحكم فيها إلى حد كبير التضاريس فالآبار المحفورة في الوديان تكون أقل عمقا من تلك التي تنجز على الهضاب حيث إن الأولى غير عميقة تصل في أدنى عمق لها أربعة أمتار ، بينما الثانية تصل في بعض الأحيان حتى مائتي ذراع أي مائة متر، وعندما ينجز البئر يبنى عليها سور خارجي دائري صغير على فوهته لا يزيد ارتفاعه على المتر ، ويشيد على أقرب هضبة منه معلم بالحجارة والجبس ارتفاعه يزيد على المترين يسمى (الجدر)⁽²⁾ ويطلق بالجبر

الأبيض، يرى من بعيد تهدي به القافلة إلى مصدر الماء وإلى المسلك السليم. أما بالنسبة للآبار الموجودة ما بين وارجلان وعين صالح فهي كثيرة ، وفي بعض الحالات لا تزيد المسافة الفاصلة ما بين البئر والآخر على خمسة وثلاثين كيلومترا⁽³⁾

(1) . محمد الصالح (حوتية): المرجع السابق، ج1، ص.143.

(2) . مقابلة مع الشيخ الحاج بكار عواشير عمره 75 سنة سبق له و أن شارك في القوافل التجارية في الأربعينيات من القرن العشرين ، أجريت معه المقابلة في منزله بحي المخادمة بوارجلان يوم 15 / 12 / 2009

(3) . مقابلة مع الحاج محمد هتهات عمره 65 كانت آخر مشاركة له في رحلات القوافل كانت سنة 1970م، أجريت معه هذه المقابلة في متجره بسوق الجملة للخضر والفواكه بوارجلان يوم 17 / 12 / 2009 .

فمثلا تخرج القافلة من وارجلان متجهة إلى السودان الغربي، فتسلك اتجاه الجنوب الغربي على مجرى وادي مائة ، وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلومترا تجد حاسي بوقليسة عمقه حوالي أربعين ذراعا أي عشرين مترا ، ومنه على بعد عشرين كيلومترا تجد حاسي الفوارس عمقه حوالي خمسين ذراع أي خمسة وعشرين مترا وبعد قطع مسافة خمسة وعشرين كيلومترا تجد القافلة حاسي القبيسة عمقه خمسة وعشرين مترا وعلى نفس الخط اتجاه الجنوب الغربي بعد عبور أربعين كيلومترا تجد حاسي الجمل عمقه ستة وعشرون ذراعا أي ثلاثة عشرة مترا ، ومنه إلى حاسي تيمجاوين الذي يبعد عن وارجلان بمسافة مائتين و أربعين كيلومترا و عمقه مائتا ذراع أي مائة متر⁽¹⁾ وإلى بعد ثمانين كيلومترا منه يقع حاسي سيدي عبد الحاكم الذي يوجد في واد وعمقه لا يتجاوز أربعة أمتار ، و إلى جانب هذه الآبار توجد آبار كثيرة في الصحراء الفاصلة ما بين وارجلان و السودان الغربي نذكر منها . بئر بن خليفة على بعد مائة وعشرة⁽²⁾ كيلومترا من وارجلان ، وبئر عين الطيبة على بعد مائتين وستين كيلومترا من وارجلان نحو الجنوب ، وعين ماعطاء الله على بعد ثلاث مائة و ستين كيلومترا من وارجلان ،وحاسي البيوض على بعد أربع مائة و أربعين كيلومترا وحاسي تماسنين بزاوية سيدي موسى على بعد خمسمائة كيلومترا من وارجلان، وعين الحجاج⁽³⁾ وعين تابلالت ،وبئر الغرمة التي تبعد أكثر من ألف كيلومترا من وارجلان وبئر عيسو .

خلاصة الفصل

ما يمكن استخلاصه من هذا الفصل أن العلاقات التجارية ما بين وارجلان والسودان

(1) .مقابلة مع الشيخ الحاج بكار عواشير : المقابلة السابقة .

(2) . مقابلة مع الشيخ الحاج محمد بن السايح ، عمره 70 سنة شارك في القوافل التجارية في الخمسينيات من القرن العشرين ، أجريت معه هذه المقابلة بمنزله بحي مخادمة بوارجلان يوم 19 / 12 / 2009.

(3) . Brosselard (Henri) : op.cit.p.98.

الغربي عتيقة ، يرجعها بعض المؤرخين إلى الفترة القرطاجية والرومانية وتواصلت وتعمقت أكثر في الفترة الإسلامية من القرن الثاني الهجري التاسع الميلادي إلى العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وبصماتها ما زالت ماثلة من انتشار للدين الإسلامي ولغة العربية والحضارة الإسلامية، أما الفترة التي تليها وخاصة القرنين الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي لم تصلنا معلومات كثيرة عنها ، زد على ذلك أن خلال هذه المدة كانت منافسة تجارة المحيط الأطلسي في أوجها. أما القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي فإن العلاقة ما بين الحاضرة والسودان كانت موجودة، لكنها انكشفت في نهاية القرن بسبب الاستعمار الفرنسي والقيود التي وضعها على تجارة القوافل. وكان التنقل ما بين الضفتين يتم عن طريق الجمال المكونة للقوافل و عادة ما يتم تحضير القافلة عندما تتجمع البضاعة بالكمية الكافية لتنظيم الرحلة ، وعندها يشرع المشرفون على القافلة التجارية في التحضير الجيد للرحلة ، من حيث عدد الجمال الذي يغطي البضاعة المراد شحنها وتأجير الأبداء والخبراء في عالم الصحاري والفيافي والمسالك وآبار المياه ، وتوفير المؤونة الكافية لمدة تزيد على ثلاثة أشهر، وجمع قرب الماء بمعدل قربتين على الأقل لكل جمل والتزود بالأسلحة للدفاع بها عن أنفسهم في حالة ما إذا تعرضوا لهجوم من عصابة ما. وعادة ما تخرج القافلة عندما تجهز نفسها في مطلع فصل الخريف ، وتعبر عبر مسالك معلومة وثابتة لا تحيد عنها القوافل من وارجلان إلى السودان ، وكل مسلك منها له اسم معين فالطريق الرابط ما بين وارجلان وغانة يعرف باسم طريق الذهب لأن على أديمه مرت أطنان من الذهب وتوزعت في مختلف بقاع العالم ومسلك وارجلان تادمكة عرف باسم طريق العبيد لكون عدد كبير من العبيد مر عليه إلى غاية وارجلان ، وهناك مسلك آخر سمي بطريق القصور لكون القافلة تسير في مسلكها من قصر إلى آخر إلى أن تصل إلى السودان الغربي.

ومسلك وارجلان أغاديس الذي ينشط إلى غاية القرن التاسع عشر للميلاد ، وخط وارجلان تمبكتو الذي هو بدوره ظل يعمل إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي

وهذه المسالك ليست آمنة بل تتخللها بين الحين والآخر بعض المشاكل ومن ضمنها التعرض لزوابع رملية قوية، وعدم العثور على آبار المياه ، و التعرض لهجوم عصابات قطاع الطرق ، ولكن رغم كل هذه المشاكل الطبيعية والبشرية ، فإنها لم تثن عزيمة التجار لكون هذه المهنة نبيلة عندهم ، وهامش ربحها مضمون ، والذين يشتغلون بها يعدون من أغنياء الحاضرة حتى قيل من أراد الغناء فعليه بوارجلان .

أما الشاعر الشعبي فقد قال:

دواء الجرب القطران ودواء الفقر السودان

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الأسواق والمعاملات التجارية بوارجلان و السودان الغربي

. سوق وارجلان و أهميتها التجارية

. الأسواق التجارية بالسودان الغربي

. البضائع الصادرة و المستوردة

. المعاملات التجارية بأسواق السودان الغربي

سوق وارجلان وأهميتها التجارية :

إن موقع وارجلان في وسط الصحراء على خط عبور القوافل التجارية القادمة من القيروان و قسنطينة و بجاية و سكيكدة و المسيلة و المتجهة إلى إفريقيا جنوب الصحراء ، قد أكسبها أهمية تجارية كبرى ، فقد انتعشت بها ما يسمى بتجارة العبور⁽¹⁾ (Transit) ، و انتعشت سوقها المحلية ، و تطور منتجوها الحرفي و الفلاحي من خلال تطوير نظام السقي و تفجير العيون، حيث عرفت الجهة طفرة كبيرة في ميدان الفلاحة فتضاعف أشجار النخيل التي وجدت في المنطقة منذ زمن بعيد . وقد ساهمت هذه الشجرة مساهمة كبرى في تطوير الحياة اليومية للسكان ، و سد الكثير من حاجاتهم منها و من مشتقاتها، فتمرها للتغذية اليومية و مورد اقتصادي هام و الرديء منه علف للمواشي، و من سعفها تصنع السلال و الطباق و أوعية أخرى كثيرة و جنوعها لتسقيف المنازل ، و كرنافاها^(*) للندفئة و الطهي ، و إلى جانب أشجار النخيل غرست بها أشجار الفواكه بمختلف أنواعها و أنتجت و اكتفت من ثمرها محليا ، و صدرت الفائض منه إلى السودان الغربي حيث قال بن خلدون: **« إن فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات و تيكورارين و وارجلان »** (2) .

و من ضمن هذه الفواكه التي كانت تنتج بوارجلان نذكر: **« التين و الرومان و المشمش و الليمون و البرتقال »** (3) . كما عرفت كذلك زراعة الفول السوداني و القطن ، أما القمح و الشعير فكانت تنتج منهما كميات قليلة لا تغطي حاجتها المحلية و سدت هذا النقص باستيرادها من المناطق الشمالية عن طريق القوافل. و إلى جانب الزراعة عرفت الحاضرة صناعة بسيطة في ميدان صياغة المجوهرات الفضية و الذهبية و النحاسية، و الحدادة المتمثلة في صناعة الأدوات الحديدية التي تستعمل في الفلاحة و في الأشغال العامة و في الحروب ، و في الاستعمال المنزلي مثل المعاول و الفؤوس و السكاكين و الألجمة و المناجل و الأقفال ، و كان بالقصر القديم بوارجلان شوارع تعرف

(1). إسماعيل (العربي) : المرجع السابق، ص. 159.

(*) . الكرناف : هو الجزء السفلي للجريدة أين تلتحم بساق النخلة

(2) - عبدالرحمان (بن خلدون): المقدمة ، المصدر السابق، ج 1، ص. 91 .

(3). إسماعيل (العربي) : المرجع السابق، ص. 160.

باسم الصياغين و الحدادين، يشتغل فيها السكان المحليون ، تباع منتجاتهم في الأسواق المحلية ، ويصدر الفائض منها إلى السودان الغربي، كما أولوا أهمية كبرى لتربية المواشي وعلى رأسها الجمل ، فخصصوا له الرعاة المتمرسين على هذه المهنة ، وكانوا يضعون على الجمال طوابع خاصة على فروتها حتى تميزها عن بقية الإبل و كان لكل عرش خاتمه الخاص ، وكثيرا ما يتباهون بملكيتها وقد كان لوارجلان سوق مركزي في وسط المدينة القديمة محاط بأقواس (Arcades) وبداخلها دكاكين تبيع بعض السلع المستوردة من أوروبا مثل العطور، والأقمشة والسكر والقهوة⁽¹⁾ ، ولهذا السوق شهرة كبيرة يقصدها التجار من كل حدب وصوب و مقسمة إلى أجنحة كل جناح متخصص في بيع سلعة معينة وهي :

. جناح العبيد: تجمع فيه العبيد التي تجلب من السودان الغربي وتباع علانية وفي أغلب الأحيان تشتري من تجار قسنطينة وسكيكدة وبجاية⁽²⁾ .

. جناح اللحم: يباع فيه لحم الإبل الطازج و الجاف ولحم الغنم فيه نادرا.

. جناح الحطب: يجلب إليه على متن ظهور الإبل من أعماق الصحراء وبياع بطريقتين إما بحمولة الجمل دفعة واحدة أو بالتقسيم، فحمولة الجمل توزع على عدة أجزاء مختلفة في الأحجام و الأوزان و الأثمان.

. جناح التمر: تباع فيه مختلف أنواع التمور الطري منه و الجاف وحتى غير الصالح للاستهلاك البشري ، بل يسوق علفا للحيوانات. وتعد تمور وارجلان من أجود التمور⁽³⁾ في الصحراء الجزائرية ، حيث كانت عندما تنقل عبر القوافل إلى سوق تمبكتو بالسودان الغربي ، تباع في أحيان كثيرة بطريقة العد⁽⁴⁾ لجودتها لا

(1). Paul(Soleillet) : Voyage de Paul solleillet d`Alger a l`oasis d`in-salah.

Alger 1875.pp.55-56.

(2). إسماعيل(العربي) : المرجع السابق ، ص . 159 .

(3) . Largeau (V): op.cit.p.101.

(4) . عبد القادر (زيادية) : «ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري» ، الأصالة ، ع 41 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر 1977م ، ص.145.

بطريقة الكيل أو الوزن كما تباع بقية التمور الأخرى .

. جناح المنتجات النسيجية : تباع فيه منتجات المنسوجات التي تنسج محليا في البيوت بطريقة تقليدية من صوف الأغنام و وبر الماغز و الإبل مثل البرانس والعباءات والحنابل والأغطية و الأكياس التي تعرف محليا باسم (الغراير) أما طريقة البيع فتكون في غالب الأحيان بالمزاد العلني.

- جناح الخضر والفواكه: هذا الجناح صغير جدا لكون أغلبية الناس ينتجونها في مزارعهم الخاصة، وتباع فيه المنتجات الفلاحية المحلية . من بصل ،وجزر، ولفت وفلفل ، وطماطم ، ورمان⁽¹⁾ ، وتين ، ومشماش ، ودلاع ، وبطيخ.....

- جناح الماشية : تباع فيه المواشي بمختلف أنواعها من أغنام و ماعز و إبل وحسب شاهد عيان الرحالة الفرنسي بول سولايلي⁽²⁾ (Paul Soleillet) الذي زار وارجلان في الفترة ما بين 09 و12 فيفري 1874م ،لاحظ أن سعر الأغنام فيه تتراوح ما بين 25 و 30 فرنك وسعر الجمال ما بين 200 إلى 300 فرنك .

و كان التعامل في أسواق وارجلان في ميدان البيع و الشراء يتم بطريقة حضارية جد راقية لا تختلف كثيرا عن المعاملات المعاصرة، أي عن طريق المزاد العلني وعن طريق المكايل⁽³⁾ والموازن وبالعملة المعدنية وكما ساد كذلك نظام البيع بالدفع المؤجل⁽⁴⁾ أو بالتقسيط ، حيث ضرب لنا مثلا الشماخي في هذا الشأن وقال:(إن رجلا باع جملا في وارجلان وعندما أراد قبض الثمن قال له المشتري ثمنها في تادمكة) نفهم من هذا أن البيع بالدفع المؤجل كان سائدا،أي يذهب التاجران كل واحد منهما ويشرف على تجارته إلى غاية سوق تادمكة وعندما يبيعان تجارتهما يدفع الشاري للبائع ثمن جملة.وقد أشار الرحالة المغربي العياشي أثناء مروره على وارجلان

(1) . إسماعيل (العربي): المرجع السابق،ص.160.

(2). Paul (Soleillet) : Op. cit .p.56.

(3). مسعود (مزهودي) : المرجع السابق، ص. 183 .

(4). أبو العباس أحمد (الشماخي) : المصدر السابق، ص.379

متوجها إلى البقاع المقدسة سنة 1064 هـ 1653م أن البيع والشراء في سوق وارجلان يتم بالعملة، وأن القوافل التجارية في حركة دائبة عليها حيث قال⁽¹⁾: «صادف دخولهم دخول قافلة من أعراب الأرياع فقدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع اشترى الناس منهم ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك أو أكثر، فتنعم الناس في اللحم و التمر واشترى الحجاج غنما كثيرا، حتى كانت الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي مني من كثرة اللحم..»

الأسواق التجارية بالسودان الغربي: إن الدارس للعلاقات التجارية ما بين حواضر شمال الصحراء والسودان الغربي في التاريخ الحديث والمعاصر، يجدها متشابهة من حيث البضائع التي تصدرها والفترة التي تخرج فيها، ومن حيث استعمالها للجمل ، وتختلف فقط في المسالك المؤدية إلى السودان الغربي نظرا لكونها تنطلق من نقاط مختلفة أهمها . الجزائر . سكيكدة . وهران . تلمسان . القيروان . طرابلس . غدامس . فزان . وارجلان . فاس . مكناس . سجلماسة . توات، وفي نهاية المطاف تجمعهم سوق واحدة في نهاية كل مسلك وفي كثير من الأحيان تلتقي المسالك في نقطة تتجمع فيها القوافل وتتوجه إلى السوق المقصودة ومن أشهر هذه الأسواق:

سوق أغاديس Agades :

تعني كلمة أغدس (Agdez) باللغة المحلية الزيارة ، تأسست هذه المملكة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في موقع إستراتيجي هام بين الصحراء والساحل الإفريقي على مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال ، بنيت بالمواد المحلية وسورت بسور خارجي⁽²⁾ ، وتعد من أهم مدن النيجر⁽³⁾ ، وتقع شمال شرق العاصمة نيامي وتبعد عنها بحوالي تسعمائة كيلومتر، زارها الرحالة الألماني بارث Barth سنة 1850م ، ووجدها أطلالا مكث بها شهرا كاملا ، وقد كانت من

(1) . العياشي : المصدر السابق ، ص.46.

(2) . الحسن بن محمد (الوزان) : المصدر السابق ، ج2 ، ص171.

(3) . الهادي المبروك (الهادي): المرجع السابق، ص.311.

الأسواق الكبرى التي يتردد عليها تجار وارجلان، وذكر ذلك الحسن الوزان عندما أشار إلى رفاهية وغناء أهل وارجلان مرده التجارة مع مملكة أغاديس، كان ذلك في القرن السادس عشر ميلادي وقد أكد ذلك بول سولايبى⁽¹⁾ الذي زار الحاضرة أيام 9 و 10 و 11 فيفري 1874 م وأشار إلى أن نشاط و حيوية سوقها يرجع إلى تجارتها وتعاملها مع أغاديس، كما كان مقصد تجار مصر وغدامس وفزان ، ومن أهم بضاعته البخور و الذهب والعلك .

سوق جني

تقع مدينة جني جنوب غرب تيمبكتو ، تأسست في القرن الثالث الهجري⁽²⁾ التاسع ميلادي ، كانت محاطة بسور له ثمانية أبواب ، تتحول إلى جزيرة عندما يفيض الماء في غشت⁽³⁾ ، وأثناء ذلك يدخل إليها الناس و البضائع عن طريق القوارب من تيمبكتو و أغلب سكانها تجار ، وقد قال عنها مؤرخ السودان عبد الرحمان السعدي (هي سوق عظيم من أسواق المسلمين⁽⁴⁾) ، ويقصدها الكثير من التجار ، وتتسع لكل الوافدين إليها⁽⁵⁾ ، وتتوفر فيها بضائع الشرق والغرب ، ويقصدها تجار المغرب الأقصى، وتجار وارجلان بعد أن يصلوا إليها عبر طريق تيمبكتو، وكما كانت ملتقى⁽⁶⁾ لتجار شمال الصحراء مع جنوبها ، وبها سوق الكبيرة تشتغل طيلة الأسبوع تتم فيها عملية التبادل التجاري وتبرم فيه الصفقات بين التجار الوافدين إليها من كل الجهات، يبيعون بضاعة شمال الصحراء و يشترون بدلها الذهب والعبيد

سوق غانة :

تقع غانة في الجهة الغربية من إفريقيا جنوب الصحراء ، سميت بغانة نسبة إلى لقب

(1). Paul (Solleillet) : Op,cit.p.183.

. محمد الصالح (حوتية) : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 168.

(3) . الشيخ عبد الرحمن (السعدي) : تاريخ السودان ، طبع بباريس 1964 م، ص.12.

(4) . نفس المرجع : ص.11.

(5) . عبد القادر (زبادية): المرجع السابق ، ص. 108.

(6) . الهادي المبروك (الدالي) : المرجع السابق ، ص.306.

أحد ملوكها ، تأسست في القرن الثالث للميلاد⁽¹⁾، اتسعت رقعتها الجغرافية وامتدت من ساحل المحيط الأطلسي غربا إلى الصحراء الكبرى شمالا وإلى غاية منطقة نقارة شرقا وإلى نهر السنغال جنوبا، أي أنها ضمت معظم أراضي السودان الغربي ، دخلها الإسلام علي يد التجار والدعاة ثم المرابطين سنة 446هـ 1054م، وتقول المصادر إن حاكم منطقة مالي التابعة لها وقتذاك قد اعتنق الإسلام على يد الداعية علي بن يخلف الذي خرج من وارجلان مع القوافل التجارية إلى السودان الغربي سنة 575هـ 1179م⁽²⁾، وبينما هو في منطقة مالي تعرضت الجهة إلى جفاف حاد، فطلب منه حاكمها أن يصلي لهم صلاة الاستسقاء، فوافق على شرط أن يدخلوا الإسلام ويجهروا بالشهادتين ويصلوا معه هذه الصلاة ففعلوا ذلك وأقام بهم الصلاة على قمة جبل وما كادوا ينزلون من الجبل بعد الصلاة حتى نزلت أمطارا طوفانية ، دخل على إثرها معظم سكان مالي في الإسلام⁽³⁾، ونظرا لشاسعة هذه الدولة أخذت تستقل عنها بعض الأقاليم إلى أن سقطت علي يد مقاطعة مالي المجاورة سنة 638هـ 1240م.

وقد اعتمدت في اقتصادها على التجارة الداخلية و الخارجية و على رأسها تجارة الذهب بسبب امتلاكها لمناجم عدة من الذهب ، وكانت سوقها من أكبر أسواق السودان الغربي ، يتردد عليها تجار شمال الصحراء ومن جملتهم تجار وارجلان منذ القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وذكر الإدريسي⁽⁴⁾ أن تجارها يشترون معظم ذهب غانة مع تجار المغرب الأقصى ، ومن غانة يتوغل تجار وارجلان إلى أسواق فرعية أخرى في كل من زافون وكوقا و قويارة وسوق التكرور⁽⁵⁾ قرب نهر السنغال

(1) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ، ص.17.

(2) . أبو العباس أحمد (الشماخي) : المصدر السابق ، ص.457.

(3) . مركز دراسات الوحدة العربية : العرب و إفريقيا ، مطبعة المركز بيروت 1987 ط2، ص.57.

(4) . الإدريسي (الشريف) : المصدر السابق ، ج 2 ، ص.24.

(5) . مسعود (مزهودي) : المرجع السابق، ص. 165.

وفي سوق غانة والأسواق المجاورة لها، تتم عملية بيع بضاعة شمال الصحراء وشراء بدلا منها التبر والعبيد وبعض الصناعات التقليدية المحلية. وكانت هذه السوق جد منظمة ومحكمة، وعرفت نظام المكوس حيث كانت تقبض على كل حمل بغير داخل للسوق ديناراً⁽¹⁾ ودينارين على كل حمل يخرج من السوق، ومن أهم بضائعها الذهب و العبيد.

سوق تمبكتو (Tombouctou):

تقع تمبكتو (Tombouctou) في الجهة الجنوبية من الصحراء، تأسست في القرن الخامس⁽²⁾ الهجري الحادي عشر الميلادي من طرف عناصر من التوارق، ومن نقطة التقاء للقوافل وبئر للسقي إلى مدينة كبرى وصل عدد سكانها في القرن السادس عشر أكثر من خمسة آلاف نسمة⁽³⁾، و منذ تأسيسها انطلقت كسوق تجاري يلتقي فيه تجار الشمال مع الجنوب، وتتم على أرضه المبادلات والصفقات التجارية، وتصل قوافل وارجلان إليه بعد أن تمر على المنيعه وعين صالح والمبروك وأخيرا تمبكتو⁽⁴⁾ واشتهرت كذلك إلى جانب كونها مدينة اقتصادية بعلمها وعلمائها، حيث كانت مقصدا لطلبة العلم، وتزخر بالكتب المخطوطة، وبها مسجد كبير، وبقيت سوقا عامرة بها العديد من الدكاكين المتخصصة، يقصدها تجار المغرب العربي، وتدر أموالا كثيرة للدولة من مداخيل الضرائب⁽⁵⁾ التي كانت تفرض على التجار والقوافل الوافدة إليها، وظلت على هذه الصورة إلى بداية الاحتلال الفرنسي.

سوق غاو

تقع غاو (Gao) شرق باماكو⁽⁵⁾ وجنوب تادمكة على منحنى نهر النيجر، وقد عرفت

(1) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ، ص.17.

(2) عبد الرحمن (السعدي) : المصدر السابق ، ص.20.

(3) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ، ص.100.

(4) . محمد الصالح (حوتية): المرجع السابق ، ج1، ص.147.

(5) . زيادية (عبد القادر): المرجع السابق ، ص.102.

(5) . الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق ، ص. 308.

عبر تاريخها الطويل بعدة أسماء منها جوجو و كوكو و كاوكاو⁽¹⁾، أصبحت العاصمة السياسية لمملكة سنغاي⁽²⁾ على عهد الأسقيين ، عرفت تمدنا كبيرا وكثافة عالية في السكان إذ وصل عدد سكانها في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي إلى أكثر من خمسة وسبعين ألف نسمة⁽³⁾ ، وهذه الخصائص و المميزات جعلتها عاصمة اقتصادية من الطراز الأول حيث سيطرت على التجارة النهرية والبرية في المنطقة وأصبحت من أهم المراكز التجارية في السودان الغربي بها سوق كبيرة تتوفر على العديد من الدكاكين التي يملكها تجار من مختلف الأجناس⁽⁴⁾ و الأجنحة المتخصصة في بيع مختلف البضائع بما فيها الرقيق ، تصلها القوافل التجارية القادمة من الشرق بعد أن تمر على تادمكة ، وقوافل وارجلان والمغرب الأقصى وبقية حواضر شمال إفريقيا بعد أن تمر على تمبكتو ، محملة ببضائع الشمال تبيعها هناك وتشتري بدلها الذهب و العبيد ، وقد نشطت هذه السوق على عهدي دولتي مالي و سينغاي، أما فترة حكم العثمانيين للجزائر فقد قل نشاطها وأصبحت القوافل توجه أكثر إلى سوق⁽⁵⁾ تيمبكتو منها إلى سوق غاو .

سوق تاكدة (Takedda) :

تقع تاكدة شمال شرق غاو ، عرفت باسم مدينة النحاس نظرا لتوفرها على مناجم كثيرة منه ، زارها بن بطوطة أثناء جولته بالسودان سنة 754هـ 1253م ، وأعطى وصفا لهذا المعدن وعن طرق استخراجة ، وقد أصبحت سوقا تجارية مهما⁽⁶⁾ في السودان الغربي ، و شهدت حركة تجارية كبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، حيث كان يقصدها تجار شمال إفريقيا من غدامس و وارجلان

(1) . نفس المرجع : ص.309.

(2) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ، ص.108.

(3) . نفس المرجع : ص.109.

(4) . محمد الصالح (حوتية): المرجع السابق ، ج1، ص.169.

(5) بالعربي (الزبيري): المرجع السابق ، ص. 163

(6) . الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق ، ص.311.

وتوات⁽¹⁾، يبيعون فيها بضاعتهم ويشترون منها النحاس والعبيد، وتدخلها سنويا أكثر من أثنى عشر ألف جمال محمل بالبضائع من مختلف أقطار شمال إفريقيا و مصر⁽²⁾.

سوق التكرور:

تقع مملكة التكرور بجوار حوض السنغال في الجهة الغربية من السودان الغربي وهي من الممالك القديمة التي وجدت قبل الإسلام ، وعم اسمها معظم أراضي السودان الغربي من غرب دارفور إلى المحيط الأطلسي ، دخلها الإسلام في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عن طريق التجار والدعاة ، كان يقصدها تجار سجلماسة من المغرب الأقصى وتجار وارجلان يشترون منها العبيد والتبر، ويبيعون فيها بضائع شمال إفريقيا و أوروبا ، وقد اشتهرت هذه السوق ببيعها للعبيد⁽³⁾ ، كما استغلت من طرف سما سره هذا النوع من التجارة ليبيعوها إلى البرتغاليين في القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد لتصديرها عبر السفن إلى العالم الجديد .

سوق كومبي صالح :

تقع كومبي صالح إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكتو ، تأسست سنة 300م⁽⁴⁾ وأصبحت عاصمة لغانا أيام مجدها، وتبعد عنها بستة أميال ، دخلها الإسلام في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ، وبني بها مسجدا قرب قصر الملك⁽⁵⁾، ويقام بها الوزراء وحاشية الملك ، وللمدينة حرس خاص، وبها العديد من الأسواق⁽⁶⁾ بالإضافة إلى السوق العظيمة لغانة التي تحتوي عاصمتها كوبي صالح سوقا آخر، وتقع هذه السوق جنوب سوق تيمبكتو و تبعد عنها بحوالي خمسمائة كيلومتر

(1)- Lewicki (T): op. cit. p.73.

(2) . عبد القوى عثمان حبيب (شوقي) : ص. 92.

(3) . نفس المرجع: ص.91.

(4) . الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق، ص.27.

(5) . أبو عبيد (البكري) : المصدر السابق ، ص.175.

(6) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ، ص.108.

يباع فيها التبر والرقيق و الحناء، وظلت هذه الأسواق قائمة حتى بعد سقوط الممالك الإسلامية في منطقة السودان الغربي، أي إلى فترة التاريخ الحديث، يتعامل مع هذه السوق تجار شمال إفريقيا وحتى مصر .

سوق أوداغست :

أوداغست وتعرف كذلك باسم أوداغشت ،قال عنها البكري: ((اودغست وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق ونحل كثير و أشجار الحناء⁽¹⁾) تقع حاليا بالأراضي الموريتانية ، تأسست مملكة في القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد ،وتزامنت مع الدولة الرستمية ،عرفت النظام الملكي الوراثي⁽²⁾، قادها ملوك من قبيلة لمتونه،غزاها عبد الله ياسين المرابطي سنة 446⁽³⁾ هـ 1055م،و ضمتها مملكة غانة إلى ممتلكاتها عندما بسطت نفوذها على معظم ممالك السودان الغربي،بقيت أسواقها نشيطة يلتقي فيها سنويا تجار سجلماسة و وارجلان،و بها سوق كبيرة تعج بالباعة والمشتريين ويتعاملون فيها بالذهب عملة في التبادل التجاري ، ويباع فيها العنبر والذهب والابريز⁽⁴⁾ الخالص ، والماشية وخاصة أغنام (سيداون) ويعد ذهبها من أجود أنواع الذهب في منطقة السودان الغربي .

سوق تادمكة :

تعرف هذه المدينة باسم تادمكة أو السوق تقع شمال شرق غاو، قال عنها الرحالة البكري: ((تادمكة أشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة هي مكة وهي مدينة كبيرة بين جبال و شعاب وهي أحسن بناء من مدينة غانة⁽⁵⁾) ، المسافة بينها وبين وارجلان خمسون

(1) . أبو عبيد (البكري) : المصدر السابق ،ص.168.

(2) . صفحة عن أوداغست من ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الموقع www.wikipedia.org تاريخ الإطلاع 16 نوفمبر 2009 م .

(3) . أبو عبيد (البكري) : المصدر السابق ،ص.168.

(4) . الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق، ص.30.

(5) . أبو عبيد (البكري) : المصدر السابق ،ص.181.

يوماً⁽¹⁾، بها سوق كبيرة تقام كلما حلت قوافل شمال أفريقيا بأرضها ، لكونها تقع في مفترق الطرق المؤدية إلى أسواق تقع جنوبها وغربها و شرقها ، كانت تتردد عليها كثيراً القوافل التجارية الوافدة من وارجلان⁽²⁾. و يضربون مواعيد في تادمكة. وهذه الأسواق الأنفة الذكر بعضها ثابت على مدار السنة ، و بعضها موسمي والبعض الآخر ليس له موعداً محددًا ، فكلما دخلت قوافل شمال الصحراء تقام السوق وعادة عندما تقترب القوافل من هذه الأسواق وتصبح على بعد يومين أو ثلاثة يرسلون من يعلن اقتراب وصولها⁽³⁾ حتى يحضر السوق و يتهيأ التجار للبيع والشراء ، وهناك بعض السماسرة من يقصدون القافلة قبل دخولها إلى السوق ويشترون البضاعة وما حوت لغرض المضاربة والاحتكار .

وبصورة عامة هذه الأسواق السودانية نشطت كثيراً إلى غاية القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد ، ولكن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي ضعفت نوعاً ما بعد ظهور تجارة المحيط الأطلسي ، وخاصة في الأسواق العميقة والقريبة من الساحل، وبقيت فاعلة إلا الأسواق الداخلية المتاخمة للصحراء الكبرى مثل تيمبكتو و تادمكة وتاكدة و الأسواق الموجودة شمال بحيرة تشاد لكونها قريبة من شمال الصحراء . وتمثل هذه الفترة كذلك فترة الوجود العثماني في الجزائر الذي لم يترك لنا شيئاً مدوناً عن المبادلات التجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء ، بالإضافة إلى أن تجار القوافل ومرافقيهم لم يدونوا رحلاتهم إلى السودان الغربي .

البضائع الصادرة و المستوردة

1 . البضائع الصادرة إلى السودان الغربي: مما لا شك فيه أن هذا الترحال الكبير والشاق و الذي يستغرق أكثر من فصلين من الزمن بين ذهاب وإياب، والعابر لآلاف الكيلومترات، و لأقاليم و بيئات وتضاريس جد متباينة ومتنوعة ، يحتوي على

(1) . المصدر نفسه : ص.182.

(2) . الشماخي: المصدر السابق ، ص.379.

(3) . زبيدية (عبد القادر): المرجع السابق ، ص. 196.

نوع من المجازفة و المغامرة ، وصاحبه معرض لكل الاحتمالات وعلى رأسها الهلاك ، محركه ودافعه الأساسي هو الريح وبالتالي كان التاجر يختار بضاعته أحسن اختيار، وتكون من النادرة والمطلوبة وغير المعرضة للتلف أثناء الشحن والمحقة لريح كبير و لا تأخذ حيزا مكانيا كبيرا على متن سفينة الصحراء ،ومن ضمن هذه البضاعة التي يصدرها إلى السودان الغربي نذكر .

التمور: قبل أن نتكلم عن بضاعة التمر يجدر بنا أن نعرف بهذه الشجرة فالنخيل اسمه العلمي **فينيكس داكليليفرا**⁽¹⁾ (**Phoenix Dactylifea**) ، ينبت في المناطق الصحراوية وخاصة صحراء الجزيرة العربية و شمال إفريقيا ، والنخلة من الأشجار المعمرة التي يتجاوز عمرها القرن من الزمن ولا تموت إلا إذا أصابها مرض أو عطش أو احترقت أو سقطت من شدة الرياح ، يصل علوها أحيانا أكثر من ثلاثين مترا ، أغصانها تدعى الجريد، وأوراقها تسمى السعف ، وقاعدة الجريد تسمى الكرناف ، والنخلة من النباتات ثنائية الجنس منها الذكر والأنثى ، تتكاثر إما عن طريق غرس بذورها وهي طريق غير محببة لدى الفلاحين لكونها تعطي في غالب الأحيان أشجارا ذكورية أو صنفا من النخيل غير جيد ، ولكن الطريقة المثلى في التكاثر هي التي تتم عن طريق غرس الفسائل حسب النوعية المرغوب فيها و ثمرها يدعى التمر ،

ويمر بمراحل في عرجونه قبل نضجه، أولا مرحلة البلح الأخضر، ثم يتحول إلى اللون الأصفر أو الأحمر ويدعى البسر، ثم مرحلة النضج ويتحول على إثرها إلى تمر ذي لون يميل إلى البني أو الأسود ، و توجد منه عدة أنواع⁽²⁾ قدرت بأكثر من 950 نوعا منها في وارجلان أكثر من 20 نوعا نذكر منها :

الغرس . تافزوين . دقلة نور . دقلة بيضاء . عماري . بيض الحمام . عبد

(1) . صفحة عن نخيل البلح من ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الموقع www.wikipedia.org تاريخ الإطلاع 20 ديسمبر 2009 .

(2)- **Hannachi (s):Inventaire varital de la palmeraie Algerienne ,Anep Rouiba Algerie,1999.pp.20-198.**

العزاز- بنت خباله . لتيمة . تشرويت . ميزيط . تيمجوهرت . علي و راشد . تكرموست .
تمصريت ، تودانت . العجينة . حمراية .

وبحكم أن منطقة وارجلان كان بها سنة 1294 هـ 1877 م . 433.515 . نخلة مثمرة⁽¹⁾ ،
فإن أكبر إنتاج فلاحى لها هو مادة التمر ،الذي ينتج بكميات كبيرة وأنواع عديدة منها
اللين و الجاف يقوم التجار المحليون بجلب الصنف القابل للتصدير من دقلة نور و
دقلة بيضاء(أنظر الصورة رقم(4) عن التمر بالملاحق، ص.167) .

و تافزوين^(*)، ذات خاصية أنها لا تتأثر بعاملى الزمن والشحن من جميع القرى والمدن
المحيطة بوارجلان ، ويصلون في عملية الجمع حتى إلى تقرت وقرى وادي ريغ
والحجيرة، ويخزن في محلات خاصة بعد وضعه في أكياس تدعى (القرابير) ، ثم يباع
إلى التجار المختصين في تصديرها إلى السودان وقد وصل سعرها في وارجلان في
منتصف القرن التاسع عشر ميلادي إل 12،5 فرنك للصاع من النوع الجيد و 10 فرنك
للصاع من التمر العادي⁽²⁾ ، وهذه المادة هي أقدم بضاعة عرفت التصدير إلى إفريقيا
جنوب الصحراء ،وتواصلت إلى ما بعد القرن التاسع عشر .

الجمال:رغم كون الجمل وسيلة نقل لكن هو في حد ذاته بضاعة ، حيث إنه يباع بعد
الاستغناء عن خدماته أو لكونه أصبح عاجزا على العودة محملا ببضاعة أخرى،وهناك
نوع من الجمال يدعى المهري^(**) ينقل خصيصا لبلاد السودان لغرض بيعه،رغم أن ثمنه
غير مرتفع بالمقارنة مع البغال والأحصنة لكنه يتاجر به لكونه لا يكلف التاجر شيئاً
حيث يمشي دون شحن ويأكل من أعشاب الأرض،وحتى إذا أصابه مرض ينحر و
يؤكل أثناء الرحلة .

(1) . Largeau (V): op.cit.p.109.

(*) . التافزوين : نوع من أنواع التمر المشهور في وارجلان كبير الحجم ويابس لا يتأثر بالحرارة .

(2) . Largeau (V): op.cit.p.103.

(**) . المهري : هو نوع من أنواع الجمال الجيدة، والتي تتميز عن الجمال العادية بكونها طويلة القامة نسيبا
وشاحبة البطن، وفي غالب الأحيان يكون لونها أبيض أو بني ، سعرها باهض في سوق وارجلان ثمن الواحد أكثر
من خمسة أضعاف ثمن الجمل العادي ، تستعمل للسباق أو لتنقل بعض الأشخاص الميسورين .

الملح : لقد ذكرت المصادر والمراجع أن مادة الملح ، كانت من البضائع الأساسية التي تصدر إلى إفريقيا جنوب الصحراء ، وتروي القصص الشعبية الموروثة في وارجلان أن تجار القوافل من الأسلاف كانوا يشترون العبيد من بر السودان مقابل قطعة ملح ، ومرد ذلك أن مادة الملح نادرة⁽¹⁾ ولا تغطي الطلب المتزايد عليها هناك ومهمة في الحياة اليومية للسكان ، إذ تدخل في مجالات كثيرة في الطهي وفي دباغة الجلود وفي تجفيف اللحوم، وعلى هذا الأساس فهي جد مطلوبة وغالية الثمن وصلت في بعض أسواق السودان إلى وزنها ذهباً، و يتم مقايضتها بالمواد النفيسة حيث كان ثمن العبد الواحد قطعة ملح لا تزيد عن حجم رطله⁽²⁾، ثم ارتفع سعره في عهد مملكة سنغاي ووصل إلى حمل بغير من الملح ، وفي القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي بلغ سعر الملح في أسواق تمبكتو الكمية بثلاثة مثاقيل⁽³⁾ ، كما استعمل في أقطار عديدة من السودان الغربي علة متداولة في عملية الشراء والبيع ، وقد كانت قوافل وارجلان تبيع جزءاً من بضاعتها خاصة الأدوات الحديدية ، وتعوضها بمادة الملح الذي تواصل به السير إلى أفريقيا جنوب الصحراء ، (أنظر الصورة رقم(5) عن نقل الملح بالقوافل بالملاحق ص.168) .

المنسوجات : تعد حاضرة وارجلان من الحواضر الصحراوية المتميزة في ميدان المنسوجات ، وساعدها على ذلك توفر المادة الأولية في عملية النسيج من صوف الأغنام ووبر الجمال و شعر الماعز، وهناك جناح خاص لها على مستوى السوق المحلية ، وتتم عملية نسيجها وحياتها بمناسج تقليدية داخل المنازل ، وفي غالب الأحيان تقوم بهذه العملية النسوة ،و تسوق محليا والفائض منها يصدر عن طريق القوافل إلى السودان الغربي ومن أهمها العباءات الصوفية⁽⁴⁾ و البرانس الوبرية

(1) . الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق، ص.324.

(2) . عبد القوى عثمان (شوقي):المرجع السابق، ص.95.

(3) . الهادي المبروك (الدالي):المرجع السابق ، ص.329.

(4) . محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق ، ص.165.

والحنابل و الأغطية وبعض الألبسة البسيطة والخفيفة المصنوعة من الصوف والقطن والخيام المنسوجة من وبر الجمال وشعر الماعز و الطاقيات ، وعباءات بغطاء الرأس وأقمشة صوفية غير مصنعة تباع في أسواق السودان بأربعة فرنكات للمتر الواحد⁽¹⁾ (أنظر الصورة رقم (6) لمنسج تقليدي بوارجلان بالملاحق ص.169.) .

المنسوجات القطنية : من ضمن البضائع التي كانت تصدر من وارجلان إلى بلدان السودان الغربي المنسوجات القطنية ، التي تدخل في صناعة الألبسة وخاصة اللونين الأبيض و الأسود⁽²⁾ المرغوب فيهما لدى سكان إفريقيا الغربية ، وهذا النوع من المنسوجات يجلب إلى سوق وارجلان من الأقطار الأوروبية عن طريق تجار قسنطينة و سكيكدة و بجاية ،ومنها يصدر عبر القوافل التجارية إلى بلدان إفريقيا جنوب الصحراء .

التبغ (الشمة): حسب شاهد عيان⁽³⁾ شارك في تجارة القوافل في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين أن قوافل وارجلان، كانت تأخذ ضمن بضاعتها التجارية إلى السودان الغربي منذ زمن بعيد مادة التبغ وعلى الخصوص نوع (الشمة) التي تستنشق بالأنف أو توضع تحت الشفتين ، والتي لا تزرع في وارجلان ولكن كانت تستورد من منطقة وادي سوف على شكل حزم شبيهة بحزم (القرط) الذي يباع علفا للمواشي، و تشحنها القوافل في القراير إلى غاية سوق تمبكتو.

الخيول : بالرغم من كون المنطقة لا تنتج الخيول و لكن كان تجارها يجلبونها من جهات أخرى و يصدرونها إلى السودان لكون هذه البضاعة جد مطلوبة و باهظة الثمن ، إذ يصل ثمن الحصان الواحد ما بين خمسة عشر وعشرين عبدا ، وفي قاو وصل ثمنه إلى خمسين مثقالا، ومرد ذلك أنه يستعمل من طرف حراس الملوك

(1) . المرجع نفسه : ص.166.

(2) . مقابلة مع السيد الحاج بوعزة (89) سنة : المقابلة السابقة .

(3) . نفس المقابلة.

والسلاطين، والارستقراطيين السودانين⁽¹⁾، وفي الحروب ، وهذه البضاعة جد حساسة في نقلها حيث من أصل أربعة أحصنة يصل اثنان فقط إلى أسواق السودان الغربي.

البارود : لقد صدرت القوافل التجارية من وارجلان إلى سوق تمبكتو بالسودان الغربي مادة البارود التي كانت تجلب إليها من خنقة سيدي ناجي في الزيبان⁽²⁾. وبعضها يصنع محليا بوارجلان من مادتي الكبريت و الملح ، وكان الإقبال عليها كبيرا لكونها تستعمل ذخيرة للبنادق التقليدية في الحروب وفي صيد الحيوانات البرية

الأسلحة : لقد كانت تصنع البنادق والسيوف التقليدية في الصحراء في كل من تقرت^(*) ووارجلان و غرداية ، وتسوق عبر القوافل التجارية من وارجلان إلى السودان الغربي، و قد بلغ سعر البندقية الواحدة أكثر من العشرين فرنكا⁽³⁾. في أسواق إفريقيا جنوب الصحراء في القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر للميلاد.

الكتب : لقد كانت الكتب المخطوطة من البضائع الهامة التي تصدر من شمال الصحراء إلى جنوبها ، وكانت أسعارها جده مرتفعة على عهد دولة سنغاي ، وكانت تسوق في غالب الأحيان في سوق تمبكتو ، وكان يقبل على شرائها العلماء والحكام وطلبة العلم ، وقد بلغ سعر نسخة من أحد القواميس ثمانين مثقالا⁽⁴⁾.

ريش النعام : لقد كان النعام موجودا بعدد كبير بوارجلان وضواحيها إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين⁽⁵⁾، يصطاده السكان لغرض الاستفاداة من لحمه

(1). الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق ، ص. 333.

(2) . محمد العربي (الزبيري) : المرجع السابق ، ص.166.

(*) . تقرت : حاضرة كبيرة تقع شمال شرق وارجلان وعاصمة لمنطقة وادي ريغ ، وكانت بها سلطنة مستقلة قائمة بذاتها تدعى سلطنة بني جلاب، وتبعد عن وارجلان بمسافة 160 كلم ، قطعتها قافلة فلاتيرس سنة 1880م خلال أربعة أيام ، تتبع إليها كل من المقارين وتماسين و بلدة عمر ، ومن أهم منتجاتها الفلاحية مادة التمور والنسيج التقليدي (انظر محمد الصغير بن العمودي : تقرت عاصمة وادي ريغ ، المطبعة العصرية للوائح تقرت الجزائر ، 1995 م .

(3) . محمد العربي (الزبيري) : المرجع السابق ، ص.166.

(4) . الهادي المبروك (الدالي) : المرجع السابق ، ص.330.

(5) . مقابلة مع السيد الحاج بوعزة (89) سنة : سبق ذكرها في الفصل الثاني من المذكرة.

وشحمه طازجا ومجففا أما ريشه الكبير⁽¹⁾ ريش الجناحين والذيل فيجمع على شكل رزم وينقل عن طريق القوافل التجارية من وارجلان إلى أسواق السودان الغربي أين يقبل عليه التجار المحليون لشرائه لكونه يستعمل في مجالات عديدة إذ تصنع منه تيجان توضع على الرؤوس في المناسبات وأثناء الرقص التقليدي ، كما تصنع منه مراوح تقليدية ومظلات وبعض الأنواع من السجاد ، ويعلق حتى على مداخل المنازل تعبيرا على الترف والجاه .

الأدوات الحديدية : لقد كانت تصدر من وارجلان إلى السودان مجموعة من الأدوات الحديدية ذات الاستعمال الواسع ، حيث يصنع معظمها محليا من قبل الحدادين والصناع التقليديين ومنها السكاكين . السيوف . أقفال المنازل . الألجمة الخاصة بالأحصنة والدواب . حلقات حديدية متنوعة الأحجام والأشكال تستعمل لأغراض مختلفة. الفؤوس والمعاول ، المناجل ، السروج ، البنادق ، الدروع ، الخوذات ، السهام الأقواس ، النشاب⁽²⁾ .

الأقمشة الحريرية : يزود سوق وارجلان المحلي بالأقمشة الحريرية من أسواق الزيبان وقسنطينة وسكيكدة و بجاية ، وحتى من أسواق تونس ، ومن وارجلان تنقل عبر القوافل التجارية إلى أسواق السودان الغربي المختلفة وتحقق أرباحا كبيرة⁽³⁾

بضائع الزينة و الرفاهية : أغلبية هذه البضائع لا تصنع أو تنتج في وارجلان ولكنها تستودها من القيروان وقسنطينة و بجاية و سكيكدة و من البلدان الأوروبية ومنها . العطور بمختلف أنواعها . الشاش . العمائم . الطاقيات . الأساور والأقراط الذهبية والفضية والنحاسية . الحلي . الألبسة الحريرية . العقود الزجاجية . الكتان⁽⁴⁾ بمختلف أنواعه . الأدوات المنزلية النحاسية ، الكؤوس

(1) . محمد العربي (الزبيري) : المرجع السابق ، ص.167.

(2) . نفس المرجع ، ص.167.

(3) . عبد القادر (زبادية) : المرجع السابق ، ص.166.

(4) - Lewicki (T): op. cit. p.27.

الزجاجية ، القماش القطني ، المرايا ، الأمشاط ، الكحل ، العلك .
البضائع الغذائية : من ضمن البضائع الغذائية المصدرة إلى بلاد السودان هي البضائع المطلوبة هناك والتي لا تتعفن في الطريق مثل البقول . التين المجفف الزبيب . الزيت . الشاي . السكر . القمح عند طلبه لكونه ثقيلًا ونقله صعب وكل هذه البضائع لا تنتج أو تنبت في وارجلان وإنما تستوردها وتصدرها⁽¹⁾

و في ظل عدم وجود إحصائيات مدققة عن سير العملية التجارية ما بين السودان وشمال الصحراء ، وعدم تسجيل التجار لرحلاتهم كما فعل الرحالة الأوروبيون خاصة في الفترة ما بين القرن السادس⁽²⁾ عشر والتاسع عشر للميلاد ، جعل جل المراجع تعمم نفس الصادرات على جميع أقطار شمال الصحراء وقوافلها المتوجهة إلى السودان الغربي ، ويمكن تصنيف هذه الصادرات إلى البضائع الاستهلاكية من مواد غذائية و ألبسة ، وبضائع كمالية من أحصنة وحرير و عطور ، وبضائع الاستعمال اليومي في المنازل من سكاكين وأواني منزلية ، وبضائع الاستعمال الفلاحي من مناجل ومعاول وفؤوس ، وبضائع الاستعمال العسكري من سهام ودروع و بنادق و بارود ، وبضائع موجهة للعلم والثقافة والتعليم من ورق و حبر وكتب وأقلام . (أنظر الجدول رقم(4) الخاص بالبضائع الصادرة إلى السودان بالملاحق، ص.174).

2 . البضائع المستوردة من السودان الغربي :

تستورد من السودان الغربي الذهب و العبيد، و مرد ذلك وفرتها بقوة في الأسواق السودانية ، والطلب المتزايد عليهما في أسواق شمال إفريقيا و أوروبا ، و فائدتها العالية جدا حيث إن التاجر إذا أخذ معه حصانا قيمته في القرن التاسع ميلادي لا تتجاوز عشرين فرنكا ، فإن مقايضته تتم بعشرين عبداً سعر العبد الواحد في شمال الصحراء في نفس الفترة يتجاوز خمسة وعشرين فرنكا ، فمن هذه المقارنة نتصور كم

(1) . برنشفك (روبار) : المرجع السابق ، ص. 265.

(2) . ناصر الدين (سعيدوني) : «ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني» ، الأصلة ، ع41 ، ص. 71.

(3) . يحيى (بوعزيز) : المرجع السابق ، ص.56.

كان هامش الربح ، قدره الدكتور يحيى بوعزيز أنه في بعض البضائع يصل إلى 900 %⁽¹⁾ ، وكذلك الشأن بالنسبة للذهب حيث تتم مقايضته بالملح و بالتمر وغيرهما ومن أهم البضائع التي كانت تستورد من السودان الغربي من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر للهجرة السادس عشر إلى التاسع عشر للميلاد نذكر

الذهب : تعد مادة الذهب أهم بضاعة تصدر إلى أقطار المغرب العربي بما فيها وارجلان ،من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ، ولم يتوقف هذا السيل إلا بدخول الاستعمار الغربي هذه الأقطار، ومصدره روافد نهري النيجر والسنغال⁽²⁾ ، وخاصة منطقتي نقارة وغياروة وذلك عندما يتراجع منسوب المياه في شهر أوت من كل سنة ، يخرج الأهالي لجمع قطع الذهب من فوق الأرض و يبيعونه لتجار وارجلان والمغرب الأقصى ، ونظرا لوجوده بكثرة في السودان الغربي توهم بعض القصاصين و الكتاب أن هناك شجرة تلد الذهب توجد في أرض غانة . وقد كانت تضرب منه سكة⁽³⁾ في وارجلان يقال لها الدينار ، كما تصنع منه الأقراط والأساور ويصدر الفائض منه إلى خارج الإقليم وبقيت إفريقيا الغربية مصدر الذهب في العالم إلى غاية القرن الثاني عشر الهجري السابع عشر الميلادي⁽⁴⁾.

العبيد : تعد تجارة العبيد من أقدم التخصصات التي كانت تدخل ضمن تجارة السودان الغربي، وكانت لها أسواق خاصة في مختلف المدن السودانية، و أكبر سوق لها كان في غانة حيث يجلب إليه العبيد من مختلف الجهات، وتتم عملية الحصول على العبيد بين الأفارقة أنفسهم عن طريق الأسر في الغزوات التي تقع بين القبائل، أو عن طريق القنص والاختطاف ، أو يباعون من طرف أوليائهم بسبب الفاقة والفقر، وكان

(1) . يحيى (بوعزيز) : المرجع السابق، ص.56.

(2) . المبروك الهادي (الدالي): المرجع السابق، ص.319.

(3) . الإدريسي: المصدر السابق ، ص.24.

(4) . هوبكنز (ا.ك.): المرجع السابق، ص.163.

العبد يباع في بعض الأحيان بكمية من الملح لا تتجاوز واحد كيلو غرام ، و ارتفع ثمنه ووصل قبيل الاستعمار الأوروبي للقارة إلى حمل بغير من الملح⁽¹⁾ ، و بعد شرائهم ينقلون من إفريقيا جنوب الصحراء إلى شمالها و الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أقدامهم ، ولا يركبون على الجمال إطلاقا ، بل يقطعون آلاف الكيلو مترات سيرا على الأقدام لمدة تصل إلى تسعين يوما، وعندما يصلون إلى وارجلان يوضعون في سوقها المحلي جناح العبيد ، يشتري أغلبهم تجار الشرق الجزائري قسنطينة و بجاية و سكيكدة الذين هم بدورهم يصدرونهم إلى الأقطار الأوروبية ، كما يأخذ منهم سلطان وارجلان حصته ليسدد بها الضريبة السنوية المفروضة عليه من

طرف إيالة الجزائر. وقد قال الدكتور ناصر الين سعيدوني في هذا الموضوع :
(وقد كان لهؤلاء العبيد الذين كانت تقوم عليهم تجارة الرقيق والنخاسة أهمية خاصة في حياة وارجلان الاقتصادية طيلة العهد العثماني ، بعد أن تضاءلت كميات التبر المستورد من السودان⁽²⁾ .)

الجلود : تستورد هذه المادة كذلك من السودان وهي جد مطلوبة في الأسواق المحلية ، لكونها تدخل في صناعات تقليدية عديدة ، مثل صناعة الحقائق⁽³⁾ و الأحذية و محافظ النقود والأوراق ، وأدوات تجميل المرأة ، والسروج وتغلف بها أغماد⁽⁴⁾ السيوف والسكاكين ، و أكياس تدعى المزود ، و تجلب منها أنواعا عديدة منها جلود الغنم وجلود الإبل و البقر ، وجلود الماعز المدبوغة وجلود الحيوانات المفترسة من النمور والأسود ، وجلود الحيوانات السامة مثل الأفاعي .

العاج : كذلك من ضمن البضائع المستوردة العاج الذي هو في الأصل أنياب الفيلة ، ومن وارجلان يأخذه بالجملة تجار الشرق الجزائري ، وهم بدورهم يصدرونه

(1) . عبد القوى عثمان حبيب (شوقي):المرجع السابق، ص،95 .

(2) . ناصر الدين (سعيدوني):الإصالة ، ع41 ، المرجع السابق ، ص، 84.

(3) . نفس المرجع: ص. 101.

(4) . عبد القادر (زيادية): المرجع السابق ، ص. 223.

إلى الأقطار الأوروبية⁽¹⁾ على حالته الطبيعية كمادة خام، ولإشارة فإن مادة العاج تصنع منها مقابض السيوف والسكاكين و بعض التحف الثمينة .

التوابل : تنبت في السودان الغربي أصناف عديدة من التوابل، ومنها على الخصوص . الفلفل الأكل⁽²⁾ . والزنجبيل . و القرفة ، تجمع وتباع في الأسواق السودانية ، و هي عالية الثمن ورغم ذلك يقبل عليها تجار وارجلان لكونها مطلوبة جدا ومفضلة في الأسواق المحلية ، وتباع بأضعاف مضاعفة ، وتصدر إلى أوروبا عن طريق مواني الشرق الجزائري .

بيض النعام : يجلب من الأسواق السودانية في صورتين إما فارغ من المح ومغلف في بعض أجزائه بالجلد ومزين بريش النعام و يستعمل للزينة في المنازل، أو بيضة في شكلها الطبيعي تستعمل في تحضير العقاقير لمعالجة بعض الأمراض .

النحاس : يتم اقتناء النحاس من تاكدة ، على شكل قضبان⁽³⁾ صغيرة أعدها أصحابها خصيصا للتصدير ، بعد أن استخرجوا النحاس الخام من المناجم الموجودة بكثرة حيث إنه بمجرد أن يحفر الأهالي الأرض يجدون النحاس الخام ، يأخذونه إلى أماكن خاصة أين يتم صهره و تحويله إلى قضبان ، ويباع على شكل مجموعات تحتوي كل واحدة منها على أربعمئة قضيب طول كل قضيب شبر ، يشتري من طرف تجار وارجلان وتلمسان والمغرب ، يشتري الصناع التقليديون المحليون جزءا منه ، ويباع الفائض إلى تجار قسنطينة الذين يصدرون بعضه إلى الخارج، وتدخل مادة النحاس في صناعات عديدة منها صناعة الأواني المنزلية ، وفي الصناعات الحربية الأسلحة و الذخيرة

الشب : تستورد هذه المادة من منطقة كوار شمال بحيرة تشاد ، في الجهة الشرقية من السودان الغربي ، يقبل عليها تجار مصر وشمال الصحراء خاصة

(1) . مختار (حساني): المرجع السابق ، ص. 200.

(2) . عبد القوي عثمان حبيب (شوقي): المرجع السابق، ص. 107.

(3) . المرجع نفسه ، ص. 103.

المغرب الأقصى و وارجلان، يستوردون منها النوع الممتاز الذي يكون لونه أبيض أما الأنواع الأخرى الحمراء والخضراء⁽¹⁾ فلا يستوردونها نظرا لكونها رديئة ويستعمل الشب في مجالات عديدة منها تثبيت الألوان على الثياب، وفي الدباغة و في المجالات الطبية التقليدية فهو مطلوب كثيرا في الأسواق المحلية بوارجلان .

القديد : يأتي القديد من الأسواق السودانية إلى سوق وارجلان ، وهو عبارة عن لحم للمواشي والجمال وبعض الحيوانات البرية الإفريقية وحتى لحم النعام⁽²⁾ مجفف بطريقة تقليدية ، يستعمل في هذه العملية الملح بالدرجة الأولى ، وبعد ذلك يصبح قابلا للحفظ والتخزين والنقل .

الجبن المجفف: يجلب إلى سوق وارجلان من السودان الغربي مادة الجبن المجفف⁽³⁾ أو ما يعرف محليا باسم « الكليلة »، وهو عبارة عن حليب للمواشي والجمال والأبقار يتم تجبينه وتجفيفه بطرق تقليدية، يصبح قابلا للحفظ والتخزين لمدة زمنية طويلة ويمكن نقله بالأكياس ، و يستعمل خميرة للعجائن ، ويضاف إلى الحليب لغرض تجبينه أو تحميضه

القول السوداني : يستورد القول السوداني⁽⁴⁾ المعروف لدينا باسم « الكاوكاو » من إفريقيا جنوب الصحراء بكميات كبيرة جدا بحيث أنه يكون متوفرا في السوق المحلي بوارجلان في الفصول الأربعة ، كما يصدر للأسواق الداخلية كقسنطينة وبجاية وسكيكدة و المسيلة .

الحنة : يشتري تجار وارجلان الحنة⁽⁵⁾ من الأسواق السودانية ،وهي عبارة على نبتة ذات أوراق كثيفة وخضراء، وتنتبت بإفريقيا جنوب الصحراء على شكل أشجار⁽⁶⁾

(1) . نفس المرجع: ص ، 105 .

(2) . الزبيري: المرجع السابق ، ص . 172 .

(3) . يحيى (بوعزيز): المرجع السابق، ص. 53 .

(4) . ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص. 84 .

(5) . Rozet et Carette: L'ALGERIE. Paris .1850. p .313 .

(6) . البكري : المصدر السابق ، ص. 168 .

كبيرة يصل ارتفاعها ارتفاع شجر الزيتون، يتم حصادها وتجفيفها و تسويقها وتستعمل الحنة في مجالات الزينة، وتقبل عليها النساء، تباع في سوق وارجلان ومنه تصدر إلى أسواق قسنطينة و بجاية و سكيكدة.

الصمغ : يجلب تجار وارجلان مادة الصمغ من السودان الغربي ، وهي مادة نباتية تستخرج من أشجار الصمغ⁽¹⁾ ، و تستعمل في مجالات عديدة منها صناعة الحبر وفي تحضير الحلويات وفي العقاقير الطبية الشعبية .

الأغنام:يستورد تجار وارجلان الأغنام من نوع (سيداون)^(*) من أسواق إفريقيا جنوب الصحراء بكميات كبيرة، لكنهم يبيعونها في الحواضر التي تقع على خط القوافل خاصة في منطقة توات وعين صالح ومن النادر جدا أن تصل منها شاة إلى وارجلان⁽²⁾

بضائع مختلفة : بالإضافة إلى البضائع الأنفة الذكر والتي كان يشتري منها التجار الوارجلانيون كميات كثيرة ، كانوا يجلبون معهم كذلك مواد أخرى وبكميات أقل وهي الأقمشة السودانية المزركشة . وأنواع عديدة من البخور . والعسل . و جوز الكولا⁽³⁾ . بعض التحف التقليدية الموجهة للنساء . الأحجار الكريمة . السمن . (انظر الجدول رقم(5)الخاص بالبضائع المستوردة من السودان بالملاحق ،ص.175).

المعاملات التجارية بالأسواق السودانية:

إن جميع التجار الوافدين على الأسواق السودانية من إفريقيا شمال الصحراء أو مصر تفرض عليهم نفس الضرائب ، ويتعاملون في الشراء و البيع بالعملة السائدة هناك وبالمقاييس و المكايل والأوزان شائعة الاستعمال في هذه الجهة ، و يبيعون بضاعتهم بالأسعار المتداولة في الفصل الذي يصلون فيه أو السوق الذي يقصدونه لكون الأسعار تتباين من سوق لآخر ومن فصل لآخر ، و تتحكم فيها القاعدة الاقتصادية

(1) . محمد شفيق (غربال): المرجع السابق، ص.113.

(*) . سيداون : نوع من الأغنام أفريقيا جنوب الصحراء ، تتميز بوجود الشعر على جلدها بدل الصوف.

(2) . مقابلة مع السيد الحاج بوعزة (89) سنة : سبق ذكرها .

(3) . هوبكنز (أ.ك): المرجع السابق ، ص. 162.

العرض والطلب. والقافلة المغاربية منذ بداية الطريق وهي تصرف على الرحلة ومن ضمن هذه المصاريف حق حراس القافلة من قطاع الطرق، وضريبة العبور للطوارق، وحقوق زعماء القبائل إلى أن تصل إلى السودان ومن بين هذه الأعباء الرسوم والضرائب المختلفة : يدفع تجار القوافل العديد من الضرائب على بضاعتهم حتى يصلون بها إلى السودان ، وقد تصل هذه الضرائب في مجملها إلى مائة في مائة وخمسين بالمائة⁽¹⁾ من قيمة البضاعة .

وقد فرضت غانة رسوما تقدر بدينار ذهب على كل حمل دابة دخلت أراضيها ودينارين على كل حمل خرج من أراضيها⁽²⁾ ، كما تدفع ضريبة المرور إلى العربان في الصحراء ، مقابل دلهم على المسالك الصحراوية و آبار المياه وعلى عصابة الطرق ، التي تعترض سبيل القوافل وتجردها من كل ما خف وزنه وغلا ثمنه وكانت تدفع إلى حكام حاضرة غات حق المرور ضريبة تقدر بخمسة فرنكات ونصف ذهابا على كل حمولة ، وتسعة فرنكات⁽³⁾ على كل حمولة أثناء العودة ، وما يلاحظ أن جل المدن والممالك السودانية التي تعبرها القوافل المغاربية تدفع ضرائب الدخول، وضرائب الخروج من وإلى أسواقها مثل . غانة . تيمبكتو . و أغاديس .

المقاييس والأوزان و المكايل :

استعمل الوارجلانيون عدة طرق في التعامل التجاري فيما بينهم وبين الآخرين في مجال القياس والوزن والكيل ومن ضمن هذه الأنواع نذكر :

(1) . نفس المرجع، ص.161.

(2) . عبد القوى عثمان حبيب (شوقي): المرجع السابق ، ص. 91.

(3) . يحيى (بوعزيز) : (طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر) ، الثقافة ، ع59 ، منشورات وزارة الإعلام و الثقافة ، 1980م ، ص.19.

(4) . فؤاد إفرام (البستاني): منجد الطلاب ، المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان ، 1956م ، ص.534.

المقاييس : تستعمل المقاييس لقياس الطول و المسافات و الأبعاد، وقد عرفت أسواق وارجلان عدة أنواع من المقاييس :

الفرس : هو وحدة من وحدات القياس الصغيرة ، وطوله البعد ما بين طرفي السبابة والإبهام⁽¹⁾ عند فتح اليد ويقدر طوله بحوالي 17 سنتيما .

الشبر : هو قياس يساوي المسافة ما بين الخنصر والإبهام لليد اليمنى⁽²⁾ عند الرجل ويساوي ما بين 21,5 سنتيما إلى 22 سنتيما .

القدم : هي وحدة قياس لمعرفة وقت الزوال ووحدة قياسها رجل الرجل⁽³⁾ .

الذراع : وهو الامتداد ما بين نهاية المرفق ونهاية الأصبع الوسطى للرجل وتساوي في المتوسط 50⁽⁴⁾ سنتيما، وهناك بعض الأذرع من تصل إلى 55 سنتيما .

الخطوة: هي وحدة قياس طول وتعادل واحد متر وتقاس بخطوة⁽⁵⁾ الرجل وهي البعد ما بين الرجل اليمنى واليسرى عندما يخطو الرجل خطوة مع الفتح بين رجليه قليلا .

القامة: وحدة قياس طول تقاس بقامة الرجل واقفا ومعتدلا ومعدل الطول 1,70 مترا⁽⁶⁾

الحبل: وحدة قياس خاصة بالأرض وتقاس بقطعة حبل طولها عشرة أمتار⁽⁷⁾

الميل: وحدة قياس يستعمل في قياس المسافات الطويلة ويختلف قياسه في البحر عنه في البر ، فالميل البحري يساوي 3192,776 ذراعا⁽⁸⁾ أي حوالي 1600 متر ، في حين

الميل البري حدده العرب قديما بمنتهى البصر⁽⁹⁾ من الأرض أي ما بين 3800 إلى

(1) . فؤاد إفرام (البستاني): منجد الطلاب ، المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان ، 1956م ، ص.534.

(2) . الهادي المبروك (الدالي): المرجع السابق، ص.338.

(3) . حوتية (محمد الصالح): المرجع السابق ، ص. 164.

(4) . زيادية: المرجع السابق ، ص. 198.

(5) . الدالي (الهادي المبروك): المرجع السابق ، ص. 338.

(6) . حوتية (محمد الصالح): المرجع السابق ، ص. 163.

(7) . نفس المرجع : ص.164.

(8) . محمد فريد (وجدي): دائرة معارف القرن العشرين ، مج9 ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان 1971م، ص.662.

(9) . فؤاد إفرام (البستاني): المرجع السابق، ص.757.

4000 ذراع، في حين حددته بعض المراجع المعاصرة بحوالي 1920 متراً⁽¹⁾.
الفرسخ : وحدة قياس مسافات حدد الطول بحوالي ثلاثة أميال⁽²⁾، أي ستة كيلومترات.
البريد : وحدة قياس مسافات طويلة ويحدد طوله بسرعة حصان لمدة ساعة من الزمن دون انقطاع⁽³⁾. وقدّر بمسافة اثني عشر ميلاً أو أربعة فراسخ⁽⁴⁾ أي 24 كيلومتراً.
الأوزان : لقد سادت بحاضرة وارجلان وحدات للوزن لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها في أقطار شمال إفريقيا، كما استعملت أوزان السودان الغربي في معاملتها معه وهي:
الدرهم : هو وحدة وزن ويساوي سبعة أعشار المتقال⁽⁵⁾. أي 2,97 غرام⁽⁶⁾ .
المتقال : وحدة وزن خاص بالمعادن الثمينة، ويساوي وزنه اثنين وسبعين حبة من حبات القمح وحدد وزنه 4,25 غراماً من الذهب الخالص⁽⁷⁾.
الدينار : عملة ويستعمل وحدة وزن ويساوي أربعين درهماً⁽⁸⁾ أي حوال 11,88 غراماً
الوقية : وحدة من الوحدات الصغيرة للوزن تعادل 27,5 غراماً⁽⁹⁾.
الرطل : وحدة وزن تساوي 500 غرام.
كما توجد أوزان سودانية محلية⁽¹⁰⁾ كانت سائدة في المعاملات التجارية وهي:
الصودو : ويساوي سدس متقال . **والعروبو** : ويساوي ربع متقال عادي مدموغ الثلث : ويساوي ثلث متقال عادي مدموغ . **ومتقال دياربي** : ويساوي نصف متقال .

-
- (1) . زيادية: المرجع السابق ، ص. 198 .
 - (2) . الدالي (الهادي المبروك): المرجع السابق ، ص. 338 .
 - (3) . عبد القادر (زيادية): المرجع السابق ، ص. 199 .
 - (4) . حسن إبراهيم (حسن) : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، 1964 ، ج1 ، ص. 459 .
 - (5) . الدالي الهادي (المبروك): المرجع السابق، ص. 337 .
 - (6) . محمد شفيق (غريال): المرجع السابق، ص. 791 .
 - (7) . نفس المرجع : ص. 1646 .
 - (8) . زيادية (عبد القادر) : المرجع السابق، ص. 200 .
 - (9) . نفس المرجع : ص. 200 .
 - (10) . محمد الصالح (حوتية) : المرجع السابق ، ص. 165 .

أدوات الكيل :

استعملت في وارجلان العديد من أنواع أدوات الكيل، وهي مختلفة من حيث التسمية تستعمل كل واحدة منها في كيل مادة معينة وهي .

المد: ويقدر بحفنة اليدين المتوسطتين للرجل، ويستعمل لكيال المواد الجافة من بقول وحبوب وخاصة مادتي القمح والتمر⁽¹⁾.

الصاع: ويقدر بأربعة أضعاف المد⁽²⁾، أي أربع حفنات باليدين المتوسطتين. وهو أكثر أدوات الكيل استعمالا في سوق وارجلان⁽³⁾.

القنطار : ويقدر بحوالي عشرين إلى خمسة وعشرين صاعا أي مائة كيلوغرام **المزود :** وهو كيس يصنع من الجلد ، يحمل ما بين خمسين إلى ثمانين كيلو غرام ، أي ما يستطيع أن يحمله الرجل أو العبد على ظهره⁽⁴⁾ .

الحمل⁽⁵⁾ : وهو ما يستطيع أن يحمله الجمل ويتكون من كيسين يعرفان محليا باسم . **القرائير-** ، تحمل كل واحدة ثلاثين صاعا، بمجموع ستين صاعا أي ما يعادل قنطارين ونصف وهذا هو حمل الجمل.

طرق البيع والشراء بالأسواق :

لقد استعمل الوارجلانيون في معاملاتهم التجارية العملة المعدنية وخاصة الدينار منها وهذا ما أكده الإدريسي في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي عندما أشار إلى أن الذهب الذي يبتاعونه من غانة يضربونه في بلادهم سكة تدعى الدينار ، كما لاحظ العياشي عندما مر على وارجلان في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي ، أن التعامل بأسواق وارجلان بالعملة حيث قال عندما دخلت القوافل التجارية إلى وارجلان أيام وجوده بها تحمل البضائع: « اشترى الناس منهم ما احتاجوا

(1) . المرجع نفسه ، ص.161.

(2) بالدالي (الهادي المبروك): المرجع السابق ، ص. 337.

(3)- Largeau (V): op.cit.p.103.

(4) . حوتية (محمد الصالح): المرجع السابق ، ص. 161.

(5) . المرجع نفسه ، ص. 162.

إليه بأرخص ثمن⁽¹⁾ وظل التعامل بالدينار من الفترة الإسلامية إلى غاية القرن التاسع عشر حيث نافسه الفرنك الفرنسي ، كما تعامل التجار الوارجلانيون في أسواق إفريقيا جنوب الصحراء بالعملة السائدة في كل سوق وهي:

البيع بالمنسوجات: استعملت المنسوجات القطنية في المعاملات التجارية في أول الأمر عملة حيث يتم الشراء بها، وذلك بتقديم قطع معينة منها أي شبر أو ذراع أو ذراعين إلى صاحب الدكان مقابل بضاعة.

البيع بالودع : هو نوع من الأصداف البحرية الصغيرة ، التي لا توجد في السودان بل تجلب من طرف تجار شمال إفريقيا وتستعمل عملة ، و لقد استمر التعامل بالودع إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي ، وقد كان بيع العبيد و شراؤهم في أسواق إمبراطورية سينغاي يتم بالودع⁽²⁾ .

البيع بالملح: أستعمل الملح النادر في بلاد السودان عملة تجارية في مرحلة من مراحل تاريخه حيث كان العبد يباع بقطعة ملح بقدر حجم رجله⁽³⁾، ثم ارتفع سعره ليصل إلى حمل بعير من الملح.

البيع بالعملة النقدية: لا نعرف تاريخا محددًا لبداية استعمال العملة النقدية في بلاد السودان الغربي، ولكنها ذكرت في المصادر أنها كانت متداولة في الأسواق بطريقة غير متجانسة حيث إننا نجد جميع عملات العالم في السوق وخاصة عملة أقطار المغرب العربي، إلى جانب عملات محلية بعضها بدائي وبعضها متطور ومن ضمن العملات الشائعة الاستعمال :

الصلع : عملة محلية ذهبية سودانية كانت شائعة الاستعمال في منطقة تادمكة⁽⁴⁾ تقدر قيمتها بدينارين.

(1) . العياشي : المصدر السابق ، ص.46.

(2) . السعدي: المصدر السابق ، ص. 158.

(3) . عبد القوى عثمان حبيب (شوقي): المرجع السابق ، ص. 95.

(4) . البكري : المصدر السابق ، ص.182.

النحاس: استعمل النحاس عملة في منطقة تاكدة وتتكون هذه العملة من قضبان نحاسية طول القضيب الواحد شبر وكل حزمة من أربعمئة قضيب تساوي مثقال من الذهب ، وشائعة الاستعمال في تاكدة .

عملة سينغاي : سادت في سنغاي عملة لا نعرف لها اسما محددًا ، ولكنها عملة ذهبية مختومة باسم سنغاي وتقدر قيمتها بدينارين .

الصكوك: إلى جانب العملة المعدنية عرفت بلاد السودان استعمال الصكوك في المعاملات التجارية⁽¹⁾

الدينار: استعمل الدينار في بلاد السودان ويساوي أربعين درهما.

الدرهم : هي عملة فضية نصفها يسمى القيراط وربعها يسمى الخروبة⁽²⁾

الكوري: عملة دخيلة على بلاد السودان أصلها فارسي وقيمتها زهيدة جدا حيث 1000 كوري يساوي: 0,75 فرنك⁽³⁾

الدوخة: عملة محلية منها ما هو ذهبي ومنها ما هو فضي⁽⁴⁾.

الدراخمة : هي عملة غير سودانية ولكنها متداولة هناك .

المثقال: هو عملة سودانية ذهبية منتشرة في كل جهاته و على الخصوص في تيمبكتو قيمته 4,25 غرامات من الذهب الخالص ويساوي في القرن التاسع عشر الميلادي 19 فرنكا .

المجيدي: عملة محلية وتساوي: 4,5 فرنكات .

الدورو: الفضي الشائع الاستعمال في أقطار المغرب العربي .

البينتو: عملة مستورة ولكنها مستعملة في السودان الغربي .

المحسوب: عملة ذهبية منتشرة في المغرب العربي و في السودان.

الموزونة: عملة فضية واسعة الانتشار في أقطار المغرب العربي و السودان. —

(1) . مسعود (مزهودي): المرجع السابق، ص.189.

(2) . نفس المرجع ، ص. 190.

(3) . يحيى (بوعزيز): المرجع السابق ، ص.23.

(4) . نفس المرجع ، ص.23.

القائمة : عملة نحاسية منتشرة الأقطار المغاربية والسودان الغربي . (انظر الجدول رقم (6) الخاص بالعملة النقدية المستعملة بالسودان الغربي ،ص.176.)

أسعار البضائع :

كانت هذه هي العملات و الأوزان و أدوات الكيل و القياس السائدة في السودان الغربي إلى غاية القرن التاسع عشر، أما أسعار البضائع فهي غير مستقرة، تتغير حسب العرض والطلب والسوق و المدينة، ومن فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى، وقد سجل لنا الدكتور يحيى بوعزيز بعض أسعار خلال القرن التاسع عشر للميلاد في بلاد السودان وهي⁽¹⁾ :

العاج : 50 كيلوغراما ما بين 200 إلى 220 ألف كوري

ريش النعام: 01 كيلوغرام ما بين 50 إلى 60 ألف كوري

تبر الذهب: 01 متقال ما بين 07 إلى 08 ألف كوري

العبد الذكر: 01 عبد ما بين 120 إلى 130 ألف كوري

العبد الأنثى: 01 عبد ما بين 150 إلى 200 ألف كوري

قماش مالطي: 22 مترا ما بين 07 إلى 08 آلاف كوري

(انظر الجدول رقم (7) الخاص بأسعار السلع والبضائع بالسودان الغربي ،ص.177.)

خلاصة الفصل

و خلاصة ما تقدم نستطيع أن نستنتج أن حاضرة وارجلان كانت سوقا كبرى في وسط الصحراء الشمالية ، فقد عليها قوافل المدن الساحلية الشرقية محملة بمختلف البضائع بما فيها البضائع الأوروبية، وتشتري من قبل التجار المحليين أو تسند إلى الوسطاء، الذين يتوجهون بها بواسطة القوافل التجارية عبر المسالك الصحراوية إلى أسواق إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى الخصوص أسواق تمبكتو و جني و تادمكة و أغاديس ، محملة ببضائع الشمال المتكونة أساسا من التمر و الملح و المنسوجات والتبغ وعلى الخصوص (الشمة) منه والبارود والأسلحة التقليدية، ويصرفون أموالا

(1) . نفس المرجع ، ص.24 .

(2) . عبد القادر (زيادية) : المرجع السابق ،ص.202.

طائفة على هذه البضاعة حتى تصل إلى هذه الأسواق منها حقوق العبور لزعماء بعض القبائل في الصحراء ، وحقوق الحراس و الأدلاء والمكوس عند دخول الأسواق السودانية ، وقد تصل هذه المصاريف إلى أكثر من خمسين في المائة من قيمة البضاعة ، ولكن كل هذا فهامش الربح كان كبيرا قد يصل إلى أكثر من خمسمائة في المائة ، و كانت تستورد منها الذهب و العبيد و الشب و الجلود و الفول السوداني والتوابل ، والتعامل في هذه الأسواق بالمقاييس و الأوزان والمكاييل المستعملة بها خاصة الشبر والذراع في ميدان قياس القماش ، والدرهم و الوقية و الرطل في الأوزان ، والمد والصاع والقنطار و المزود والحمل في ميدان الكيل .

أما بالنسبة لأسعار البضائع فيحددها السوق عن طريق الوفرة والندرة والجودة و النوع ، وعدد القوافل التي تدخل السوق الوافدة إليه من شمال الصحراء ، فإذا كان عددها كبيرا وتحمل بضاعة متشابهة فإن الأسعار تنخفض والعكس ، أما بالنسبة للعملة فإن التجار الوارجلانيين لا يحملون معهم أية عملة حيث إنهم يبيعون بالعملة المتداولة في السوق ، ولا ينتقلون بها إلى سوق آخر عملته مغايرة بل يشترون بها بضاعة هم بحاجة إليها ومتوفرة في هذا السوق . أما بالنسبة للبضائع السودانية فهي بدورها تخضع للعرض والطلب والجودة والنوع والجنس، فمثلا العبد الشاب القوي سعره أعلى من المسن والطفل⁽²⁾، ومن ضمن العملات التي كانت متداولة وتختلف من سوق لآخر نذكر . الصلغ . الدينار . الدراهم . الدوخة . الدراخمة . المتقال وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد ، دخلت عملة الفرنك الفرنسي و أصبحت متداولة في الضفتين إلى جانب العملات المحلية ، لكون شمال الصحراء وجنوبها ضم إلى المستعمرات الفرنسية .

وبعد أن تعرضت في هذا الفصل إلى الأسواق والمعاملات التجارية بها في كل من وارجلان و السودان الغربي ، سأنتقل في الفصل الموالي إلى الاستعمار الفرنسي لوارجلان وأثره في علاقاتها التجارية مع السودان الغربي ، مبينا مراحل احتلال الفرنسي لوارجلان والمقاومة الشعبية لها ، ونشاط البعثات التبشيرية بوارجلان و مدى استغلال فرنسا لطرق القوافل وتعطيلها للتبادل التجاري بين الضفتين .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الاستعمار الفرنسي لوارجلان و أثره في
علاقاتها التجارية بالسودان الغربي

- الاحتلال الفرنسي لوارجلان ومقاومته
- البعثات الاستكشافية و التبشيرية
- فرنسا وطرق القوافل التجارية
- الاستعمار الفرنسي و تجارة السودان

الاحتلال الفرنسي لوارجلان ومقاومته:

سأنتقل في هذا الفصل إلى الاستعمار الفرنسي لوارجلان ، ورد فعل المقاومة الشعبية التي واجهته بقيادة كل من محمد بن عبد الله و الشريف بوشوشة، وإلى سلطة القياد الذين أسندت إليهم مهمة تسيير الحاضرة باسم فرنسا، كما أتعرض إلى البعثات التبشيرية والاستكشافية التي انطلقت من وارجلان نحو السودان الغربي، وإلى مدى استغلال فرنسا لطرق القوافل في تحركاتها الاستطلاعية والعسكرية من حيث استعمالها للجمال والمسالك الصحراوية و الأدلاء والخبراء المحليين في معرفة الطريق ومصادر المياه وسأوضح كيف أن هذه الإستراتيجية الفرنسية المعتمدة في الصحراء ، قد أثرت سلبا في حركة القوافل التجارية مابين وارجلان و إفريقيا جنوب الصحراء.

الاحتلال الفرنسي لوارجلان :

لقد عرفت وارجلان قبيل الاحتلال الفرنسي وضعاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً خاصاً تمثل في تشرذم المنطقة و انقسامها على نفسها إلى سلطنتين ، سلطنة نقوسه في الشمال بقيادة أولاد بن بابيه ، و سلطنة وارجلان بالجنوب بقيادة أسرة بني علاهم ، وقصور أخرى محيطة بهما ، تربطها علاقات نفعية بالسلطنتين ، و بدو رحل يشتغلون بالرعي ويخيمون على أطراف القصور، و كانت الخلافات التقليدية سجالاتاً بين السلطنتين بخصوص من يتزعم المنطقة ، هذا ما أدى إلى عدم الاستقرار السياسي ، حيث تولى سلطنة نقوسه من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصفه كل من السلطان الغالي من سنة 1818 إلى 1842م ، ثم الحاج أحمد الثاني من سنة 1842 إلى 1851م⁽¹⁾ ، والشيوخ بوحفص من 1851 إلى 1851م ، وفي نفس الفترة مر على سلطنة وارجلان عدد من السلاطين نذكر منهم ، مولاي الذهبي نهاية حكمه كانت سنة 1842 ، مولاي مسعود من سنة 1842 إلى 1847م ، ومولاي علي من سنة 1847 إلى 1849م ، ومولاي سليمان من سنة 1849 إلى 1849م ، ومولاي أحمد⁽²⁾ الذي تولى مدة شهرين من سنة 1849م وكان آخر

(1) . عبد الحميد (زوزو) : المرجع السابق، ص.105.

(2).Denys (Pillet) : histoire de Ouargla essai de chronologie, Ouargla 1998, p. 11

سلاطين الأسرة الحاكمة ، أعدمه الجنرال دولاكروا (De Lacroix) سنة 1872م. وخلال هذه الفترة الحرجة التي كانت تمر بها الحاضرة، كانت فرنسا تزحف صوب الجنوب ، فاحتلت بوغار بضواحي المدينة و تيهرت سنة 1843م و بسكرة سنة 1844م وعينت احمد بن سالم قائدا على الاغواط سنة 1844م بموجب مرسوم ملكي⁽¹⁾ ، ومن هذه الخطوات المتقدمة نحو الجنوب شرعت في ضبط إستراتيجيتها للتوغل في أعماق الصحراء ، وذلك عن طريق إرسال مستكشفين وباحثين و أثريين ، زدوا السلطة الفرنسية بتقارير جد هامة عن الوضع العام للمنطقة ، من حيث عدد السكان وعدد البنادق التي يملكونها⁽²⁾ ، وعدد التجمعات السكانية ونمط معيشتهم ، و عدد الرحل والمستقرين ، وعن طرق القوافل إلى السودان الغربي ،ومن خلال هذه المعلومات التي توفرت لديها عن الجهة ، أصبحت تبحث عن سبب يفتح لها باب التوغل فاغتتمت فرصة الخلاف ما بين الأمارتين فتدخلت ونصبت يوم 20 نوفمبر 1849م⁽³⁾ الحاج أحمد بن بابيه قائدا على المنطقة و ممثلا لها، وبهذه الخطوة الفرنسية بدأت مرحلة الاستعمار غير المباشر، وهو تعيين قياد يحكمون الجهة باسمها ومزودين بحاميات عسكرية لردع كل من تسول له نفسه أن ينتفض أو يقاوم ، واستمرت هذه الفترة من سنة 1849م إلى غاية 1883 تولى خلالها قياد من نقوسة ومن أولاد سيد الشيخ و من بسكرة إلى أن تم تعيين الملازم الأول لوشاتوليي ألفرد (LE CHATELIER) (ALFRED) سنة 1883م حاكما فرنسيا ،وهو الذي أسس للإدارة الفرنسية الفعلية ، ودشن مرحلة جديدة هي مرحلة الاستعمار الفرنسي المباشر لوارجلان.

المقاومة الشعبية بوارجلان : رغم تعيين القيادة وإعطائهم صلاحيات واسعة،فالأوضاع بقيت متوترة هذا ما ساعد على ظهور مقاومة شعبية شرسة جعلت من وارجلان مركزا لها، ومن أبرز هؤلاء المقاومين الشريف محمد بن عبد الله ، ومحمد بن التومي المدعو

(1) . إبراهيم (لونيبي) «أهمية الصحراء الجزائرية في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي» ، مدونة أشغال ملتقى

التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، منشورات مديرية الثقافة لولاية ورقلة سنة 1999م ، ص.127.

(2) . تلمساني (بن يوسف): المرجع السابق ، ص ص.287 . 297.

(3) . Lhielleux (J): op. cit. p .247.

بوشوشة ، وناصر بن شهرة ، استطاعوا بدهائم أن ينظموا مقاومة شعبية بالجنوب الشرقي الجزائري انطلاقا من وارجلان عمت رقعة جغرافية كبيرة، إلى الاغواط غربا ووادي سوف شرقا و عين صالح جنوبا، فمن يكن يا ترى هؤلاء المقاومون؟ وما هي الخطط التي رسموها لمجابهة فرنسا ؟

مقاومة محمد بن عبد الله: فبمجرد ما عينت فرنسا القايد الحاج أحمد بن بابيه قايدا على وارجلان سنة 1849م ومن بعده ابنه الحاج بوحفص سنة 1851 م، حتى انتفضت القبائل المحلية على هذا الكيان الجديد الذي حل بأرضهم، وأسقط سلطنتهم معلنة البيعة للشريف محمد بن عبد الله(*) سلطانا و زعيما لمقاومة العدو ،الذي سبق له أن حل بوارجلان في

(*) **محمد بن عبد الله** : هو محمد بن عبد الله ولد في نهاية القرن الثامن عشر بالغرب الجزائري ، ويرجع أصله إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف الذين كانوا يستوطنون بضواحي عين تيموشنت ، حفظ القرآن الكريم في الزوايا المحلية ، اشتغل بمهنة تدريس القرآن في تلمسان بزاوية سيدي يعقوب نهارا والتعبد ليلا بضريح أبي مدين شعيب ونتيجة لهذا السلوك الخلقي الحسن إلتف حوله أتباع ، وانتشر خبره بكامل تلمسان ، وقدم للناس على أنه عالم وشريف النسب ، ونتيجة لهذه المكانة الاجتماعية التي أضحي يتمتع بها ، تقربت منه السلطات الاستعمارية وأرغمته على التعاون معها لمقاومة الأمير عبد القادر وأسدت عليه لقب خليفة على الناحية الغربية سنة 1841 م وشارك في معارك مع بيجو سنة 1842م، ونتيجة لقناعة منه ولضغوط كثيرة مورست عليه، منها القسم على المصحف الشريف أن يبقى وفيا لفرنسا وأن يخدمها ، وأن يترحم على عدد من الأموات الفرنسيين الذين سقطوا في حروبها ضد الأمير عبد القادر، فقد قرر التنصل من فرنسا ويعمل ما يمليه عليه ضميره وذلك بإنشاء جماعة تؤمن بمقاومة العدو وطرده ، ونظرا لعدم تمكنه من تنظيم انتفاضة في تلمسان فر سنة 1844 م بعد أن كتب على أحد الجدران (محمد بن عبد الله ناصر لدين الله أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين). ومن خلال هذا الموقف يتضح أن محمد بن عبد الله لم يقف يوما مع فرنسا، وأن كل ما قام به هو مجرد تمويه وربح للتجربة القتالية وبعد أن تحقق له ذلك أعلن موقفه الرسمي المتمثل في مقاومة فرنسا أنى وجدت على أرض الجزائر. ومن تلمسان توجه إلى وهران أين ركب البحر إلى الإسكندرية بالتراب المصري ومنها إلى البقاع المقدسة⁽¹⁾ حيث أدى فريضة الحج ، والتقى بالجالية الجزائرية هناك المكونة من طبقة مستنيرة ، ومن جملة من تعرف عليهم الشيخ محمد بن علي السنوسي الذي لازمه كثيرا وتدارسا معا الوضع العام الذي تمر به الجزائر وشرعا في التخطيط للعودة إلى الجزائر ومقاومة فرنسا ، فكانت الإستراتيجية أن يسبق محمد بن عبد الله ثم يلحق به السنوسي .

خرج محمد بن عبد الله من البقاع المقدسة في الثلاثي الأخير من سنة 1849 م متوجها إلى الجزائر ، ووصل إلى طرابلس الغرب سنة 1850 م ، ومنها إلى غدامس ، ثم إلى الوادي ، ومنها توجه إلى تقرت ثم وارجلان أين استقر بالزاوية القادرية بالرويسات (أنظر يحيى (بوعزيز): **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م) .

شهر جويلية من سنة 1851م ، واستقر بالزاوية القادرية بالروبيسات استضافه عبد الله بن خالد المخدومي أولا، و طاف بجميع الزوايا وعقد فيها جلسات أحرز من خلالها على التأييد ، ولتحقيق ذلك جند عددا كبيرا من الدعاة من جملتهم كاتبه الخاص محمد بن علي⁽¹⁾ الذي لم يفارقه منذ أن غادر تلمسان ، فأسند إليه مهمة الدعاية الخاصة بشخصه مفادها (أن محمد بن عبد الله شريف من آل البيت ، جاء إلى وارجلان لغرض تنظيم ثورة ضد الغزاة) ، وفي نفس الوقت كانت الرسائل تصل تباعا من السنوسي إلى محمد بن عبد الله وإلى زعيم عرش المخادمة عبد الله بن خالد ، الذي يعرفه منذ أمد بعيد ، يحثهما فيها على التكاثر لمحاربة عدو الدين والبلاد والعباد .

وكما قامت زوجة محمد بن عبد الله لالة مريم رقيقة عجوز صالحة تدعى الحاجة الزهرة بالدعاية للمقاومة،و للوقوف إلى جانب الشريف في الأوساط النسوية في جميع الأحياء والقرى المحيطة بوارجلان، فانتشر خبر تنظيم المقاومة في كامل أرجاء الحاضرة وأصبحت تتوافد عليه القبائل،والعروش معلنة البيعة والولاء إلى أن تمت له البيعة العلانية سلطانا لوارجلان في شهر أوت 1851م⁽²⁾ .

ومن أهم الخطوات التي قام بها بعد هذه البيعة هي المؤاخاة ما بين القبائل المتناحرة وتأسيس زمالة ، وجعل من مدينة الروبيسات عاصمة له وأنشأ بها مجلسا شوريا،و شيد بها قسبة⁽³⁾ و سجنا خاصا للخونة، وأسس جيشا شبه دائم ونظامي أغلب عناصره من عروش وقبائل وارجلان،وراسل جميع الجهات حاثا إياها على الجهاد إلى كل من شعانية متليلي ، وسلطنة بني جلاب، وإلى القائد المعين من طرف فرنسا الحاج بحوص بن بابيه الذي رفض المبايعة والدخول تحت لوائه ، فتوجه إليه وقضى على دفاعه الذي وضعته فرنسا تحت تصرفه بكل سهولة وألقى عليه القبض هو و أسرته،وزج به في

(1) . Trumelet(C): op. cit. p. 47.

(2) . محمد (بن معمر) «علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله»، محاضرة قدمت في ملتقى المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي ، مدونة أشغال الملتقى ، منشورات مديرية الثقافة ورقلة 1998، ص.64.

(3) . R.A: volume. 64. op .cit. p. 395 .

سجن الرويسات⁽¹⁾، وبهذه العملية يكون قد حرر وارجلان من فرنسا و لو لمدة وجيزة. ويواصل محمد بن عبد الله زحفه على المناطق التي وطأها أقدام فرنسا و خاصة بعد أن لقي تأييدا كبيرا من سلطنة بني جلاب بتقرت ، و شعانبة متليلي ، وأولاد نايل بالجلفة و حارب قائدها **بن الاحرش** سنة 1852م ، لكنه لم يحرز على أي انتصار فتراجع إلى الورا و مكث بمتليلي مدة نظم فيها جنده وعالج جرحاه ، و من متليلي يتوجه إلى الاغواط على رأس قافلة تجاوز عدد أفرادها الألفين بعد أن مر على غرداية وبريان لمحاربة القايد المنصب من طرف فرنسا **أحمد بن سالم** ، و انتصر عليه في معركة 4 اكتوبر 1852 م ، و قتل أكثر من مائتي جندي فرنسي هلك لها أهالي الاغواط واستقبلوه استقبال الأبطال ، ثم تقهقر قليلا إلى الورا ، ليعيد الهجوم مرة أخرى خلال أكتوبر من سنة 1852 م ، لكنه وجد الجنرال راندون في انتظاره بثلاثة فيالق⁽²⁾ فيلق يقوده ماكماهون (Mac-Mahon) بضواحي بسكرة و الثاني بقيادة بيليسي (pelissier) بضواحي البيض والثالث بقيادة يوسف (yusuf) بضواحي الجلفة ، وتم بهذه الطريقة تطويق محمد بن عبد الله من ثلاث جهات وبمجرد ما اقترب من الاغواط حتى استدعى الجنرال راندون فيلق بيليسي من البيض ، و جرت بينهما معركة غير متكافئة خسر فيها محمد بن عبد الله أكثر من 800 جندي وانهزم هزيمة كبرى رجع على إثرها إلى وارجلان ، أين عالج جرحاه وأعاد تنظيم جنده ، لكن فرنسا لم تمهله فشنت عليه هجوما بقيادة الباشاغا سي حمزة من قبيلة اولاد سيدي الشيخ سنة 1853 م و جرت بينهما معركة بضواحي نفوسه كانت سببا في تشتيت شمله ، فتوجه مع ناصر بن شهره إلى نفطة بالجنوب التونسي ، أما فرنسا فقد دخلت المدينة بقيادة العقيد دوريو⁽³⁾ (Durieu) وعانت فيها فسادا، ونصبت يوم 27 جانفي 1854 سي الزبير من أولاد سيد الشيخ قائدا على وارجلان أعطت له الصلاحيات و دعمته بحامية من الجيش.

(1) . Trumelet (C): op. cit. p. 56.

(2) . بوعزيز (يحيى): المرجع السابق ، ص. 126.

(3) . R.A: volume. 64. op. cit. p. 403.

وبعد هذه الهزيمة أصبح محمد بن عبد الله غير مستقرا في مكان ولا يملك جيشا تحت تصرفه ، وتترىص به الأعين أينما حل ، فمن نفطة بالتراب التونسي يعود مرة أخرى إلى وارجلان في ديسمبر من سنة 1854م لكنه تعرض لمطاردة عنيفة من قائدها و جنده فعاد مرة أخرى إلى تونس ، ولم يستطع الدخول إلى سلطنته بسبب غلق جميع الجهات فتقرت قد احتلت نهائيا في ديسمبر 1854م بعد معركة المقارين التي جرت أحداثها في 29 نوفمبر 1854، وأصبح من الصعب عليه المرور عليها عند دخوله من نفطة ، ومنطقة وادي ميزاب أبرمت إتفاقية مع فرنسا يوم 19 أبريل 1853م⁽¹⁾ ، و السلطات التونسية تطارده بتحريض من فرنسا ، وفي هذه الظروف وجد نفسه محاصرا ، ولكسر هذا الحصار توجه محمد بن عبد الله إلى إقليم توات سنة 1861م وهناك أعاد تنظيم نفسه وكون جيشا يتكون من الطوارق⁽²⁾ وبني ثور^(*) وسعيد^(**)

(1)- أبو لقاسم (سعد اله): الحركة الوطنية الجزائرية ، دار الغرب الإسلامي لبنان، 1992 ، ج1، ص.359

(2). عبد الحميد (نجاح): ورقلة وتقرت من المقاومة إلى الاستقلال، مطبعة الآمال الوادي الجزائر 2003 ، ص.32 .

(*)- قبيلة بني ثور : وفدت هذه القبيلة العربية إلى الجهة في أواخر القرن السادس الهجري أواخر الثاني عشر الميلادي، قادمة من الجريد التونسي بعد الحملة التي شنها حكام تونس وقتذاك على القبائل الرحل، فحطوا رحالهم قرب الرويسات و الشط ، وجعلوا من جنوب قارة كريمة مرتعا لمواشيهم، أما الحي الذي يحمل اسمهم الآن فلم يشرعوا في الإقامة فيه إلا في مطلع القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي (أنظر ناصر الدين (سعيدوني) ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني⁽¹⁾، الأصالة، ع41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر 1977 ، ص.76.

(**) قبيلة سعيد عتبة : وفدت هذه القبيلة العربية الهلالية على المنطقة في القرن السابع⁽³⁾ الهجري الثالث عشر الميلادي ، وحطت رحالها في أول الأمر على ضفاف مملكة نقوسة ، وظلت تعيش على الحياة البدوية مدة زمنية طويلة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تشد رحالها في شهر مارس متجهة ناحية الشمال الغربي وتحط رحالها ما بين غرداية و الاغواط و آفلو ومعها أكثر من مائة وثمانين خيمة ثمانمائة جملا و ألفين و خمسمائة رأسا من الغنم⁽⁴⁾ ، وفي شهر جوان ومع بداية الحر تواصل السيرها حتى تصل إلى منطقة السرسو بضواحي تيارت ، ثم تعود ثانية في فصل الخريف ولم يبنوا الديار و يستقروا في مكانهم الحالي إلا مع مطلع القرن العشرين. وتتكون من سبعة عروش وهي : فطناسة الرحبة . بنو منصور . العمرات أولاد فحول . الصبرات . الزقايرة⁽⁵⁾ (انظر تلمساني(بن يوسف): الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842، مجلة المؤرخ ، ع1 ، 2002، ص.295 .

وانظر كذلك (Largeau(V) :op. cit. p. 158.

و المخادمة^(*) و الشعانية^(**) ، حرر به وارجلان سنة 1861م ،وتمت مبايعته سلطانا من جديد، وتوجه إلى الاغواط محاولا تحريرها لكن سي بوبكر ولد سي حمزة من أولاد سيدي الشيخ كان له بالمرصاد، وأخذ يطارده حتى اعتقله في أواخر سنة 1861م⁽¹⁾ وقدمه إلى السلطات الفرنسية التي سجنته بجزيرة كورسيكا وظل سجيناً من سنة 1861 إلى غاية 1864م. أما بوارجلان فقد تم تنصيب شقيق سي الزبير سي الأعلى من طرف الرائد كولوميو (Colomieu) سنة 1862م قائداً عليها⁽²⁾ بدلا عن سي الزبير الذي أصيب بمرض. وبعد إطلاق سراحه انضم إلى ثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م، كما شارك في

(*)- قبيلة مخادمة : يرجعون إلى نفس الأصل الذي تنحدر منه سعيد عتبة ، حلوا معهم في نفس الفترة إلى الجهة ، ظلوا رحلا لمدة طويلة، يرحلون إلى الجهة الجنوبية الشرقية من وارجلان ، و يتجهون كذلك إلى الشمال الغربي حتى منطقة البيض و تاجموت ، عرفوا الاستقرار قبل أبناء عمومتهم سعيد عتبة ، وتتكون هذه القبيلة من العروش التالية : أولاد احمد . الفوارس . بني خليفة . بني حسن . أولاد نصير . أولاد سيود⁽¹⁾ (انظر تلمساني(بن يوسف): الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842،مجلة المؤرخ ،ع 2002،ص.296).
(**) - قبيلة الشعانية : هي قبيلة عربية هلالية من أولاد المهدي فرع زغبة⁽²⁾ ، استقرت بمنطقة الحضنة أولاً، ثم توجهت إلى الصحراء مع بداية التاريخ الحديث ، وفي الطريق انقسمت إلى ثلاثة فروع فرع البرازقة اختاروا منطقة متليلي ، وفرع المواضي المنبوعة ، وفرع بوروبة وارجلان ، و امتازت هذه القبيلة ، بامتلاكها لعدد هائل من الإبل و الأغنام، ميزتها بأوسمة خاصة بها وضعتها على المواشي منها - حلقتين متصلتين بقوس ، وحرف واو ، و رمز يسمونه كراع دجاجة لأنه عند طبعه يعطي شكل رجل دجاجة ، و شكل مقص ، و المشط على شكل خط به ثلاث أسنان ، و السبطات على شكل خطين مائلين متوازيين ، ورمز يسمونه علوشي على شكل حرف Z باللاتينية، ورمز يسمونه زواويد وهو عبارة على خط به سهمين من الجهتين <>

و اختارت اللون الأسود لخيمتها ، وانخرطت في الطريقة القادرية ، دخلت الجهة مع بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي⁽³⁾ وانتشرت في كل جهات وارجلان ، وعلى الخصوص في ناحية البور و فران وبوعامر وعين البيضاء و الحذب و من ضمن الفروع التي انقسمت إليها محليا نذكر : أولاد فرج . أولاد نصير . الدوي . أولاد إبراهيم . أولاد علي بن عبد الله . أولاد زيد - أولاد إسماعيل . أولاد بالقاسم . أولاد بوبكر . أولاد بو سعيد . ويرجع الفضل إلى هذه القبيلة في إنشاء مدينة حاسي مسعود .

انظر كتاب : Cauneille (A): Les Chaamba – leur nomadisme- .éditions du centre national de la recherche scientifique .paris. 1968. pp.19-23.

(1) - بوعزيز (يحيى): المرجع السابق ، ص. 128.

(2) . Madeleine (Rouvillois-Brigol): op. cit. p. 32.

ثورة المقراني عندما اندلعت في سنة 1871م⁽¹⁾، وأزر مقاومة بوشوشة بوارجلان وفي سنة 1871م أُلقت عليه القبض السلطات التونسية بحجة التحريض على الثورة وفرضت عليه الإقامة الجبرية إلى أن فرضت الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م وبعدها بقي متنقلا ما بين تونس وليبيا و الجنوب الجزائري إلى أن وافته المنية سنة 1895 م ودفن بمنطقة دوز بتونس .

ومما تجدر ملاحظته أن محمد بن عبد الله قد كرس حياته لمحاربة فرنسا وشملت مقاومته رقعة جغرافية كبيرة جدا من الجنوب الجزائري ، حيث قاد الكثير من المعارك منها: معركة الاغواط في 4 أكتوبر سنة 1852م، ومعركة نقوسه بوارجلان ديسمبر سنة 1853م، وشارك في معركة المقارين بتقرت 29 نوفمبر 1854م، وفي ثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م، وأزر بوشوشة في ثورته من 1869 إلى 1874م

وارجلان وثورة أولاد سيد الشيخ :

لقد أسندت فرنسا مهمة تسيير وارجلان إلى قياد محليين ، ثم إلى أولاد سيد الشيخ مع مطلع سنة 1854 م إذ عينت سي الزبير أغا عليها بعد أن طردت سلطانها محمد بن عبد الله في شهر ديسمبر 1853م ، وبعد عودة محمد بن عبد الله ثانية في سنة 1861م وأحدث هزة في الجهة جندت له فرنسا من ألقى عليه القبض من أولاد سيد الشيخ وعوضت أغا وارجلان سي الزبير بأخيه سي الأعلى وبقيت الجهة تحكم من طرف هذه الأسرة باسم فرنسا إلى غاية سنة 1864م أي طيلة عشر سنوات ، وبعد أن انفجرت ثورة أولاد سيد الشيخ فرت هذه الأسرة الحاكمة من وارجلان بعد أن جندت معها كل قبائل الجهة، وأصبحت قاعدة خلفية لها ، السبب الذي أدى بفرنسا إلى التحرك بقوة لإخماد غليان وارجلان ، فشنت حملتين الأولى في شهر مارس 1865 م بقيادة سيروكا (Seroka)⁽²⁾ ، والثانية في شهر جانفي 1866م بقيادة أرودو (Arnaudeau) ، وتمكنت على إثرهما من السيطرة عليها، وربطت الجهة بمقاطعة قسنطينة ، وأوكلت أمور تسييرها

(1) . يحيى (بوعزيز) : كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص. 123.

(2) . Madeleine (Rouvillos – Brigol): op. cit. p. 32.

إلى الأغا علي باي الذي يشرف على كل من تقرت و وادي سوف ورغم ذلك فالمقاومة لم تنطفئ حيث احتضنت بوشوشة ومقاومته 1871 / 1872م وشاركت بالإمداد البشري في ثورة سيدي بوعمامة 1881م .

مقاومة محمد بن التومي (بوشوشة) :

بعد سنة 1861 م تشنت شمل مقاومة محمد بن عبد الله بعد إلقاء القبض عليه وسجنه وفي هذا الظرف أصبح جنده يبحثون عن قائد يلتفون حوله لمواصلة درب المقاومة فكان أمامهم أحد المقاومين بالجهة يدعى بوشوشة فتمسكوا به فمن هو بوشوشة ؟ .

هو محمد بن تومي بن إبراهيم لقب ببوشوشة نظرا لكونه كان يترك شعر رأسه طويلا مسترسلا على كتفيه ، ولد بدوار الغيشة قرب آفلو سنة 1839م⁽¹⁾ ، درس بالكتاتيب والزوايا المنتشرة ما بين الاغواط وطولقة ببسكرة ، كان ثائرا منذ صغره وناقما على ما آلت إليه أوضاع الأمة ، امتهن مهنة الرعي في سن مبكرة وعلى هامشها تعلم الفروسية وبعد أن أتقنها أخذ يتجول في الجهة ويحث على الجهاد والثورة ، اتهمه قايد البيض سيد الشيخ بالسرقة ، وتمت محاكمته بمعسكر وأودع السجن سنة 1862م⁽²⁾ ، وبعد خروجه من السجن سنة 1863م، شرع في التعبئة والتحضير الفعلي للانتفاضة، فتوجه إلى تونس لشراء الأسلحة من التجار اليهود الذين كانوا يستوردونها من مالطة، ومن ليبيا تلقى دعما ماديا ومعنويا من الطريقة السنوسية .

في مطلع سنة 1865 شرع يتحرك بقوة لجمع المجاهدين والتأييد في رقعة جغرافية كبيرة جدا، تمتد من وارجلان إلى الاغواط، وإلى فقيق بمنطقة الساورة وتتجوارين وعين صالح، وعلى إثرها لقي تأييدا كبيرا من عروش وارجلان من مخادمة وبني ثور وبني إبراهيم، فانضم إليه عددا كبيرا من المجاهدين، و تحصل على 150 بندقية⁽³⁾ من

(1)-Simon(H):Comment Bou choucha raconta un jour son histoire Bulletin de liaison saharienne. N.19. Janvier 1955. p. 16.

(2)- يحيى (بوعزيز): (أضواء على حركة الشريف بوشوشة)، مجلة أول نوفمبر، ع161 ، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 1999م، ص.58.

(3) . Simon (H): op. cit. p. 17.

وارجلان ، وتمت مبايعته سلطانا وقائدا للمقاومة في الجهة باسم الشريف بوشوشة سنة 1869، ووصلته تأييدات من عدة جهات وشخصيات نذكر منها محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة ، و سي الأعلى و سي الزبير من أولاد سيد الشيخ اللذين كانا قائدين سابقين على وارجلان وبعد ثورة أولاد سيد الشيخ أصبحا يؤيدان مقاومة فرنسا.

وبعد هذا التأييد الذي حظي به من جهات عدة كانت تؤمن بالعمل المسلح ، انطلق في المقاومة في محاربة فرنسا، حيث ألقى القبض على قايد المنيعه المعين من طرفها الحاج جعفر و زج به في السجن⁽¹⁾ في أبريل 1870م ، وأصبحت على إثر ذلك المنيعه تحت سلطته،ومنها توجه إلى مثليي فوجد مضايقة من طرف المدعو لخضر بن محمد ،وعاد مرة ثانية إلى عين صالح ، ومكث بها حوالي سنة ، وفي شهر مارس من سنة 1871⁽²⁾م توجه إلى وارجلان ودخلها عن طريق نفوسه دون أية مقاومة تذكر بسبب مساعدة أتباعه هناك،وتحصل على مساعدة من تجارها ، وعين عليها ناصر بن شهره أغا ممثلا له ومنها توجه إلى وادي سوف أين وجد مقاومة من الزاوية التجانية بقمار وأقنعهم بأن هدفه (الأغا علي باي) ممثل فرنسا وليست له أية أطماع في الزاوية ، ومن الوادي توجه إلى تقرت التي دخلها يوم 15 ماي 1871م⁽³⁾ حيث استقبله أهلها بالزغاريد وحاصر قصبه أنصار علي باي ، وبعد مفاوضات طلبوا منه السماح لهم بمغادرة المدينة فكان لهم ذلك ، وعين ممثلين له على كل مدينة من مدن تقرت ، ومنها توجه إلى وارجلان بعد أن مر على تماسين وبلدة عمر و الحجيرة ثم وارجلان، وفي هذه الفترة التي رحل فيها بوشوشة عن تقرت يعود إليها الأغا علي باي ثانية من بسكرة.

وقد عاد بوشوشة إلى تقرت في 10 أيلولية 1871م وحررها وعين عليها ناصر بن شهره

(1) - محمد (بن معمر): (الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871 م في الصحراء الجزائرية الشرقية) ، مدونة ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، منشورات مديرية الثقافة ورقلة،مؤسسة أشغال الطباعة بورقلة الجزائر، 2000 ، ص. 44 .

(2). Simon (H): op. cit. p. 17.

(3) . H.Simon (H): op. cit. p. 18.

ومن تقرت توجه إلى منطقة رعوية تسمى وادي نميرات جنوب العطف بحوالي عشرين كيلو متر أين التقى مع سي الزبير وتزوج ابنة عمه فاطنة بنت جلول يوم 01 سبتمبر 1871م⁽¹⁾، ودخل غرداية وأخذ منها المؤونة ، وعاد إلى وارجلان ونصب عليها سي الزبير، وعقد اجتماعا تاريخيا بوارجلان حضره محمد بن عبد الله، وناصر بن شهرة و سي الزبير وترأسه الشريف بوشوشة تشاوروا فيه في أمر محاربة فرنسا وانفقوا فيه على مواصلة المقاومة ،وانضم إلى مقاومته المقرانيون الناجون من ثورة الحاج محمد المقراني بقيادة بومرزاق لكن فرنسا لم تمهله، فوجهت إليه القايد بولخراس بن قانة ، والتقى معه بين العلية والقرارة فجرت بينهما معركة خسر فيها بوشوشة ستة و خمسين فردا من جنده ،وبعد لملمة جراحه عاد إلى حركته من جديد في 07ديسمبر 1871 وكون خمس كتائب من الجند وهي⁽²⁾:

. الكتيبة الأولى بقيادة الشريف بوشوشة وبمساعدة صهره سي الزبير .

. الكتيبة الثانية تتكون من الشعابنة .

. الكتيبة الثالثة تتكون من المخادمة .

. الكتيبة الرابعة لفيفا تحت قيادة ناصر بن شهرة.

– الكتيبة الخامسة تتكون من المقرانيين الناجين من ثورة المقراني والفايرين إلى وارجلان .

معركة وارجلان جانفي 1872م

بعد أن تمكن بوشوشة من إفتكاك وارجلان من يد الاستعمار الفرنسي في مارس 1871م عين عليها ناصر بن شهرة، وجعلها عاصمة لمقاومته، وحرر تقرت في 10 أوجيلية 1871م والمنيعة في مارس 1871 م، وأصبح حينها سلطانا على جزء كبير من الصحراء الشرقية لمدة زمنية قاربت السنة من مارس 1871م إلى جانفي 1872م، نظم خلالها عاصمته، وضبط فيها تشكيلة جنده، ووضع فيها خزائن للمؤونة الغذائية العسكرية من

(1) . محمد (بن معمر): المرجع السابق ، ص.49.

(2) . يحيى (بوعزيز): المرجع السابق، ص.60.

من القمح والتمر، وخزائن للأسلحة كان يستوردها من عند التجار اليهود بالجنوب التونسي، و لكن رغم كل هذه الاستعدادات غير المسبوقة للحرب فإن العدو جاءه بقيادة الجنرال دولاكروا (De Lacroix) أحد جنرالات فرنسا المتمرسين على المعارك والحروب على رأس جيش كبير يتكون من 250 فارسا مقاتلا ، و 240 صبايحي بخيولهم و أسلحتهم، والفيلق الإفريقي، و 45 فارسا من القوم و وضع هذه الترسانة العسكرية للتصدي لبشوشة تحت إمارة العقيد قوم (Colonel Gaum) ⁽¹⁾ ، دخلت هذه القوة من الناحية الشرقية بعد أن سبق لها و أن استرجعت لصالحها مدينة تفرت يوم 27 ديسمبر 1871 م، وبعد مسيرة أربعة أيام من 2 إلى 5 جانفي وصلوا إلى وارجلان ، وشرعوا في مطاردة بوشوشة وبعد خمسة أيام يقع اشتباك في منطقة تامزقيدة يوم 9 جانفي 1872 تشتت على إثرها شمل جيشه حيث إن كل جزء منها إتخذ وجهة معينة .

. ناصر بن شهرة مع المقرانيين دخلوا الجنوب التونسي .

. صهره سي الزبير توجه إلى عين صالح .

. الشعانبة توجهوا إلى منطقة في الجنوب تسمى عين الطيبة .

. بوشوشة خيم جنوبا ما بين وارجلان وعين صالح

أما الجنرال دولاكروا (De Lacroix) فقد استولى على مخازن بوشوشة حيث غنم 120 خيمة و مئات الجمال و المهاري و غنائم متنوعة و عددا من الأسرى من ضمنهم أطفال و نساء و عبيد⁽²⁾ و تم إعدام اثني عشر منهم رميا بالرصاص قرب ضريح سيدي عاز بسعيد عتبة في منطقة تدعى نتاكوميت ، و تم تعيين آغا على وارجلان في يوم 2 فيفري 1872م يدعى محمد بن إدريس البسكري وهو ضابط سابق في الجيش الفرنسي و متزوج بفرنسية و بقي في هذا المنصب خمس سنوات إلى غاية 1877م

المرحلة الأخيرة من مقاومة بوشوشة:

بعد هذه الهزيمة توجه بوشوشة إلى عين صالح، ومنها إلى منطقة الساورة، و بالضبط

(1). R.A: volume. 64. op .cit. p. 436.

(2). يحيى (بوعزيز) : ثورات الجزائر، المرجع السابق ، ص.189.

إلى كرزاز ، ويبقى يتنقل ما بين كرزاز وتوات وعين صالح إلى أن تمكن من تكوين جيش يواصل به مقاومته، انضم إليه أولاد لشهب من شعانية المواضي بتوات ، ويتحرك من جديد لمواجهة فرنسا ، فيصل إلى المنبوعة في أبريل سنة 1873م ، ومنها إلى الاغواط والبيض وجبال عمور ويقترّب من وارجلان⁽¹⁾ ، ولكن الأغا بن إدريس كلف أخاه السعيد بملاحقته ، واشتبك معه بمنطقة حاسي الناقة ضواحي وارجلان في جويلية 1873 م لكنه لم يظفر به ، وفر بوشوشة إلى عين صالح أين جمع شمله وتوجه من جديد إلى تماسين، وحاصر الزاوية التجانية يوم 13 فيفري 1874 م لغرض تحرير زوجته فاطنة بنت جلول التي بلغه خبر أنها بهذه الزاوية ، لكنه لم يستطع أن يقتحم الزاوية و اكتفى بالاستيلاء على بعض الأغنام و الجمال .

كلف الجنرال ليبير (Lieber) الذي كان يعسكر بمطماط بضواحي الحجيرة السعيد بن إدريس بملاحقته والقضاء عليه ، فالتقى الجمعان يوم 19 فيفري 1874 م بمنطقة بوكولة ولم يستطع أن ينال منه⁽²⁾.

ونتيجة لهذا الفشل وضع أغا وارجلان تحت تصرف شقيقه السعيد ثلاثمائة فارس وجميع المعدات الحربية وطلب منه أن لا يعود إلا ومعه بوشوشة حيا أو ميتا ، بدأ هذا الأخير بمطاردة بوشوشة ابتداء من 4 مارس 1874م في وادي العقارب بضواحي عين صالح حيث حاصره في منطقة الملوك جنوب المدينة يوم 24 مارس وقتل له خمسين من جنده⁽³⁾ وتشنت شمل جنده في رمال الصحراء و تمكن القايد بعاج بن قدور⁽⁴⁾ من إلقاء القبض على الثائر بوشوشة يوم 31 مارس 1874م، حيث كبله السعيد بن إدريس وتوجه به مع مجموعة من الأسرى إلى وارجلان، وسلمه إلى السلطات الاستعمارية التي أرسلته رأسا إلى الجزائر لعرضه على المجلس الحربي⁽⁵⁾ ، ونظرا لكون الأعمال التي قام بها في منطقة تقرت هي تابعة إداريا لمقاطعة قسنطينة فقد أحيل على مجلس

(1) . يحيى (بوعزيز) : مجلة أول نوفمبر، المرجع السابق، ص.60.

(2) . محمد (بن معمر) : المرجع السابق، ص.54.

(3) - Simon (H): op. cit. p .19.

(4) - LE CHATELIER (capitaine d`infanterie) : Les Medaganat : Alger 1888. p 8.

(5) - Simon (H): op. cit. p .20.

قسنطينة الحربي⁽¹⁾ ، الذي أودعه السجن أولاً لعدة شهور ، ثم حوكم مع ثلاثة من رفاقه من شعانبة وارجلان في محكمة عسكرية وصدر في حقه الحكم بالإعدام مع اثنين من جماعته يوم 19 مارس 1875⁽²⁾ بتهم عديدة منها . قيادة عصابة أشرار مسلحة الاعتداء على الأشخاص والممتلكات ، الاستيلاء على السلطة عنوة بوارجلان في مارس 1871 ، و حكم بالنفي على المدعو بوجمعة بن الشيخ ، ونفذ فيه حكم الإعدام يوم 29 جوان 1875 م بمعسكر وادي الزيتون في ضواحي مدينة قسنطينة⁽³⁾ مع كل من داود بن شولية و علي بن عامر⁽⁴⁾ .

أما أتباع بوشوشة الآخرون الذين تشتتوا في صحراء عين صالح ، فقد التقوا بعد الحادثة ببضعة أيام أي في منتصف أبريل 1874 م وأسسوا مجموعة تصول وتجول في الصحراء تحت اسم **مدققات**⁽⁵⁾ .

ويمكن أن نستنتج أن مقاومة بوشوشة تعد من المقاومات الشعبية الكبرى في الجزائر من حيث إنها شملت رقعة جغرافية واسعة جدا ، من الحدود الجنوبية الغربية بمنطقة فقيق إلى الحدود الجنوبية الشرقية بمنطقة وادي سوف، وعرفت نوعا من التنظيم في الجانب العسكري ، فكانت بها الفصائل و الكتائب والقادة ، و مجهزة بأسلحة نارية ، ووجدت تأييدا وتمويلا من عدد كبير من الحواضر والقبائل الصحراوية ، ومباركة من شخصيات دينية مثل شيخ زاوية كرزاز وشيوخ وأتباع ومريدي الطريقة السنوسية في الجزائر وليبيا، و مؤازرة من شخصيات عسكرية منها محمد بن عبد الله و ناصر بن شهرة وكبقية المقاومات الشعبية خسر بعض المعارك، بسبب طبيعة الصحراء الصعبة، وتفرغ ضباط فرنسيون كبار للتصدي له بعد ثورة المقراني سنة 1871 م، فهزمته في معركة

(1) . محمد (بن معمر): المرجع السابق ، ص.55.

(2) . Simon (H): op. cit. p .29.

(3) . يحيى (بوعزيز) : ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ص. 191.

(4) . Simon (H): op. cit. p .29.

(5) . Le Chatelier (capitaine d`infanterie) : op. cit .p .9.

وارجلان جانفي 1872م، ولم تترك سبيله بعد هذه الحادثة ، فواصلت البحث عليه في الفيافي إلى أن ألقى عليه القبض القايد بعاج بن قدور في مارس 1874م ،تحت قيادة السعيد بن إدريس .

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه المقاومة لم تتل حظها من الدراسات التاريخية، وكذلك الشأن بالنسبة لشخصية بوشوشة لم ينصف بعد حيث بعض المراجع مازالت توصفه بأنه قائد عصابة في الصحراء.

البعثات التبشيرية والاستكشافية :

لم تكن فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما وطأت أقدامها الصحراء بتتصيب القياد على المدن التي حلت بها ، ومطاردة الثائرين عليها ، و استمالة بعض زعماء الطرق الصوفية فحسب ، بل رافقتها بحملات وأساليب أخرى تختلف في الشكل ولكنها تلتقي في الهدف وهو التمكين لفرنسا من الصحراء، وبسط نفوذها على أكبر رقعة جغرافية ممكنة ومحاولة كسب ود الأهالي ، فنشرت فكرة ربط التل بالصحراء عن طريق مد السكك الحديدية إليها ومنها إلى السودان الغربي ، وإنشاء بحر داخلي في الصحراء ، ونشر التعليم والتكوين المهني عن طريق الآباء البيض ، وإرسال بعثات علمية لدراسة الآثار والعادات والتقاليد ، والنباتات والحيوانات الصحراوية ، ولكي يتسنى لها ذلك وربحا للوقت ربطت بعض الجهات من الصحراء باتفاقيات ثنائية حتى تتجنب مقاومتها وتصديها لها ومن بين هذه المعاهدات نذكر :

معاهدة الحماية مع أهل ميزاب

أثناء مقاومة الشريف محمد بن عبد الله التي كان مجال نشاطها وارجلان والاغواط في الفترة ما بين 1852 / 1854 م، ضغطت فرنسا بقوة على أهل ميزاب ، وعلى حركتهم التجارية وبعد اتصالات⁽¹⁾ ومفاوضات توصلت إلى توقيع معاهدة حماية لأهل ميزاب في

(1) . يوسف الحاج سعيد (ابن باكير) : تاريخ بني ميزاب . دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، المطبعة الشعبية للجيش الجزائر 2007 م، ص.98.

19 أبريل 1853 م⁽¹⁾ و من أهم بنودها⁽²⁾ :

- . تتعهد فرنسا لبني ميزاب أن تحفظ بلادهم وتحترم معتقداتهم و عاداتهم و تقاليدهم .
 - . أن لا تتدخل نهائيا في الشؤون الداخلية لأهل ميزاب .
 - . يدفع أهل ميزاب مقابل هذه الحماية ضريبة سنوية قيمتها 45 ألف فرنك فرنسي .
 - . تتقاسم هذه الضريبة مدن ميزاب السبع ولا تتدخل في تحديد نصيب كل مدينة .
 - . غلق أسواق ميزاب في وجوه الثائرين على فرنسا .
 - . تتولى فرنسا حفظ النظام العام ورعاية حقوق الفرنسيين بميزاب .
 - . تتولى فرنسا حماية الميزابيين وتجارتهم أنى كانوا في التل أو في الصحراء .
- ولكن في الواقع أن هذه الاتفاقية لم يكن لها أي معنى، فقد اخترقتها فرنسا كم من مرة ووظفتها في خدمتها للقيام بمختلف حملاتها في الصحراء⁽³⁾. أما في أقصى الجنوب فقد أبرمت معاهدة مماثلة مع الطوارق عرفت باسم معاهدة غدامس
- معاهدة غدامس مع الطوارق .**

لكي تضمن فرنسا حرية التحرك في الصحراء في فترة سادت فيها الغزوات على القوافل التجارية و على المكتشفين الأوروبيين في الصحراء ، وبعد اتصالات مع زعماء الطوارق و استدعائهم تارة إلى قسنطينة وتارة إلى الجزائر وتارة أخرى إلى فرنسا تمكنت في الأخير بالظفر بمعاهدة غدامس بينها وبين زعيم الطوارق الشيخ **إيخنوخن**^(*) يوم 26 نوفمبر 1862 م⁽⁴⁾ ومن أهم بنودها :

- . إقرار الصداقة والتبادل، بين السلطات الفرنسية، ورؤساء مختلف قبائل الطوارق .

(2) . أبو القاسم (سعد الله) : الحركة الوطنية ، ج1، المرجع السابق، ص.359.

(3) . يوسف الحاج سعيد (ابن بكير) : المرجع السابق، ص.99.

(3) . أبو القاسم (سعد الله) : الحركة الوطنية ، ج1 المرجع السابق، ص.360.

(*) . إيخنوخن : هو زعيم قبائل التوارق في الصحراء وبلاد الهقار ، ينحدر من أسرة توارثت حكم المنطقة بهذا الاسم ، برز حكمها أكثر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أبرموا اتفاقية غدامس مع فرنسا سنة 1862 وكما راسلهم فلاتيرس في أبريل سنة 1880 لغرض السماح له بالعبور إلى السودان الغربي (انظر azdger et Brosselard (Henri) : Les deux mission Flatters. au pays des touareg Paris en hoggar. 1889 .)

(4) . يحيى (بوعزيز) : مجلة الثقافة ، ع59 ، المرجع السابق، ص.27.

- يمكن للطوارق أن يمارسوا العمل التجاري في كل أسواق الجزائر دون أي قيد أو شرط ماعدا أداء المكوس العادية .
- يلتزم الطوارق بتسهيل وحماية عبور المفاوضين الفرنسيين ، لبلادهم ذهابا و إيابا إلى بلاد السودان، وحماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا المكوس العادية.
- تلتزم السلطات الفرنسية ، وزعماء الطوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان، وإصلاحها وتحديثها، وتحديد المكوس وضبطها ، وإصلاح الآبار ، وإزالة كل العراقيل في وجه نشاط التجار الفرنسيين .
- بموجب التقاليد القديمة المنظمة للعلاقات التجارية بين بلدان شمال إفريقيا والطوارق تبقى عائلة الشيخ الحاج إخنوخن ، مكلفة بضمان المرور لقوافل الفرنسيين التجارية عبر بلاد أزقور ، وتستمر العلاقات التجارية القائمة كما هي بين عائلات أزقور والشعابنة ، و السوافة .
- تدفع القوافل التجارية الفرنسية ضريبة محددة للشيخ إخنوخن أو ورثائه ، ووكلائه ويحددها الحاكم العام الفرنسي والشيخ إخنوخن .
- تسوى الخلافات التي تنشأ بين الطرفين بالود والإنصاف من طرف الشيخ أو من يمثله بمقتضى العادات المعروفة في البلد .
- يلتزم الشيخ إخنوخن، والزعماء السياسيون الآخرون لتوارق أزقور ، يربط علاقات جيدة مع طوارق قبيلة كلوى ، وتهيئة الظروف الحسنة للمفاوضين الفرنسيين لكي يملأوا بسلام بقوافلهم عبر بلاد الآير⁽¹⁾ .
- وبعد أن حصنت نفسها بفضل تعيين قياد موالين لها في كل من الوادي و تقرت ووارجلان و متليلي و الاغواط وأبرمت معاهدة الحماية مع أهل ميزاب، ومعاهدة

(1) . بوعزيز (بحيى) : طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الثقافة ، العدد 59 ، وزارة الإعلام و الثقافة الجزائر، سنة 1980 م ، ص ص . 27 - 28 .

مماثلة مع الطوارق بدأت تتحرك ، فأرسلت البعثات التبشيرية ، وعلماء الآثار والأنثروبولوجيا، والجيولوجيا والمختصين في المناجم وفي الطبوغرافيا، والقوافل العسكرية العابرة للصحراء، بالمرور أو بالانتهاء أو الانطلاق من وارجلان .

البعثات التبشيرية:

بعد أن تمكنت فرنسا من وارجلان إثر معركتها مع بوشوشة في جانفي 1872 وضعت على رأسها الأغا محمد بن إدريس خريج المدرسة الفرنسية ، وخدم السياسة الفرنسية ومكن لها في الجهة ، حيث بدأ في عهده يتوافد على وارجلان الآباء البيض والأخوات البيض هذا ما أدى بالسلطات الاستعمارية إلى تأسيس مركز للآباء البيض بوارجلان سنة 1873م⁽¹⁾ يشرف عليها أربعة قساوسة ، ومنها تتوزع وتنتشر في كامل أرجاء الصحراء ، وقد شرعت هذه الهيئة في مهمتها حيث أسست دارا للأيتام ، ومدرسة لتعليم اللغة الفرنسية وكان يدرس بها ما بين سنة 1873 و 1881 أكثر من سبعين تلميذا ، و بها أفواج للصغار و للكبار ، وورشة للنسيج وأخرى للنجارة ، وحفروا بئرا ارتوازية لتزويد السكان بالماء الصالح للشرب ، وقاموا بغرس النخيل والقطن بمنطقة بامنديل (وكانت الحكومة تحميهم وتمدهم بالمساعدات، وهم يفتحون لها الطريق ويقدمون لها المعلومات الضرورية عن حركة القوافل والثورات والزوار وغير ذلك من التحركات في المنطقة)⁽²⁾ .

كما فتحت الأخوات البيض ورشات لتعليم النساء نسيج الزرابي والطرز بمادتي الصوف والوبر والقطن الذي كان ينتج محليا، واكتسبت منتجاتهن شهرة تجاوزت محيطها الضيق خاصة زربية حلبة الصيد (saint de chasse) التي تحمل دلالات مسيحية.

وبعد الاضطرابات التي وقعت في وارجلان سنة 1881 م تضامنا مع ثورة الشيخ سيدي بوعمامة غادر الآباء البيض وارجلان متجهين إلى المنيعه ولم يعودوا إليها إلا بعد عشر سنوات أي 1891م. ومن هذا يتضح أن فرنسا اتخذت من وارجلان قاعدة من قواعد الخلفية للتبشير ونشر المسيحية في الصحراء وفي إفريقيا الغربية .

(1) . أبو القاسم (سعد الله): تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي لبنان 1998 م ، ج 5 ، ص . 130 .

(2) . نفس المرجع: ص ، 130 .

البعثات الاستكشافية المختلفة:

لقد عرفت وارجلان خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر عدة بعثات استكشافية ظاهرها علمي وباطنها التمكين لفرنسا في الجزائر.

بعثة ل. فيل L.Ville 1861 :

قام المهندس الفرنسي فيل المتخصص في علم المناجم بجولة علمية استطلاعية إلى وارجلان سنة 1861م ، ركز فيها على دراسة الآبار التقليدية الارتوازية الموجودة في الجهة قبل دخول الاستعمار الفرنسي في منطقة وادي مائة ، متخذا من عين الصفاء نموذجا و التي تعد من إنجازات سدرا ته في الفترة الإسلامية حين كانت تسقي أكثر من 125 قرية. وقد استطاع بعد تتقيب وبحث أن يحدد موقع عين الصفاء الذي يقع إلى الغرب⁽¹⁾ من الموقع الأثري لمدينة سدرا ته على حافة مجرى وادي مائة ، كما عثر على بقايا السواقي والنخيل التي كانت تسقى من هذه العين.

بعثة لويس شارل فيرو Louis charles feraud (1871 / 1872)

يعد شارل فيرو من الكتاب الذين كتبوا عن الصحراء وقد سبق له وأن اشتغل وظيفة مترجم رئيسي للجيش الفرنسي، ومراسل وزارة الصناعة العمومية في الجوانب التاريخية وارجلان في الفترة الممتدة ما بين 1871 و 1872 اطلع خلالها على العديد من المواقع الأثرية ، ففي ناحية نقوسه وقف على عينات حجرية مصنوعة من حجر السيليكس ، وعلى قصري نقوسه و وارجلان ، وعلى مدينة سدرا ته الأثرية و قارة كريمة وجبل عباد ، كما اطلع على المخطوطات التي وجدها في المنطقة ، وعن قرى كثيرة انقرضت وهي : (تالة أزدوس . تالة مماس . وهيمة . وتالة موسى . و ماكاروز . و ملوش . و مكيدة الغربي . وتمازورات)⁽²⁾ ، كما تكلم كذلك عن التركيبة الاجتماعية وعن العروش والقبائل ، وعن تأسيس الحاضرة والمراحل التاريخية التي مرت بها إلى غاية الاستعمار الفرنسي .

(1) - Marguerite(Van Berchem) : sedrata et les anciennes villes berberes du sahara dans les recits des explorateurs de -xlx-siecle, (bull. Inst .fr) , Paris 1960 , p , 293 .

(2) _ Feraud : op. cit. p . 266 .

بعثة هارولد طاري 1881 H.Tarry:

جاء طاري إلى وارجلان ضمن لجنة السكة الحديدية العابرة للصحراء مع فلاتيرس بصفته ممثلا لوزارة المالية ، لكنه بعد أن قام بجولة في ضواحي الحاضرة غير المهمة بالمنطقة وقرر القيام بحفريات ، وافقت له وزارة المالية على ذلك ومولت أعماله فانطلق في تنفيذ حفرية أثرية في منطقة سدرا ته الأثرية في مطلع سنة 1881 م بعد أن جند لها ثمانين 80 عاملا⁽¹⁾، و عشر في أول الأمر على بئر تقليدية أحيائها واستعملها للشرب ، وقام بإزالة الرمال على منزل كامل دون سقف فوضع له سقفا تقليديا و أقام فيه ، وبعد اكتشاف البئر والمنزل ، راسل الحاكم العام بالجزائر ، فدعمه بتجهيزات عصرية ومنحة مالية ، وبفضل هذا الدعم والرعاية اكتشف طاري المسجد المركزي الكبير بسدراته ، والقصر الكبير الذي أطلق عليه اسم المحكمة وتسعة منازل ومخطوطات.وقد أرسل حمولة جملين من الزخارف الجصية التي أنتزعتها من الجدران إلى متاحف الجزائر ، ومتحف قسنطينة، ومتحف تروكارديو (Trocardo) بباريس .

فرنسا وطرق القوافل الصحراوية

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أرادت فرنسا أن تستغل طرق القوافل للتمكين لسياستها الاستعمارية في القارة الإفريقية ، وخاصة بعد اتفاقية لالة مغنية⁽²⁾ التي أبرمتها مع المغرب الأقصى سنة 1845 والتي تنص على أن الصحراء لا ترتبط بأي بلد فخرجت من وارجلان عدة رحلات فرنسية متوجهة إلى أعماق أفريقيا عبر مسالك طرق القوافل التجارية،قادها مغامرون وعسكريون،بعضهم لاكتشاف الطريق إلى السودان، والبعض الآخر لغرض مسح طوبوغرافي من أجل إنجاز دراسة لشق خط للسكة الحديدية يربط المستعمرات الفرنسية بعضها ببعض انطلاقا من الجزائر إلى بحيرة تشاد في الجهة الشرقية من السودان الغربي،ومن تشاد إلى السنغال غربا اعتمدوا في تنفيذ مشاريعهم على دعم وحماية الدولة الفرنسية،وعلى تجربة قاهري

(1) . Marguerite Van Berchem : op .cit . pp . 302. 303.

(2). عبد القادر(خليفة): المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر 2004 م ص.57.

الصحراء (الشعانية و الطوارق والسوافة)⁽¹⁾ على الجمال ، ومن بين هذه الرحلات الاستكشافية التي مرت على وارجلان أو انطلقت منها نذكر : رحلة هنري دوفريي Henri (Duveyrier) 1859 / 1861م و بول سولايب (Paul solleillet) سنة 1874 ولارجو (Largeau) 1877م وبول فلاتيرس (Paul Flatters) 1880 إلى 1881 و شوازي (Choisy) 1881م .

رحلة هنري دوفريي Henri Duveyrier (1859 - 1861) :

يعد هنري دوفريي^(*) احد الرحالة الفرنسيين الذين عبروا الصحراء الجزائرية ، وكتب عنها دواستات تاريخية ، مر على وارجلان سنة 1859 ومكث فيها يوما واحدا عندما كان متوجها إلى الهقار⁽²⁾، وخلال هذا اليوم زار الموقع الأثري سدرا ته ، واستطاع أن يقدم بعض المعلومات عن آثار المسجد الكبير والمنازل المظمورة تحت الرمال ، وواصل رحلته إلى الهقار ، ومنها دخل بلاد السودان بمساعدة الطوارق عبر المسالك الصحراوية الخاصة بالقوافل التجارية ، وقد قدم معلومات هامة عن الصحراء والسودان بعد أن رجع سنة 1861م .

رحلة بول سولايب P.Soleillet مرحلة وارجلان . عين صالح (1873 / 1874)

لغرض اكتشاف الصحراء وطرقها التجارية المؤدية إلى السودان الغربي خرج بول

(1) . أبو القاسم (سعد الله): «المتجمعون الجزائريون وإفريقية» ، مجلة الثقافة ، منشورات وزارة الاتصال والثقافة الجزائر 1996، ع113، ص.41.

(*) . هنري دوفريي Henri Duveyrier : رحالة وجغرافي فرنسي ولد سنة 1840 م ، انطلق في رحلاته الاستكشافية في الصحراء الجزائرية سنة 1859 م وعمره لا يتجاوز عشرين سنة ، وبدعم من المؤسسة الجغرافية الفرنسية ، وبحماية من التوارق استطاع أن يخترق الصحراء ويصل حتى إلى السودان الغربي ، ويعود سالما معززا سنة 1861، ومكافأة له على هذا الانجاز الكبير قدمت له المؤسسة الفرنسية الجغرافية ميدالية ذهبية سنة 1867 م ، وأصبح ابتداء من هذا التاريخ عضوا و موظفا في هذه المؤسسة الجغرافية ، وكتب أكثر من عشرين عملا حول الصحراء الجزائرية نذكر منها (رحلة في بلاد بني ميزاب 1859 . تاريخ استكشاف الجنوب وشمال غرب جريفيل (البيض) 1872 . بحر داخلي بالجزائر 1874 ..) (أنظر Narcisse Faucon :le livre d`or de l`Algerie).

(2) . Marguerite (Van Berchem) :op.cit. p .291 .

سولايي (*) (P.Solleillet) من الجزائر يوم 29 / 12 / 1873 م ، وبعد ثلاثة وأربعين يوماً من السير وصل إلى وارجلان ويستقبله قائدها الأغا محمد بن إدريس (***) يوم 09 / 02 / 1874 / (1) ، مكث فيها ثلاثة أيام تعرف خلالها على المدينة ، والتقى فيها بأحد الطوارق المدعو محمد بن حمادو زوده بمعلومات هامة عن عين صالح، وأخبره بأن بوشوشة قد توجه من عين صالح إلى وادي سوف ، وغادر وارجلان يوم 12 / 02 / 1874 م بعد أن تزود بالموونة ، وتسلم رسائل من بن إدريس ليسلمها إلى سلطات عين صالح ، ليصل إلى متليلي في الرابع عشر من نفس الشهر أين بدأ يعد العدة للسفر إلى الصحراء الحقيقية ، وكتب رسائل إلى أهله و أمه يعلمهم فيها بأنه بدأ المغامرة، غادرت القافلة المتكونة من مهري وجمل يحمل الهودج ، وثمانية جمال تحمل الزاد والأمتعة وخادمين و الكاتب الخاص و مرافق يدعى قدور، وأربعة عشر حارسا مزودين بالسلاح و راع للجمال و طبيب القافلة، وبصورة عامة تتكون القافلة من ستة وعشرين فردا و عشرة جمال وثلاثة أحصنة ، خرجت القافلة من متليلي على الساعة الثالثة مساء من يوم 16 / 02 / 1874 وكان في توديعها القايد سليمان ومولاي علي والطالب محمد ، قطعت وادي متليلي ثم شعبة سيدي الشيخ و صادفتها في الطريق قبة سيدي الحاج الدين ومقام سيدي الحاج بحوص إلى أن وصلت إلى وادي سبب (Sebseb) أين قضت ليلتها ، وفي اليوم الموالي واصلت السير إلى أن وصلت إلى الوادي الطويل أين وجدت خيم الشيخ أحمد

(*) . بول سولايي : ولد بول سولايي في فرنسا يوم 29 / 04 / 1842 م ، منذ طفولته كانت له رغبة كبيرة في حب السفر والترحال و المغامرات إلى الأماكن المجهولة ، وخاصة في إفريقيا ، زار الجزائر سنة 1866 م ، دخل الجيش الفرنسي سنة 1870 اختصاص مشاة ، كلفته المؤسسة العسكرية و غرفة التجارة بإنجاز هذه المهمة الاستكشافية والاستطلاعية والتجارية بين سنتي 1873 و 1874 م من الجزائر إلى عين صالح، توفي 1888 م . أنظر الكتاب الذهبي للجزائر . 1889. p. 280 . narcisse faucon : livre d`or de l`Algerie . Paris .

(**) . الأغا بن إدريس : هو محمد بن الحاج إدريس ضابط سابق في الجيش الفرنسي ، يعود أصله إلى بدو بسكرة درس في المدرسة الفرنسية ، ومتأثر بالحضارة الغربية ، يحسن الفرنسية كتابة ونطقا ، ومتزوج بفرنسية عينته فرنسا حاكما على وارجلان منذ مطلع السبعينيات من القرن التاسع عشر ، شيد قصره على ربوة في بامنديل تحيط بها الحدائق من كل الجهات كان يزرع فيها حتى القطن .

(2)-solleillet (P): voyage de Paul solleillet d`Alger a l`oasis d`in-salah. Alger.1875.p.49.

قرب قبة سيدي أحمد بن المصطفى ، ومكثت القافلة يومين في هذا المكان ، وفي يوم 19 / 02 / 1874 شدت الرحال لمواصلة المسير لتمر على وادي المقسم ومنه تتجه ناحية الجنوب الغربي لتقطع أربعة وديان وهي وادي الدمران ، و وادي الجدرية و وادي بوملوفكة ، و وادي البوطمة أين يوجد بئر قرب مقام سيدي الحاج بوفاس، وفي اليوم الموالي قطعت القافلة وادي الخميس و وادي الفحل وشعبة العصابة وتوقفت القافلة قرب بئر الشارف للتزود بالماء والمبيت. وفي يوم 21 / 02 / 1874 واصلت القافلة سيرها حيث عبرت مقام سيدي الحاج بحوص و شعبة الجمل و وادي بوعلي و وادي السعدان ثم بئر سيدي أحمد بن حمودة ، وفي اليوم الموالي عبرت بئر زيرارة⁽¹⁾ الذي يقع على طريق المنيعه ، وسارت على هذا الطريق إلى أن وصلت إلى المنيعه، ثم خرجت منها يوم 27 / 02 / 1874 حيث عبرت حاسي القارة ومنه دخلت في سبخة وبعد الخروج منها صادفها بئر القصيبة وبالقرب منه بئر لاقبوسي ثم قارة الشوف ومنها دخلت في منطقة رملية ثم أرض مستوية تسمى سبخة الدقيقية . وفي يوم 01 / 03 / 1874 ودائما في مسلك المنيعه عين صالح عبرت القافلة وادي البريق و وادي بوهدى و وادي علال ، وفي اليوم الموالي عبرت قارة بن عيسى و وادي مكرمة ثم حمادة أنغريان ذات الحجارة السوداء ثم بئر عبد القادر ومنها إلى حمادة القنطرة و وادي أفليسات ثم حمادة الاريذ و حمادة الشعب ، وواصلت السير إلى أن وصلت إلى عين صالح صبيحة يوم 06 / 03 / 1874 بعد أن قطعت المسافة ما بين وارجلان وعين صالح مرورا بمتليلي و المنيعه في مدة اثنين وعشرين يوما ، وأخيرا استقبلت عند نقطة الوصول من طرف حكام عين صالح أولاد باجودة . و في عين صالح تتوقف رحلة بول سولايي على أمل أن يقوم برحلة ثالثة من عين صالح إلى تيمبكتو .

رحلة فيكتور لارجو Victor Largeau (1872 / 1879)

فيكتور لارجو طبيب ورحالة فرنسي دخل مجال المغامرة والاكتشاف والرحلة إلى المجهول ابتداء من سنة 1872م حيث قرر التوجه إلى السودان الغربي عبر الصحراء

(1) - Ibid;p.219.

الجزائرية ، قدم مشروع رحلته إلى المؤسسة الجغرافية الفرنسية بباريس⁽¹⁾، واعتمدت مشروعه وقبل أن ينطلق راسل الحاكم العام بالجزائر الجنرال شانزي (Chanzy) لغرض مراسلة سلطان المغرب وشيخ عين صالح يطلب منهم توفير الأمن والحماية له في الطريق ، وتمت مراسلتها وجاء الرد منهما بالإيجاب ، رد شيخ عين صالح كان يوم 2 رمضان 1293 هـ . 1872 م ، والرد المغربي يوم 15 رمضان 1293 هـ 1872 م . غادر لارجو مدينة نيورت (Niort) الفرنسية يوم 02 ديسمبر 1876 م ، يحمل معه القليل من النقود وتغمره عزيمة قوية ، دخل الجزائر وقابل الحاكم العام يوم 23 ديسمبر 1876 الذي قدم له منحة خاصة قيمتها ألف فرنك فرنسي شطرا أوليا للانطلاق في الرحلة. وفي 17 جانفي 1877م توجه إلى قسنطينة ومنها إلى باتنة ثم بسكرة التي غادرها يوم 24 مارس 1877م متجها إلى تقرت التي مكث فيها مدة حضر فيها إلى عملية حفر بئر ارتوازية في منطقة سيدي سليمان ، ثم غادرها يوم 05 مايو 1877م متجها إلى وارجلان بعد أن مر على كل من تماسين وبلدة عمر والحجرية ونقوسه ووصلها يوم 12 مايو 1877م ، استقبله الأغا عبد القادر بن عمر^(*) في قصره مع حاشيته ، و وضع تحت تصرفه كل ما يحتاج إليه من إمكانيات مادية وبشرية وعلى رأسها سي قدور بن موسى الخبير في المسالك الصحراوية من وارجلان إلى السودان وفي اليوم الموالي شرع في التحضير لرحلته المتوجهة إلى السودان ، حيث أجر اثني عشر جملا بمبلغ 120 فرنك للجمل الواحد واشترى المؤونة الكافية ، وعقد اجتماعا للوفد المرافق له وقدم لهم التعليمات الآتية⁽²⁾ :

- السير يكون في مجرى وادي مائة إلى غاية تيديكلت دون الخروج من المنخفض .
- في حالة تعرضنا لخطر أنا الأمر والناهي في كيفية المواجهة أو الدفاع أو الانسحاب.

(1) - Largeau (V) : op.cit .p. 5.

(*) . عبد القادر بن عمر : هو أغا وارجلان المعين من طرف فرنسا سنة 1877 م مكان الأغا السعيد بن إدريس الذي تولى بضعة أيام و استقال ، وبين عمر ضابط سابق مع فرنسا في حروبها ضد المقراني ، وبوشوشة في الفترة ما بين 1870 إلى 1872 م

(2) - Largeau (V):op.cit .p. 73.

. نمكث في عين صالح خمسة عشر يوما، ونتدارس إمكانية المواصلة إلى نهر النيجر .
. عند الوصول يتم إبلاغ شيخ عين صالح وجماعته بأننا جننا لما فيه الخير للبلاد والعباد .
. في حالة ما إذا وقع لنا مانع ولم نتمكن من الوصول إلى تيديكلت ، نرجع إلى المنبوعة
ومنها إلى وارجلان دون مطالبتي بالزيادة في الأجرة .

وبعد أن تم التحضير الجيد للرحلة ، وكراء العدد الكافي من الجمال ، وتوظيف خبراء في
الصحراء والجمال ، و حصوله على ضمان أمن الطريق من شيخ عين صالح وإدراج
شقيق بوخشبة(*) أحمد بن ححوت ضمن طاقم الرحلة لتفادي أي مكروه ، وتم تحديد تاريخ
خروج القافلة من وارجلان ب 23 ماي 1877 م .

وعقد اجتماعه الأخير يوم 21 ماي لوضع اللمسات الأخيرة للانطلاق في الرحلة التي تقوده
إلى عين صالح ، ومنها إلى السودان الغربي ، وبعد وصول الجميع إلى جلسة الاجتماع ،
تدخل السيد أحمد ححوت شقيق بوخشبة قائلا : إن طريق وادي مائة غير آمن ومحتكر
من طرف بوخشبة وجماعة من الطوارق ، وعليه أقترح تغيير المسلك عن طريق البيوض ،
وعقب عليه أن الذهاب في هذا المسلك يعتبر مجازفة ، لكونه يسير على حمادة صخرية
حارة و مكشوفة ، ومصادر المياه بها قليلة ، وقد تم الاتفاق على تأجيل الرحلة إلى مطلع
الخريف المقبل.

اغتنم لارجو (Largeau) فرصة وجوده في صيف 1877 بوارجلان ، وقام بعملية مسح
أثري للجهة ، حيث تعرف وتعمق في آثار كهف السلطان جنوب غرب وارجلان واكتشف
المغارات ذات الطوابق ، وتمكن من قراءة لفظ الجلالة في جدار بإحدى المغارات ، وزار
جبل عباد ، وقارة كريمة ، والمدينة الأثرية سدرا ته ، واطلع على كيفية استخراج الملح من
بحيرة الشط .

و مع مطلع شهر سبتمبر شرع لارجو في التحضيرات لاستئناف الرحلة من جديد وبعد
أن أتمها غادر وارجلان يوم 11 سبتمبر 1877 م متوجها مع طاقمه إلى السودان

(*) . بوخشبة : ثائر من ثوار وارجلان برز مع بن الشراير بعد القضاء على بوشوشة سنة 1874 م ينشط في
المجال الجغرافي ما بين وارجلان وعين صالح وينتمي إلى حركة المداقنات .

الغربي، وأخذ معه مجموعة رسائل من أغا وارجلان ليبلغها إلى شيخ عين صالح سارت القافلة مسافة خمسة كيلومترات وتوقفت بضواحي قصر الرويسات وباتت ليلتها الأولى، وفي اليوم الموالي لها غادرت القافلة الرويسات ومنها إلى قارة كريمة، وبعدها دخلت منخفض وادي مائة إلى غاية حاسي بوغنيصة ، ثم حذب الحولة ومنه إلى منطقة السلوقي إلى غاية حاسي الفرجاني ،وفي الليل خيمت القافلة عند بئر محمد ححوت، وفي يوم 14 سبتمبر تمر القافلة على كئبان الحدبان ثم حاسي الهيشة وقارة المحقن و حاسي الجمل، وفي يوم 17 سبتمبر 1877م وفي منطقة تسمى الزمايلة التي لا تبعد كثيرا عن عين صالح ، التقوا بقافلة تجارية متوجهة إلى وارجلان ومن بين أعضائها شخص مكلف بالبريد يحمل معه رسالتين من شيخ عين صالح عبد القادر ولد باجودة الأولى موجهة إلى أغا وارجلان ، والثانية إلى الشعانية أعضاء القافلة المتوجهة إلى عين صالح ، ومضمون رسالة الشعانية⁽¹⁾ أنكم تحملون معكم أجنبي (رومي) وأننا لا نقبله بأرضنا ، وإذا ما أوصلتموه إلى عين صالح فإن مصيركم القتل جميعا .

وبعد هذا الخبر الذي نزل على لارجو كالصاعقة ، راود أعضاء القافلة أن يغيروا المسلك و يذهبوا إلى السودان عن طريق تيميمون ، لكنهم رفضوا جميعا فما كان منه إلا أن يشد الرحال إلى المنيعه ومنها إلى وارجلان ، ثم إلى فرنسا بعد أن تبددت أحلامه من الوصول إلى السودان الغربي .

رحلة لويس ساي Louis say 1877

بعد موافقة المؤسسة الفرنسية الجغرافية على هذه الرحلة التي قدم مشروعها لويس ساي Louis say ، والتي ترمي إلى تنظيم رحلة استكشافية إلى بلاد الهقار عبر الصحراء ، دخل على إثرها إلى الجزائر في مطلع سنة 1877م ، و وصل إلى تقرت يوم 17 أبريل 1877م ، ومكث بها بضعة أيام خصصها لتنظيم قافلته وشراء مستلزمات الرحلة ، وانتظار وصول الشطر الأول من المنحة المخصصة لهذه الرحلة ، وبعد وصول المنحة المقدرة ب 5000 فرنك فرنسي واصل رحلته إلى وارجلان أين أعاد

(1) . Largeau (v) :op.cit .p.302.

تنظيم قافلته من جديد و اختار ثلاثة مرافقين له ، وخرج من وارجلان في مطلع شهر مايو من سنة 1877م⁽¹⁾ وسار عبر طريق القوافل الرابط ما بين وارجلان و الهقار لغرض اكتشاف المسالك الصحراوية وبلاد الطوارق ، لكنه في منتصف الطريق تعرض لتهديدات خطيرة من الطوارق في منطقة تماسينين ، فما كان منه إلا أن يعود إلى وارجلان التي وصلها يوم 21 جوان 1877م⁽²⁾ بعد أن فشل في الوصول إلى الهقار ومنها توجه إلى فرنسا وكل ما حققه هو الاطلاع على طريق القوافل الرابط ما بين وارجلان و تماسينين.

رحلة شوازي Choizy 1879 / 1881

في إطار المشروع الفرنسي الهادف إلى إنجاز خط للسكة الحديدية⁽³⁾، يربط الجزائر بالسنغال مروراً بالصحراء، تكونت لهذا الغرض لجان الهدف منها القيام بعملية مسح للأماكن التي من المتوقع أن يمر عليها، تتكون هذه اللجان من تقنيين وعسكريين ، كلفوا بوضع دراسة لهذا المشروع العملاق، ومن بين هذه اللجان لجنة شوازي التي تتشكل من⁽⁴⁾ . شوازي (Choizy) : مهندس ، و ج. رولاند (G.Roland) : مهندس في المناجم مكلف بالجانب الجيولوجي والمياه، و د. ح. ويسجيرير (D.H.Weisgerber) : مكلف بالجانب الانثروبولوجي والتصوير .

انطلقت المرحلة الأولى من الاغواط حيث ضبطت الخط الرابط ما بين الاغواط والمنيعه، وفي المرحلة الثانية الخط الرابط ما بين بسكرة ووارجلان، وتوقفت مدة طويلة في وارجلان، تمكنت من دراسة التربة ، وتكوين الكثبان الرملية ، و المياه الجوفية وخاصة عين الصفاء ، وجمعوا عددا كبيرا من الأصداف ، وزاروا منطقة سدراثة الأثرية وجبل عباد ، وقارة كريمة، و قدم تقارير فيما تتعلق بخطوط السكك الحديدية والمسالك وعن طبيعة المنطقة ونباتاتها وعن المناطق الأثرية بوارجلان .

(1) . عبد الحميد (نجاح): المرجع السابق، ص.33.

(2) . Largeau (V) : op.cit .p.207.

(3) . عبد القادر (خليفة): المرجع السابق، ص.57.

(4) . Marguerite (Van Berchem): op .cit. pp .300.301.

رحلتا فلانيرس Flatters انطلاقا من وارجلان 1880-1881:

استغلالا لمسالك القوافل التجارية ولغرض السيطرة على الصحراء وعلى تجارتها التقليدية وربط المستعمرات الفرنسية بالسودان الغربي⁽¹⁾ مع مثيلاتها بشمال إفريقيا، بدأت التحركات الفرنسية انطلاقا من وارجلان بصفتها منطقة عبور ، و نقطة محورية هامة في الصحراء وتتوفر على رجالات لهم خبرة ودراية بالمسالك الصحراوية ، للتوغل منها إلى إفريقيا بهدف إنجاز دراسة للسكة الحديدية التي تربط الجزائر بالنيجر و بحيرة تشاد ثم السنغال في الجهة الغربية . أسندت السلطات العليا بفرنسا هذه المهمة الصعبة إلى العقيد فلانيرس^(*) على أساس أنه يعرف الصحراء وتقلد بها مسؤوليات ولكونه مطلعاً على العادات والتقاليد المحلية و يحسن اللغة العربية ، وفعلا قبل بالمهمة وجاء من مرساي إلى الجزائر ومنها إلى قسنطينة وبسكرة ثم تقرت وتماسين والحجيرة و وارجلان التي وصلها يوم 22 / 02 / 1880 م، و ابتداء من 25 / 02 / 1880 م شرع فلانيرس في التحضيرات من جديد وبصفة جادة حيث جدد حظيرة الجمال ،وضبط قائمة

(1) . أحميدة (عمراوي): قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ،شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر 2005،ص.54.

(*) . بول فلانيرس Flatters : ولد فلانيرس في لافال بفرنسا يوم 16 / 11 / 1832 درس في الكلية العسكرية سانسير ما بين 1851 و 1853 م ، اشتغل في الجيش الفرنسي بالجزائر ابتداء من سنة 1856 بمنطقة قسنطينة ، ثم ترأس مكتب العرب بمدينة تبسة سنة 1860، وبعد ذلك تمت ترقيته إلى رتبة نقيب capitaine سنة 1861 ، ثم رئيس مكتب العرب بمدينة سعيدة سنة 1865 ، وتولى مهام عسكرية عديدة في الجزائر في عين البيضاء سنة 1871 ، ثم في بجاية سنة 1872 ، وقائد قطاع عسكري الاغواط سنة 1876 ، أتقن اللغة العربية و اللهجات الامازيغية في الجزائر بعد أن مكث فيها أكثر من عشرين سنة (1856 . 1876) ، كتب العديد من الأعمال التاريخية و الجغرافية عن الجزائر، و في سنة 1878 استدعاه الجنرال شانزي chanzy القائد العام للقوات البرية والبحرية الفرنسية بالجزائر، وتمت ترقيته إلى رتبة مقدم Lieutenant-colonel ،وفي سنة 1879 كلف من طرف وزارة الدفاع الفرنسية للقيام بالإشراف على الرحلة الصحراوية العملاقة من وارجلان إلى السودان الغربي لاكتشاف الطرق الصحراوية لغرض إنجاز سكة حديدية .

وفعلا قام برحلتين الأولى من 07 / 01 / 1880 إلى 16 / 04 / 1880 ولم يتمها ، والرحلة الثانية من 04 / 12 / 1880 إلى أن قتل على يد الطوارق يوم 16 / 02 / 1881 م . (أرجع إلى كتاب livre d`or de l`algerie (1830-1889)

الأدلاء وقادة الجمال و وضع على رأس كل خمسة وعشرين جملا خبيرا ، وجمع مؤونة ثلاثة أشهر من السير ، و في أربعة مارس أصبحت القافلة جاهزة للرحيل متكونة من خمسين سائقا للجمال و ثلاثمائة جمل مع مستلزماتها، ومجموعة من الأدلاء والطاقم المسير للرحلة وعددهم عشرة ، و العدد الكافي من قرب الماء ، وقبيل خروج القافلة وقف فلاتيرس خطيبا في القوم قائلا: (لقد تركنا الحضارة وراءنا ، وسندخل في بر القحط و العطش،بلاد الأساطير المخيفة وكل خطوة نخطوها إلى الأمام إلا و تضاعف الخطر وحتى مصادفة البشر في الطريق هو مخيف⁽¹⁾)

خرجت القافلة من وارجلان يوم خمسة مارس على الساعة الثانية بعد الزوال متوجهة إلى بلاد السودان عبر مسلك ناجر والهقار ،وبعد قطع مسافة سبعة كيلومترات نصبت خيامها للمبيت بين قارة كريمة و قصر الرويسات ، وفي اليوم الموالي دخلت مجرى وادي مائة ولم تصادفها إلى حاسي الطرفاية إلا نباتات الصحراء من ضمران وعلندة ودرين ، ومن حاسي الطرفاية وقارة الشعانبة تدخل في وادي الزمالة الذي يتجه ناحية الجنوب الغربي إلى أن تصل إلى سيوف بورحلة ، ثم قارة أخنوخن قائد الطوارق ومنها إلى وادي السميحري (Smihri) ، ويوم ثمانية مارس تصل القافلة إلى قارة المقتلة وتتوقف عند حاسي مدجيرة (Madjira) أين يتم التزود بالماء ، ومنه عبرت حاسي المالح أين صادفها جمال معطوبة جراء غزوة الطوارق لأولاد السايح بتقرت سنة 1878م ومنه إلى حاسي الجريبيع أين توجد كثنان رملية يصل إرتفاعها إلى أكثر من خمسة وثلاثين مترا ، وواصلت البعثة سيرها يوم الثالث عشر مارس اتجاه الجنوب وتعبر كثنان حاسي الذنون ومنه إلى فج الضمران ثم عين الطيبة أين يتم التزود بالماء ومنها إلى البيوض حيث ترتفع درجة الحرارة، وتواجه زوابع رملية ، ثم منطقة القاسي وفايجة البيضة و فايجة الغزال و حاسي العظام ثم قاسي المخنزة⁽²⁾، وبعد اثني عشر يوما من السير تصل القافلة إلى منطقة البيوض،أين توقفت فيها القافلة للراحة حيث تم

(1)-Brosselard (Henri) : Les deux mission Flatters. au pays des azdger et hoggar. touareg Paris en 1889 . p. 69.

(2)-Ibid:96.

التزود بالماء و تنظيف الأسلحة والأدوات الطبوغرافية، غادرت البيوض يوم السبت السابع والعشرين من شهر مارس 1880 م ، لتدخل في حمادة لون صخورها رملي وإلى وادي إغرغر (Igharghar) وتمر إلى الزاوية التي تعرف حالياً باسم برج عمر إدريس أو الزاوية الكحلة ، ومنها إلى تماسينين (Temassinin) ثم هضبة خنفوزة إلى أن تصل إلى عين تابلالت وعين الحجاج ، ثم تدخل في منخفض إيقارقرن وتواصل السير إلى أن تصل إلى بحيرة منغوغ^(*) (Menghough) أين تمكث مدة لغرض الحصول على رخصة العبور إلى غات من زعيم الطوارق امينوكل⁽¹⁾ لكن هذا الأخير تباطأ في الرد وبعد أكثر من أسبوع وصله معلومات مفادها أن الترخيص لا يبت فيه إلا بعد أكثر من شهر لكون قائد الطوارق سيستشير حكام غات و غدامس في هذا الشأن ، وبعد أن رأى فلاتيرس التذمر في عيون مرافقيه وحراسه قرر العودة من جديد إلى مدينة الاغواط يوم عشرين أفريل 1880. وقد حققت هذه الرحلة الأولى لفلاتيرس النتائج الآتية: - تم التعرف على خط وارجلان البيوض الذي كانت تسلكه القوافل التجارية.

- . التعرف على مجرى إغرغر الكبير في الصحراء .
- . خط للسكة الحديدية ممكن في الصحراء .
- . عقبة السكة الحديدية الوحيدة هي الكثبان الرملية .
- . المياه متوفرة في الصحراء على عمق بضعة أمتار .
- . قامت البعثة بمسح 1200 كيلومترا .
- . قدمت معلومات جغرافية و جيولوجية هامة .

وبعد هذا النجاح النسبي الذي حققه فلاتيرس في هذه الرحلة وتقديم تقارير إلى السلطات الفرنسية ، طلب منه أن ينجز مهمة أخرى إلى السودان عن طريق وارجلان وادي مائة أمقيد الهقار ثم السودان، وفعلاً شرع في التحضير حيث ضبط أمور الرحلة واحتياجاتها

(*) . بحيرة مانغوغ Lac Menghough : هي بحيرة تقع في ناجر طولها حوالي واحد كيلومتر و عرضها بضع مئات الأمتار وعمقها أكثر من أربعة أمتار .

(1) . العربي (إسماعيل): المرجع السابق ، ص . 104.

حيث أصبحت القافلة تتكون من عشرة رسميين بالإضافة إلى فلاتيرس وخمسة وثمانين من الأهالي الجزائريين⁽¹⁾ و مائة وثلاثة وثمانين مابين جمال وخبول للركوب ولنقل المؤونة وخمسة أدلاء من الطوارق ، وراسل قادة الطوارق لتسهيل المهمة له وكان ردهم إيجابيا فيما يتعلق بضمان أمن الطريق .

وبعد أن تمت التحضيرات المادية والمعنوية و البشرية خرجت القافلة من وارجلان يوم 04 / 12 / 1880 وسارت في طريق وادي مائة ومرت على قارة بن حنة ثم قريبات الحجاج و حاسي سيدي عبد الحاكم ، ثم حاسي أنزوكي الذي يقع على طريق عين صالح، وفي جانفي 1881م وصلت قافلة فلاتيرس إلى هضبة تادمايت ، ثم توجهت جنوبا لتدخل في مجرى وادي إغارغار، ثم تعبر هضبة تانغارت ووادي الحجاج ووادي المالح و وادي إراون ، وفي 18 جانفي 1881 وصلت القافلة إلى امقيد التي تبعد عن وارجلان بمسافة 917 كيلومتر .

وابتداء من منطقة أمقيد بدأ أدلاء القافلة من الطوارق يرددون فكرة أننا لا نعرف الطريق جيدا مع هذه المسالك ، كما ظهر لفلاتيرس أنه مراقب أثناء السير من طرف مجموعة من الطوارق على مسافة بضعة كيلومترات ،فتوقع هجوما عليه فعزز الحراسة الليلية وزاد ارتبائه أكثر عندما مر على القافلة عشرة أيام دون أن تعثر على بئر للتزود بالماء، وفي يوم 16 من الشهر يقول أحد الأدلاء إننا على مقربة من بئر تقع شمال غرب الجبل على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتر تسمى بئر الغرمة⁽²⁾ Bir el gharma فقرر فلاتيرس أن يذهب مع الدليل ومجموعة من حرسه وأعوانه لمعاينة هذه البئر وفي الفترة التي كان فيها فلاتيرس يختار مرافقيه أتاه مبعوثان من الطوارق يطلبانه لمقابلة زعيمهم عند البئر، وفعلا تحرك فلاتيرس مع جزء من قافلته إلى المكان المحدد وطالت المسافة وكلما قال فلاتيرس أين البئر يرددون عليه إنه قريب ، وبعد أن قطع مسافة خمسة عشر كيلومترا وصلوا إلى البئر، فوجدها بحاجة إلى تنظيف وحفر ، فأمر

(1) - Brosselard (Henri) : op. . cit. . p . 200.

(2) . . Ibid : p . 232 .

بحفرها وتنظيفها ، وبينما فلاتيرس واقف يلاحظ جماعته وهي تنظف البئر وفي نفس الوقت ينتظر قدوم زعيم الطوارق، فإذا بهجوم عليه من كل الجهات من قبل حوالي 400 طارقي مدججين بالسلاح ويرددون في صيحات وكلام بالطارقة لا يفهم جيدا مفاده أننا نقصد الفرنسيين لا الشعانبة ، وبدأت هذه المعركة غير المتكافئة قتل فيها في أول الأمر طبيب البعثة جيار Guiard ومن بعده روش Roche⁽¹⁾، وبقي فلاتيرس وماسون يقاتلان بمسدسيهما وتمكنا من قتل بعض الطوارق ولكنهما قتلا في نهاية المطاف بعد أن رفض الطوارق أي حوار معهما ، فوقعت فوضى كبيرة زحف فيها الطوارق على بقية أفراد القافلة وفرت مجموعة باتجاه وارجلان التي تبعد عن بئر الغرمة بمسافة 1400 كيلو متر و بمسيرة خمسين يوما دون توقف ، مات معظمهم في الطريق إما بالجوع أو العطش أو من طرف الطوارق ولم يصل إلى وارجلان إلا أربعة روبا تفاصيل الحادثة و بعد هذه الحادثة توقفت حركت البعثات الاستكشافية لمدة ، عملت فرنسا خلالها إلى إعادة تنظيم الصحراء ، وذلك بوضع حاميات عسكرية بأي مكان حلت به ، وغيرت نظام القيادة في وارجلان بنظام عسكري مباشر يتولى فيه تسيير الأمور العسكرية والمدنية ضابط عسكري، وأول من تولى هذه المأمورية ابتداء من سنة 1883م في وارجلان هو الملازم الأول الفرد لو شاتليي LE CHATELIER ALFRED .

الاستعمار الفرنسي و تجارة السودان:

مما لا شك فيه أن الدارس للعلاقات التجارية ما بين ضفتي الصحراء الإفريقية الشمالية والجنوبية ، يجدها قد وصلت إلى الذروة قبيل سقوط مملكة سنغاي على يد السعديين سنة 1000هـ . 1591م ، و تناقصت من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي ، وكانت القوافل التجارية طيلة هذه الفترة تربط ما بين الضفتين من السودان الغربي إلى البحر الأبيض المتوسط شمالا ، ومن مصر شرقا إلى المغرب الأقصى غربا، تضبطها أعراف وتقاليد متوارثة ، و بمجرد أن احتلت فرنسا شمال الصحراء اختل هذا التوازن ، وفقدت هذه العلاقة الكثير من حيويتها ، وتنوعها ، وأقل ما يقال

Ibid : p . 233 . . (1)

عنها أنها تراجعت⁽¹⁾ وعلى الخصوص القوافل الرابطة ما بين وارجلان إلى السودان الغربي انطلاقاً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهذا للأسباب الآتية:

التحكم في المسالك الصحراوية

لقد قضت فرنسا أثناء دخولها على نظام الحكم المحلي الذي كان سائداً في وارجلان والمتمثل في سلطنة بني علاهم وذلك سنة 1849م ونصبت قائداً عليها يسمى الحاج أحمد بن بابية ، وطبق سياسة فرنسا حتى في مراقبة حركة القوافل ، وكذلك الشأن بالنسبة لجميع القياد الذين تولوا فيما بعد سواء أكانوا من أولاد سيد الشيخ ، أو الأغا بن إدريس أو عبد القدر بن عمر ، فكانوا يرسلون السلطات الاستعمارية عن أي تحرك في الحاضرة هذا ما أثر سلباً على الحركة التجارية المحلية أو التجارة الخارجية عن طريق القوافل إلى السودان الغربي .

باعتبار أن وارجلان تعد أكبر مخزن للبضائع غير المحلية المستوردة من الشمال والتي تخزن بها، ثم تنقل عن طريق القوافل التجارية إلى السودان الغربي ، فالقوافل المارة على بسكرة⁽²⁾ والقادمة من سكيكدة قسنطينة ، منعت من طرف فرنسا بحجة أن القمح الذي تحمله موجه لتمويل المقاومة الشعبية التي يقودها كل من محمد بن عبد الله وبوشوشة ، وليس للاستهلاك المحلي ، أو للتصدير إلى السودان الغربي ، في حين منعت القوافل القادمة من الجريد التونسي بحجة أنها تزود المقاومة بالأسلحة⁽³⁾ ، أما قوافل ميزاب لا تدخل بحكم اتفاقية الحماية المبرمة ما بين ميزاب و فرنسا في 19 أفريل 1853م⁽⁴⁾ لكون وارجلان مركز مقاومة شعبية وأحد بنود الاتفاقية ينص على عدم تمويل أعداء فرنسا ، مما شل الحركة التجارية المتوجهة إلى السودان الغربي ، وجعلها تسير بطريقة غير منتظمة ، هذا ما أدى بالقوافل التجارية أن تغير وجهتها بعد أن كانت تصل إلى أغاديس و إلى بلاد التكرور، و إلى ضفاف نهري النيجر والسنغال قبل القرن

(1) . إسماعيل (العربي): الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص.47.

(2) . أبوا لقاسم (سعد الله): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص.265.

(3) . نفس المرجع: ص.267.

(4) . يوسف الحاج سعيد (بن بكير): المرجع السابق، ص.99.

التاسع عشر الميلادي ، ثم أصبحت ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصل إلى أقصى حد لها في السودان الغربي إلى مدينة تيمبكتو ، وفي كثير من الأحيان تسوق بضاعتها في تنجورارين غربا أو في غات أو غدامس شرقا ، وتعود محملة بما تشتريه من بضاعة السودان من هذه الأسواق وعلى رأسها العبيد لبيعها بسوق وارجلان محققة ربحا بسيطا ، فهذا الاضطراب في حركة القوافل أدى إلى انكماشها وعزوف الكثير من التجار على القيام بهذه المهنة .

فرنسا وتجارة العبيد بوارجلان

لقد كانت وارجلان قبل الاستعمار الفرنسي سوقا من الأسواق الكبرى لتجارة العبيد وجل هذه البضاعة يشتريها تجار الشمال من قسنطينة سكيكدة وهم بدورهم يصدرونها وفي حملة الجنرال دولا كروا (1) De Lacroix على وارجلان في جانفي 1872 قام بتحرير جميع العبيد الذين وجدهم يباعون في السوق المحلي ، وهذا التصرف شجع بقية العبيد الآخرين المملوكين على الفرار إليه طالبين الحماية ، هذا ما اقلق التجار وجعلهم يتوقفون عن تجارة العبيد خوفا من مصادرتهم .

القوانين التنظيمية الجديدة بالصحراء: لقد أصدرت فرنسا ترسانة من القوانين والمعاهدات التي تخدمها في الصحراء ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، منها معاهدة غدامس 1862م التي تؤكد على المكوس التي تدفعها القوافل التجارية ، ومعاهدة ميزاب التي تنص على غلق الأسواق في وجه أعداء فرنسا ، إصدار قانون خاص بالصحراء تزعم فرنسا أنها من خلاله تطبق الشريعة الإسلامية ، عرف باسم قانون نابليون بونابرت الخاص بالصحراء الصادر بتاريخ 08 جانفي 1870م ، حيث يحتوي على عشرين (*) فصلا تتعلق بالمنازعات وبالحقوق وما يجب القيام به اتجاه السلطة الفرنسية (انظر الوثيقة وقم (1) ورقة من قانون 1870م الخاص بالصحراء بالملاحق ، ص، 179) .

وفي سنة 1870م شرعت في تطبيق النظام العسكري في الصحراء ، كل هذه الإجراءات

(1)-Feraud(C): delivrance d'esclaves négres dans le sud de la province de Constantine R.A. volume 16. Année 1872. p. 167.

(*) . نابليون بونابرت : قانون سلطاني في كيفية إجراء الأحكام الشرعية الإسلامية بوطن الصحراء من ولاية الجزائر ، نسخة مطبوعة مطبعة حجرية ، بدون تاريخ الطبع

والقوانين الجديدة المطبقة في الصحراء عرقلت إلى حد كبير الحركة التجارية المتجهة إلى السودان الغربي .

و من بين نتائج التدخل الفرنسي في الجهة هو التشديد على التجارة ، ومراقبة طرق القوافل ، ووضع مكوس خاصة لفائدة فرنسا ، ومراقبة تجارة العبيد ، هذا ما أدى إلى انكماش التجارة ، وهجر الكثير من الفلاحين أراضيهم وحقولهم ، مما تسبب في وقوع مجاعة⁽¹⁾ ، ووفيات أدت إلى تقلص عدد سكان وارجلان في العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي .

ولتنفيذ سياستها الاقتصادية و مراقبة التجار ، عملت على وضع حاميات عسكرية دائمة⁽²⁾ في المناطق الصحراوية التي احتلتها ، لتكون جاهزة لردع أي انتفاضة شعبية وذلك في كل من بسكرة و تقرت و الاغواط و وارجلان و المنيعه ، هذه الحاميات أصبحت تراقب حركة القوافل التجارية ، إذ تقوم بتوقيفها وتفقيشها و حجز البضاعة التي تمنعها فرنسا ، كما زودت بعض الطرق بالأبراج و القلاع و بفرق من الجيش مكونة من أدلاء سابقين للقوافل ، جندتهم فرنسا و زودتهم بالمهارى والأسلحة ، لم تسلم من ملاحقتهم القوافل التجارية و المقاومة الشعبية .

حركة المدافنات(*)

بعد القضاء على مقاومة بوشوشة، تأسست حركة أخرى من أتباعه في أبريل 1874م

(2) - إبراهيم (لونيسى): «أهمية الصحراء في استراتيجية الاستعمار الفرنسي» ، مدونة ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، منشورات مديرية الثقافة ورقلة 1999م ، ص.129.

(1) - عبد القادر (بوياية): «دور الرحالة والمستكشفين في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية» مدونة ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، منشورات مديرية الثقافة ورقلة 1999م، ص.78.

(*) - المدافنات : يرجع أصل التسمية إلى رجل تارقي الأصل يدعى مدقن⁽²⁾، بعد أن ضاقت به سبل الحياة حل بوارجلان سنة 1860م التي احتضنته وأكرمته، وفتحت له ذراعيها ولما تحسن حاله قام بسرقة مجموعة من الجمال والماعز التي وجدها ترعى بضواحي المدينة وفر بها إلى ضواحي عين صالح بمنطقة تادمايت أين استقر وامتهن مهنة السطو في رقعة جغرافية تمتد ما بين وارجلان والمنيعه وعين صالح ، ولما تعرضت فرنسا إلى ضربات موجعة من قبل مقاومين أشداء شبهتهم بهذا الرجل الشاذ وأطلقت عليهم اسمه. (انظر كتاب

LE CHATELIER (capitaine d'infanterie) : Les Medaganat : Alger 1888 .

تسمى المدفقات أنضم إليهم كل ثائر وعاشق لحياة الفياقي والقفار واصلت جهادها ضد فرنسا في أواخر الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي ، ضمت ما بين صفوفها شعانبة من وارجلان و متليلي و عين صالح ودخل معهم بن الشراير الذي يقود مجموعة مقاومين بالجهة ، وكذلك أتباع بوشوشة بعد انهزامه ، وعقدت لها اجتماعا في أبريل 1874م⁽¹⁾ وأعلنت عن نفسها بهذا الاسم جهارا وأنها تحارب العدو وتعيش من القوافل التجارية، وتم تعيين سالم بن الشراير رئيسا لها.ومنذ تأسيس هذه الحركة وهي في كر وفر لمدة قاربت العقدين من الزمن في صحراء شاسعة و قاحلة و لم يثن غزواتها لا حر الصيف ولا برد الشتاء ، ولا القوات الفرنسية التي تترصد لها في كل مكان ، فقد قتلت الآباء البيض الثلاثة في وادي الشبابة مابين المنيعه وعين صالح من بينهم الأب **بولمي**⁽²⁾ (**Bolmay**) في شهر فبراير 1876 ، و هددت الرحالة لارجو (Largeau) عندما كان متوجها من وارجلان إلى عين صالح في سبتمبر سنة 1877م فرجع من ضواحي تادمايت . و هاجمت قافلة تجارية قادمة من تنبكتو في سنة 1878م كانت تحمل أربعمئة عبد متجهة إلى تنجورارين⁽³⁾ . كما قامت بغزوات عديدة على كل من الهقار 1878م ، و وارجلان و متليلي 1879م ، وعلى غدامس و أولاد السايح بضواحي وارجلان سنة 1882م ، وفي الأخير تمكنت قبيلة الرقيبات من تصفية هذه الجماعة ما بين سنة 1884 و 1885م بعد سلسلة من المعارك في الصحراء مات فيها سالم بن الشراير وتشتت عناصرها ما بين السودان الغربي وعين صالح و وارجلان .

وبصورة عامة فهذه المقاومة رغم أنها عطلت التوسع الفرنسي في الجنوب ، وأصبح أي تحرك يود القيام به لا ينفذه إلا بعد تحريات كبرى ، لكنها أضرت بحركة القوافل التجارية العابرة للصحراء حيث إنها أضافت إليها أعباء مالية أخرى.

(1) - Le Chatelier (capitaine d'infanterie) : op. cit .p .9.

(2) - Ibid..28 .29.

(3) - Ibid.p.38.

خلاصة الفصل :

نستخلص من هذا الفصل أن فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، زحفت ناحية الجنوب الجزائري، وشرعت في بسط نفوذها على مدن شمال الصحراء الواحدة تلو الأخرى إلى أن وصلت إلى وارجلان في نهاية العقد الخامس من القرن التاسع عشر، فواجهتها مقاومة شعبية قادها كل من محمد بن عبد الله في الفترة من (1851م إلى 1861م) ، و محمد بن التومي بوشوشة من (1869م إلى 1874م) ، استطاعت هذه المقاومة أن تعطل الزحف الفرنسي صوب الجنوب لأكثر من عقدين من الزمن .

وبعد أن تمكنت فرنسا من إخماد هذه المقاومة بسجن محمد بن عبد الله ثم نفيه، ومحاكمة محمد بن التومي بوشوشة ثم إعدامه في 29 جوان 1875م، شرعت في تطبيق سياستها الاستعمارية التوسعية في الجهة حيث نصبت قيادا يمثلونها في كل من وارجلان و تقرت والمنيعه، وأسست مركزا للآباء البيض بوارجلان سنة 1873م ، وجعلته قاعدة لإنطاق البعثات الاستكشافية والاستطلاعية المتوجهة إلى الصحراء وإلى السودان الغربي. فجاءها شارل فيرو للتقيب والبحث في الميدان التاريخي والأثري ما بين 1871 و 1872م، وهارولد طاري الذي قام بحفريات في مدينة سدراتة الأثرية سنة 1881م .

كما استغلت المسالك الصحراوية وتجربة قادة القوافل في عملية التوغل والاستطلاع في الصحراء إلى غاية السودان ، إذ استطاع الرحالة دوفري عبر المسالك الصحراوية انطلاقا من وارجلان أن يصل إلى الهقار ثم السودان الغربي في الفترة ما بين 1859 إلى 1861م وكذلك الشأن بالنسبة لبول سولايب الذي وصل إلى عين صالح بعد أن عبر على وارجلان في سنة 1874م ، ولارجو الذي حضر نفسه إلى الذهاب إلى السودان الغربي من وارجلان لكنه لم يحقق هدفه حيث هدد بالقرب من عين صالح ، فقطع هذه الرحلة سنة 1877م وعاد إلى باريس.

أما بالنسبة إلى فلاتيرس فقد استغل المسالك الصحراوية وتجربة قادة القوافل انطلاقا من وارجلان لغرض تحقيق المشروع الاستعماري الكبير الهادف إلى ربط المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية بتشاد والسنغال بمثيلاتها في شمال إفريقيا بخط للسكك

الحديدية ، لكنه لم يحقق ذلك بسبب اغتياله من طرف الطوارق ببئر الغرمة في 16 فيفري 1881. ورغم كل هذه المثبطات لكن فرنسا استطاعت أن تبسط نفوذها على الجهة حيث أسقطت الحكم المحلي بوارجلان وعينت قيادا يمثلونها لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن (1849 إلى 1883) ، ثم حكمتها حكما عسكريا مباشرا ابتداء من سنة 1883م وأول من تولى هذه المأمورية هو الملازم الأول ألفرد لوشاتليي ، ووضعت حاميات في الصحراء مزودة بالجيش والسلاح والجمال السريعة لمراقبة كل التحركات بما فيها حركة القوافل التجارية ، وشدت المراقبة على الأسواق وفرضت المكوس وضغطت على تجار العبيد أثناء الاستيراد وأثناء البيع وأطلقت سراح الكثير منهم بالقوة ثم دخلت فرنسا كطرف منافس في هذه التجارة ، وكل هذه الأعمال أدت إلى انكماش تجارة القوافل ما بين الضفتين ، وهذا ما أرغم التجار على تغيير وجهتهم من أسواق السودان الغربي إلى أسواق غدامس بالتراب الليبي وقفصه و قابس بالتراب التونسي .

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال ما تقدم في هذه المذكرة ، تجلى لنا أن هذه الحاضرة تعد من الحواضر العتيقة والضاربة في القدم بمنطقة الصحراء الجزائرية ، ترجعها معظم المصادر والمراجع إلى فترة ما قبل التاريخ ، وقد أكدت ذلك العينات الأثرية التي عثر عليها في منطقة ملالة وحاسي مويلح وعرق التوارق والحمراية بمحيط وارجلان، وقد أرجعها علماء الآثار إلى الألف السابعة قبل الميلاد، سكنتها عبر التاريخ أجناس بشرية متعددة الأعراق ، من غرامنتيين و أثوبيين وجيتوليين وبرابرة ثم العرب والزنوج ، اتخذت من الكهوف بيوتا ، و اصطادت الحيوانات البرية ، وصنعت الأدوات الحجرية واستعملت بيض النعام قارورات لحمل السوائل.

وظلت المنطقة تستقبل الفارين من الاضطهاد عبر الأزمنة و العصور ، ونظرا لصعوبة العودة إلى مضاربهم مرة ثانية ، شيّدوا الدور والقصور في هذه المناطق الممتدة من وادي ريخ إلى وادي مائة ، بعضها انقرض من الوجود لسبب من الأسباب وبعضها تحدى عواقب الزمان بالسقوط والوقوف ، وهذا ما وقع لحاضرتنا وارجلان هذه الحاضرة التي عرفت بعدة أسماء اختلفت في شكل الكتابة والنطق من بينها وارجلان و وراكلان وحديثا ورقلة ، لكن أقدم المصادر التي تعود إلى القرن الثاني للهجرة . الثامن للميلاد. أطلقت عليها اسم وارجلان ، دخلها الرومانيون ولم يمكثوا بها طويلا ، انتشر فيها الإسلام عن طريق الدعاة و التجار خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، وساهمت في نشره بإفريقيا جنوب الصحراء عن طريق التجار ، كما احتضنت الفارين من الاضطهاد العبيدي الشيعي في نهاية القرن الثالث الهجري مطلع العاشر ميلادي بعد سقوط الدولة الرستمية ، وأعطت هذه الهجرة زخما كبيرا للحضارة والثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة ، حيث شيّدت مدينة سدرا ته، وأنجبت العديد من العلماء ، وأنتجت الكثير من الكتب، وطورت الزراعة واستخرجت المياه من الآبار الارتوازية ، وربطت علاقة تجارية مع السودان الغربي ظلت متواصلة حتى القرن

التاسع عشر الميلادي ، كما تعرضت وارجلان إلى حملات عسكرية عديدة بسبب غناها وموقعها الاستراتيجي الهام فهي : بوابة للسودان ، وسوق للذهب وللعبيد ، فالكل كان يطمع في ضمها إلى كيانه ، و عليه فقد تعرضت للغزو الفاطمي سنة 297هـ . 909م وذلك سنة بعد سقوط الدولة الرستمية ، ثم إلى حملة حمادية في مطلع القرن الخامس الهجري القرن الحادي عشر ميلادي ، وإلى حملة الميورقي بن غانية سنة 226 هـ . 1229م ، ثم إلى حملة المنصور المزني سنة 673هـ . 1274م حطم فيها سدرا ته عن آخرها ، وإلى حملة عثمانية بقيادة صالح رابيس سنة 960 هـ . 1552م.

و فرضت عليها الضرائب من قبل الحماديين و الحفصيين، ومن طرف إيالة الجزائر العثمانية ابتداء من القرن السادس الميلادي .

عرفت وارجلان نظام الحكم الملكي الوراثي، فتأسست بها سلطنة بني أبي غابول وحكمت قرنا من الزمن من سنة 682 هـ إلى 783 هـ . 1283م إلى 1381م ، ثم سلطنة أولاد بن بابية التي امتد نفوذها من نقوسه إلى وارجلان بعد سقوط سلطنة بني أبي غابول ، وبقيت إلى أن أختار سكان وارجلان سلطانا جديدا من أصول فلالية يدعى مولاي موسى ، وبقي الحكم متوارثا بين أبنائه إلى أن قامت سلطنة بني علاهم سنة 1602م ، وظلت قائمة إلى أن نصبت فرنسا عليها قايدا سنة 1849م .

والجدير بالذكر أن هذه السلطنات كانت تحكم حكما صوريا أما الحكم الفعلي فهو بيد الجماعة المكونة من اثني عشر عضوا يمثلون الأحياء الثلاثة الكبرى بالحاضرة .

وبداية من القرن السابع عشر ميلادي أصبحت وارجلان تتكون من القصور الآتية : ((وارجلان . نقوسه . الرويسات . سيدي خويلد . عجاجه . الشط . بامنديل . وديار مخادمة وبنو ثور والبور .)) .

ارتبطت بعلاقات تجارية مع السودان الغربي منذ القرون الوسطى الإسلامية وبلغت الذروة ما بين القرن العاشر والقرن السادس عشر الميلادي ، حيث أصبحت وارجلان خلال هذه الفترة توصف بالغناء ، ويقصدها كل راغب في المال أو الحج .

وظلت العلاقات التجارية مع السودان الغربي قائمة حتى بعد سقوط مملكة سنغاي على

يد أحمد منصور الذهبي سنة 1000هـ . 1591م إلى غاية الاحتلال الفرنسي للصحراء و حسب المصادر القديمة والمراجع الحديثة فإن وارجلان ارتبطت بمسالك صحراوية مؤدية إلى السودان الغربي ارتباطا وثيقا منها . مسلك وارجلان غانة وهو من أقدم المسالك . و وارجلان قويا . و وارجلان زافون . و وارجلان كوقا . و وارجلان كوار . و وارجلان تاكدة . و وارجلان أغاديس . و وارجلان تمبكتو ومن الأسواق التجارية بالسودان الغربي التي كانت تتردد عليها القوافل التجارية المتوجهة من وارجلان نذكر : سوق أغاديس و جني وغانا و تيمبكتو و غاو و تاكدة و كوبي صالح و أوداغست و تادمكة . و تصدر إلى هذه الأسواق التمر . الملح . المنسوجات . الخيول . الأدوات الحديدية . البقول . الألبسة الحريرية . الشاي والسكر . التبغ (الشمة) ، وتستورد منها الذهب . العبيد . الجلود . العاج . بيض النعام . النحاس . الشب . القديد . الفول السوداني . الحنة . الصمغ . الجبن المجفف . التوابل .

وقد كانت المعاملات في الأسواق التجارية السودانية ، لا تختلف كثيرا عن المعاملات السائدة في أسواق الأقطار الإسلامية في الفترة من القرن السابع عشر إلى التاسع عشر ميلادي حيث كان في ميدان قياس الطول يستعمل الفتر والشبر و الذراع و القدم ... وفي الأوزان تستعمل الوقية و المتقال والرطل... وفي الكيل يستعمل المد و الصاع والقنطار و المزود و الحمل . أما في ميدان العملات فقد كان في الأسواق السودانية هجين من العملات بعضها محلي والبعض الآخر دخيل ومن ضمن العملات المحلية الصلغ ، والنحاس ، و الدينار ، والدوخة والمتقال أما العملات الدخيلة المستعملة هناك فهي: الكوري ، و الدراخمة ، و الدورو و المحبوب ، والموزونة

زحف الاستعمار الفرنسي نحو الصحراء بداية من سنة 1844م ، و واجهته مقاومة شعبية قوية ، اتخذت من وارجلان عاصمة لها بقيادة محمد بن عبد الله من سنة 1852 إلى غاية 1861م ، ثم بوشوشة 1869 إلى 1874م ، وبعد أن أخمدها طبق على الحاضرة

نظام الحكم غير المباشر بواسطة القياد المعينين من سنة 1849م إلى غاية 1883م ، ثم مرحلة الحكم العسكري المباشر من طرف ضباط فرنسيين ابتداء من سنة 1883م .

و بعد أن تمكنت من وارجلان عملت على شل الحركة التجارية مع السودان الغربي بسبب تغيير نظام الحكم المحلي ، وتشديد المراقبة على القوافل التجارية ، وعليه أصبحت الكثير من القوافل التجارية، لا ترهق نفسها بالذهاب إلى إفريقيا جنوب الصحراء ، بل تكتفي فقط بالذهاب إلى أسواق غات وغدامس وتشتري منها بضاعة السودان بسبب المضايقة الكبيرة التي تتعرض لها في الذهاب وفي الإياب بعد أن كانت حرة لا دخل للسلطة المحلية فيها اللهم إلا ضريبة الدخول إلى السوق المحلي .

وقد نافست التجار في هذه المسالك بداية من القرن التاسع عشر البعثات التبشيرية والرحالة والمستكشفون والفيالق العسكرية . بعد أن كانت حكرًا على التجار أصبحت الحركة بها دائبة و مقلقة .

و كل ما توصلت إليه من نتائج حول العلاقات التجارية ما بين وارجلان و السودان الغربي ما هي إلا بداية أولية في الدراسات الإفريقية المتعلقة بجنوب الصحراء فهي بحاجة إلى من يكملها و يتوسع فيها أكثر .

الملاحق

الملحق - أ -

- الخرائط .

الخريطة (2) مسالك القوافل الصحراوية من وارجلان إلى السودان الغربي

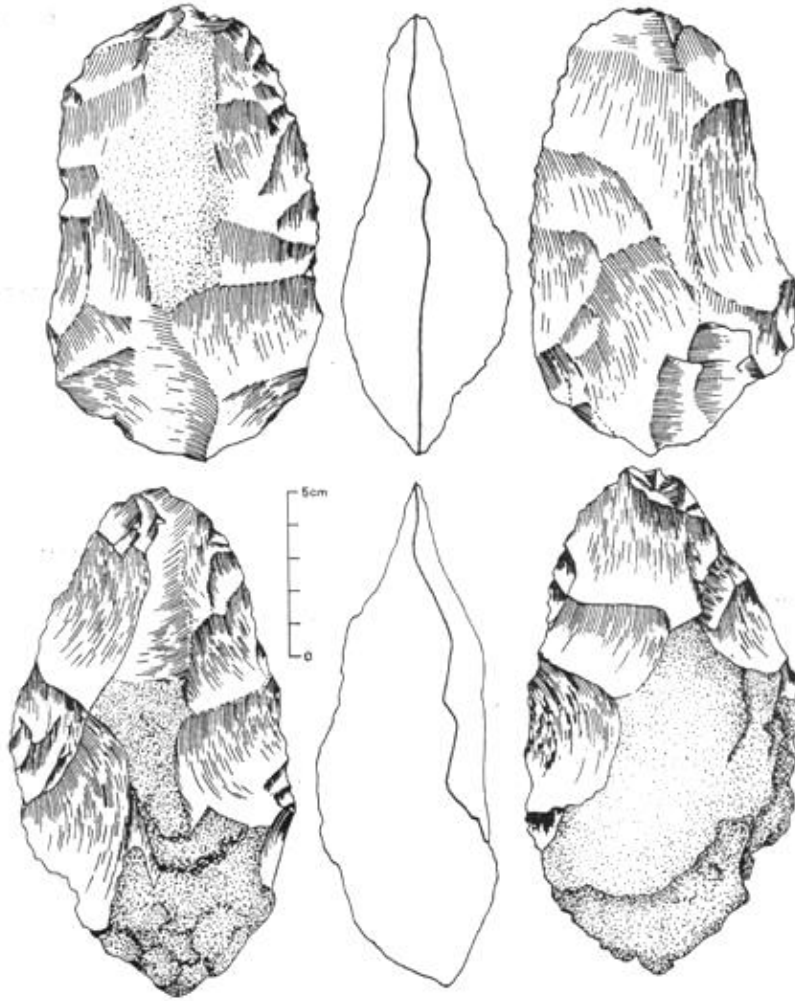


الخريطة تمثل مسالك القوافل التجارية انطلاقاً من وارجلان إلى السودان الغربي من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي (أنظر: مادامو بانينغار، بر. أحمد بؤواد بلج: الوثنية والإسلام في غرب إفريقيا، المجلس الأعلى للثقافة مصر 1998، ص. 546. مع وثقلا من التصور بحدود كل ما ليست له صلة

الملحق ب

صور و أشكال

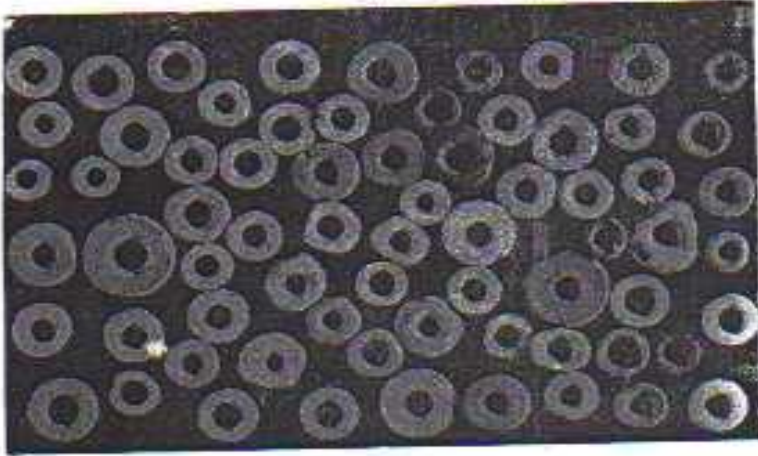
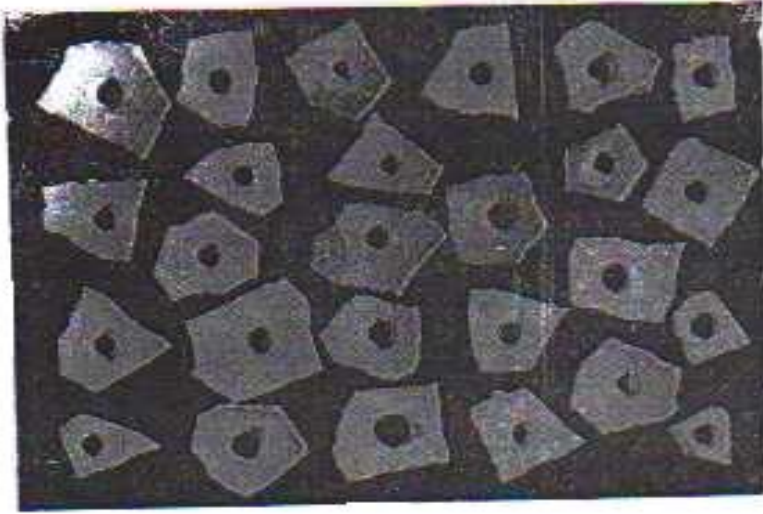
صورة رقم (1) لعينات أثرية من ما قبل التاريخ من صنف ذات الوجهين



- Erg Touareg. Bifaces : en haut, S7 à base réservée et extrémité ogivale ; en bas, n° 54 à base et extrémité arrondies.

صور لعينات أثرية تعود إلى ما قبل التاريخ من صنف ذات الوجهين جمعت من عرق التوارق على بعد 20 كلم من جنوب غرب وارجلان (أنظر Aumassip(G)et Hachi(S):op.cit.p.98.

صورة رقم (2) قطع من قشور بيض النعام مثقوبة من الوسط جمعت من ضواحي وارجلان⁽¹⁾



أ - قطع بيض النعام مثقوبة من الوسط
ب - قطع بيض النعام مثقوبة من الوسط

(1) - اعتمادا على : إبراهيمي (ك) المرجع السابق ، ص.95.

Nom vernaculaire :

(Ethle)

(الأثل) ✓

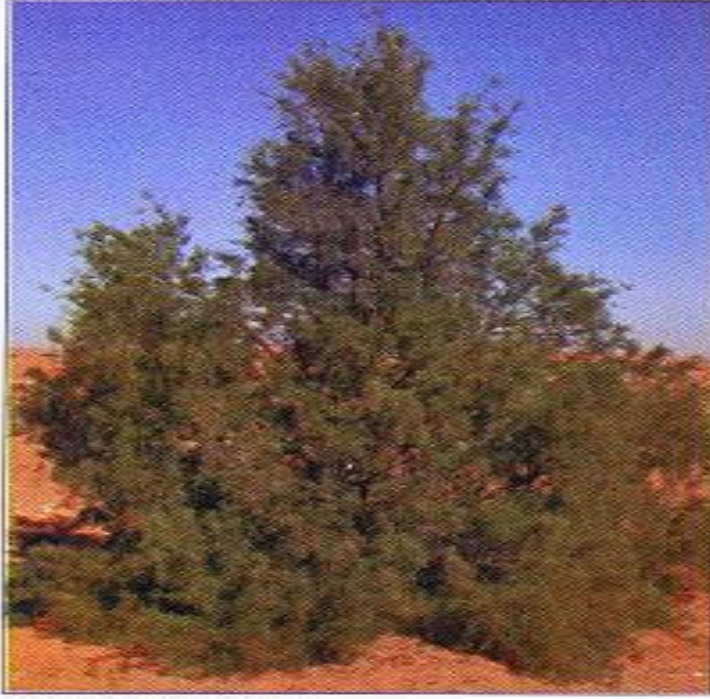


Photo: A. CHEHMA

Nom vernaculaire:

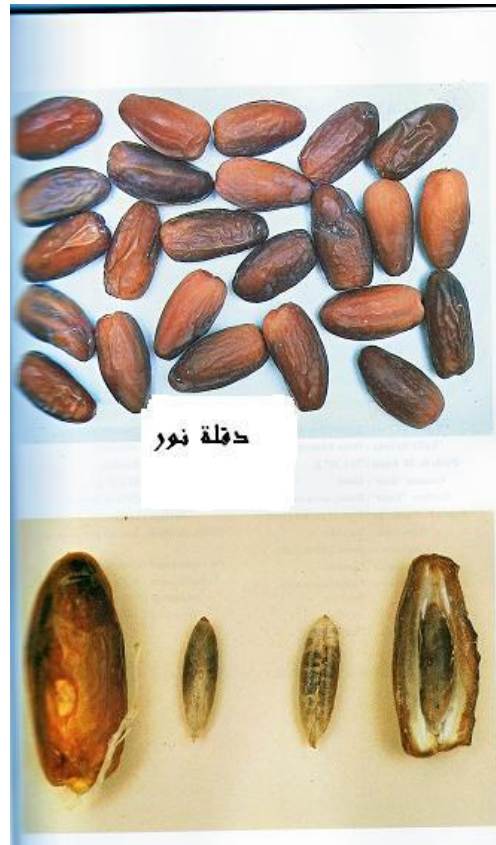
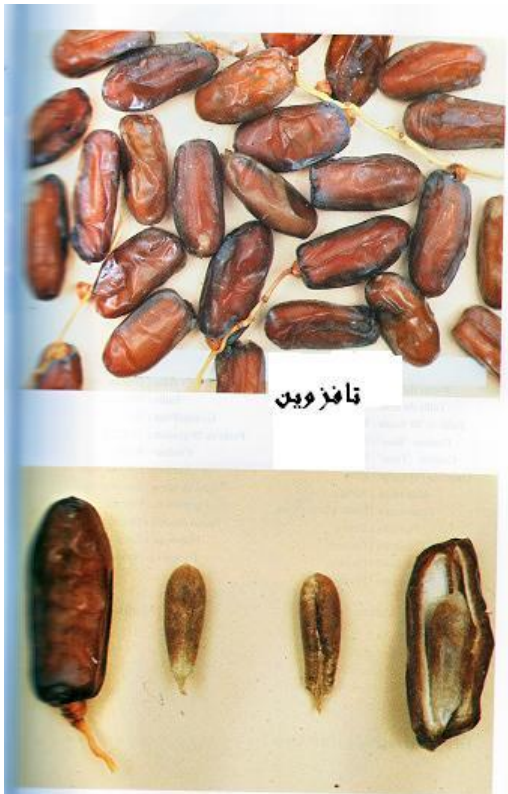
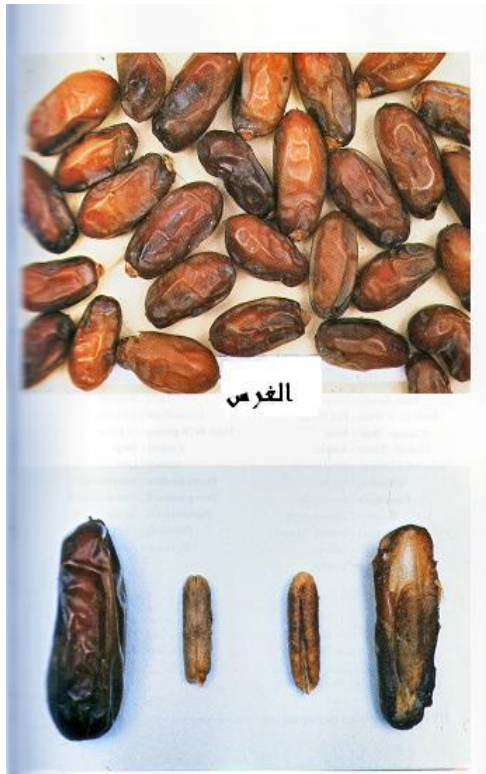
(Rtem)

(الرثم) ✓



Photo: A. CHEHMA

صور رقم (3) لأشجار صحراوية تنبت بضواحي وارجلان ، أنتقطها الدكتور عبد المجيد الشحمة
(أنظر : Abdelmadjid (Chahma):op.cit.pp.40-50.



الصورة رقم (4)

بعض أنواع التمور بوارجلان (أنظر Hannachi (S) :op.cit.p.53)

الصورة رقم (5) تمثل قافلة تنقل الملح

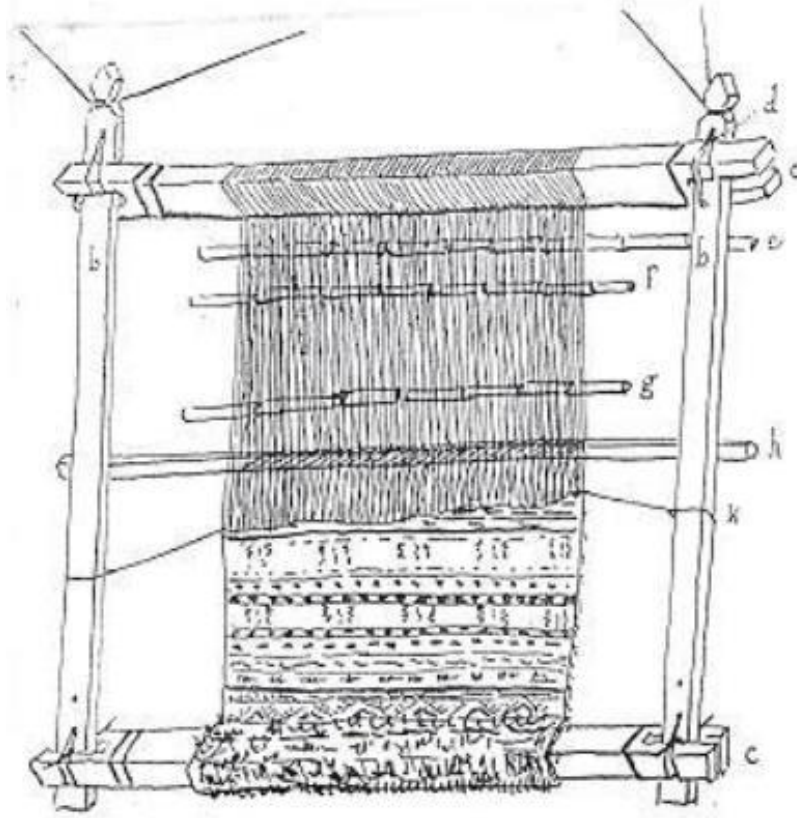


صورة لقافلة تنقل صفائح الملح عبر الصحراء متجهة إلى السودان الغربي .

نقلا عن :

Oliel (Jacob) : Les Juifs au sahara . Québec Canada . 2007.

صورة رقم (6) منسج تقليدي بوارجلان



صورة لمنسج تقليدي بوارجلان أخذت من الغرفة الجهوية للصناعة التقليدية - وارجلان ديسمبر 2009-

الملحق ج

الجدول

الجدول رقم(1) المسافات الفاصلة ما بين وارجلان و المدن و الحواضر المحيطة بها (1)

الرقم	نقطة الانطلاق	نقطة الوصول	المسافة	الجهة
01	وارجلان	الجزائر	580 كلم	الشمال الغربي
02	وارجلان	بجاية	515 كلم	الشمال
03	وارجلان	تونس	690 كلم	الشمال الشرقي
04	وارجلان	قابس	485 كلم	الشرق
05	وارجلان	غدامس	450 كلم	جنوب شرق
06	وارجلان	عين صالح	600 كلم	جنوب غرب
07	وارجلان	تيميمون	560 كلم	جنوب غرب
08	وارجلان	المنيعة	230 كلم	جنوب غرب

ملاحظة: هذه المسافات تم قياسها مباشرة دون انكسارات

اعتمادا على:

(1)- Madeleine (Rouvillois-Brigol):Le pays de Ouargla (Sahara Algerien). Paris 1977.p.2.

الجدول رقم (2) خاص بالمعطيات المناخية لمنطقة وارجلان ، من حيث درجة الحرارة و الرطوبة
تقييم لمدة خمسة عشر سنة (1900 - 2004 م) ⁽¹⁾ .

الملاحظات	الرطوبة %	درجات الحرارة			الشهر
		المعدل	الأقصى	الأدنى	
الحد الأدنى في البرودة والأعلى في الرطوبة	62,97	11,75	18,55	4,95	جانفي
	55,47	13,77	21,14	6,41	فيفري
	46,37	18,83	26,24	11,42	مارس
	39,13	22,12	29,17	15,06	أفريل
	34,30	26,95	34,21	19,68	ماي
	27,97	32,40	39,97	24,83	جوان
الحد الأقصى في الحرارة والأدنى في الرطوبة	28,33	35,76	43,50	28,02	أجويلية
	29,17	35,05	42,44	27,66	أوت
	36,97	30,39	37,28	23,50	سبتمبر
	47,50	25,82	33,13	18,51	أكتوبر
	59,33	16,85	23,22	10,48	نوفمبر
	61,83	12,68	19,01	6,35	ديسمبر

اعتمادا على:

(1) - منشورات الديوان الوطني للأرصاد الجوي : المرجع السابق .

الجدول رقم (3) خاص بالمواقع الأثرية لفترة ما قبل التاريخ بوارجلان⁽¹⁾

الرقم	اسم الموقع الأثري	الجهة	عيناته الأثرية	عصره
01	عرق التوارق	الجنوبية الغربية على بعد 20 كلم	ذات الوجهين Bifaces	الحجري القديم
02	منطقة ملالة	الجهة الغربية على بعد 30 كلم	نصال ، بيض نعام ، رحي	الحجري الحديث
03	حاسي مويلح 2-1	الجنوبية الغربية على بعد 40 كلم	قارورات بيض النعام والمكاشط	الحجري الحديث
04	الحمراية	الشمالية الغربية على بعد 40 كلم	سهام ، إبر ، نصال	الحجري الحديث
05	القنيفة أو العروق	الجهة الشرقية على بعد 18 كلم	سهام ، نصال ، شظايا	الحجري الحديث
06	بامنديل	الجهة الغربية على بعد 10 كلم	سهام ، شظايا	الحجري الحديث
07	البكرات	الجهة الشرقية على بعد 20 كلم	سهام ، شظايا	الحجري الحديث
08	حاسي المخادمة	الجهة الجنوبية الغربية	سهام ، شظايا	الحجري الحديث
09	قارة كريمة	الجهة الجنوبية على بعد 18 كلم	سهام ، شظايا	الحجري الحديث

اعتمادا على :

(1) - مجلة ليبيا. Libyca: tome xx 1972.

الجدول رقم (4) يمثل قائمة البضائع الصادرة من وارجلان إلى السودان⁽¹⁾

الرقم	البضاعة المصدرة	مصدرها	وجهتها
01	التـمـر	وارجلان و تقرت وما جاورهما	السودان الغربي
02	الجمـال	وارجلان وما جاورها من المدن	السودان الغربي
03	المـلـح	وارجلان والحواضر التي تقع في طريقها إلى السودان	السودان الغربي
04	المنسـوجات	وارجلان و المدن المجاورة	السودان الغربي
05	الخـيـول	من خارج وارجلان	السودان الغربي
06	الأدوات الحديدية السكاكين ، الأقفال ، فؤوس الألجمة ، المناجل ، المعاول	من وارجلان ومن خارجها	السودان الغربي
07	الأدوات الكمالية العطور ، العمام ، الأساور ، الأقراط ، الألبسة الحريرية	مستوردة من المدن الساحلية و أوروبا	السودان الغربي
08	البضائع الغذائية القمح ، الشاي ، السكر	بضائع مستوردة	السودان الغربي
09	التبغ (الشمة)	من وادي سوف و توات	السودان الغربي
10	بضائع ثقافية الكتب ، الأوراق ، الأقلام	من خارج وارجلان	السودان الغربي
11	بضائع عسكرية بنادق ، دروع ، سيوف	من خارج وارجلان	السودان الغربي

(1) . الزبيري (محمد العربي): المرجع السابق ، ص.72.

الجدول رقم (5) يمثل قائمة البضائع المستوردة من السودان إلى وارجلان⁽¹⁾

الرقم	اسم البضاعة	المدينة المستوردة منها	وجهتها
01	الذهب	غانة ، غياروة ، قاو ، أغاديس	وارجلان
02	العبيد	غانة ، تيمبكتو ، تادمكة ، التكرور	وارجلان
03	الجلود	غانة ، تيمبكتو	وارجلان
04	النحاس	تاكدة	وارجلان
05	العاج	تيمبكتو ، غانة ، غاو	وارجلان
06	ريش النعام	تيمبكتو ، أغاديس	وارجلان
07	التوابل	أغاديس ، تيمبكتو ، غانة	وارجلان
08	بيض النعام	تيمبكتو ، غانا ، قاو	وارجلان
09	الشب	كوار و شمال تشاد	وارجلان
10	القديم	تيمبكتو ، غانة ، قاو	وارجلان
11	الجبن المجفف	تيمبكتو	وارجلان
12	العنبر	أوداغست	وارجلان
13	الفول السوداني	تيمبكتو ، غانة ، قاو	وارجلان
14	الحنة	من جميع أسواق السودان	وارجلان
15	الصمغ	غانة	وارجلان

(1) . محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص ، 72 .

الجدول رقم(6) العملات النقدية في بلاد السودان من القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع عشر⁽¹⁾

الرقم	اسم العملة	قيمتها	مصدرها	مكان انتشارها
01	الصلع	ديناران	محلية	تادمكة
02	النحاس 400 قضيب	01 مثقال ذهب	محلية	تاكدة
03	عملة سينغاي الذهبية	ديناران	محلية	سينغاي
04	الصكوك	غير محددة	محلية	جهات عديدة
05	الدينار	40 درهما	محلية	جهات عديدة
06	الكوري 1000	0,75 فرنك	دخيلة	جهات عديدة
07	الدوخة	/	محلية	جهات عديدة
08	الدراخمة	/	دخيلة	جهات عديدة
09	المتقال	4,25 غرام ذهب	محلية	جهات عديدة
10	المجيدي	4,5 فرنك	محلية	جهات عديدة
11	الدورو	/	دخيلة	جهات عديدة
12	البيتو	/	دخيلة	جهات عديدة
13	المحبوب	عملة ذهبية	دخيلة	جهات عديدة
14	الموزونة	عملة فضية	دخيلة	جهات عديدة
15	القايمة	عملة نحاسية	دخيلة	جهات عديدة

(1) . بوعزيز (بحيي): المرجع السابق ، ص . 54.

الجدول رقم(7)أسعار بعض السلع الصادرة من السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر للميلاد⁽¹⁾

الرقم التسلسلي	اسم البضاعة	وزنها	ثمنها بالعملة المستعملة محليا	ثمنها بالفرنك الفرنسي
01	العاج	50 كلغ	200 إلى 220 ألف كوري	200 إلى 220 فرنك
02	ريش النعام	01 كلغ	من 50 إلى 60 الف كوري	من 50 إلى 60 فرنك
03	تبر الذهب	المتقال	من 07 إلى 08 آلاف كوري	/
04	العبد الذكر	العبد الواحد	120 إلى 130 ألف كوري	130 فرنك
05	العبد الأنثى	الواحدة	150 إلى 200 الف كوري	150 إلى 200 فرنك
06	قمائش	22 مترا	08 آلاف كوري	19 فرنك

(1) - بوعزيز (يحيى): تاريخ إفريقيا الغربية ، المرجع السابق ، ص. 56.

الملحق - د

- الوثائق

الوثيقة رقم (1) القانون الخاص بالصحراء و المتكون من عشرين فصلا ، أصدره الملك الفرنسي نابليون في 8 جانفي 1870 م. توجد نسخة منه في محفوظات دار الثقافة لولاية ورقلة .

محمد وصاله القانون

سلطنة في كية اجرا. الاحكام الشرعية الإسلامية
بوضن الصحراء. من ولاية الجزائر في فجر باليوغ الكونون
شهر جانفي جامع

الحمد لله نحن نابليون سلطان فرنسا ومنه نعمة الله واللا

رأية العامة السلاح على الموجود في الجزائر والجزيرة

في الاستقبال الز بعد احكامنا على القانونين

الستكانين المتضمنين ترتيب الاحكام الاسلحة

المورخ احدثهما باليوغ 37 ديسمبر 1859

والاخر باليوغ 13 ديسمبر 1866

تاعلنا في الاي الخديا ابداء والي عملاكة الجزائر

بديوان الولاية واصلنا على ما عرضة علينا وزيرنا

في الشرايع والامور الدينية فدا امرنا واجرنا

ما يلج ذلك

المصادر و المراجع

1. المصادر المخطوطة و المطبوعة بالعربية

1.1 المخطوطات :

1 . أعزام (الشيخ إبراهيم) : غصن البان في تاريخ وارجلان ، مخطوط عند ورثة الشيخ بالقصر العتيق وارجلان .

1.2 المصادر المطبوعة :

1 - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، 1980م .

2 - ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادي) : صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1979م.

3 . ابن خلدون(عبد الرحمان) :كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر، ج6 و7، دار الكتاب اللبناني لبنان، 1983م.

4 . ابن خلدون (عبد الرحمان) :المقدمة ، مطبعة حسناوي محمد الجزائر 2006م.

5 - ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) : كتاب الجغرافيا،تح، إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1982م

6 - ابن الصغير (المالكي) : أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر و بحاز إبراهيم ، المطبوعات الجميلة الجزائر ، سنة 1996م

7 . أبو زكرياء(يحيى بن أبي بكر) : كتاب سير الأئمة و أخبارهم ، ج1، تحقيق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979م.

8 . الإدريسي(محمد بن عبد العزيز الشريف) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد مصر، (د.ت.ط.)

9 . البكري (أبو عبد الله) : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة مصر ، (د.ت.ط.) .

10 . الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) :معجم البلدان ،لبنان ،1977

- 11 . الدرجيني (أبي أحمد بن سعيد) : كتاب طبقات المشايخ بالمغرب جزءان تحقيق إبراهيم طلاي ، (د.ت.ط.) .
- 12 . السعدي (عبد الرحمان بن عبد الله بن عامر): تاريخ السودان، مطبعة أمريكا والشرق باريس، 1964م.
- 13 . الشماخي (أبو العباس أحمد) : كتاب سير المشايخ مطبعة حجرية قديمة (د.ت.ط.) ، نسخة مكتبة الوفاق بالمسجد الكبير لالة عزة بوارجلان .
- 14 . عبد الكافي (أبو عمار بن أبي يعقوب التناوتي) : الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف ، تحقيق عمار طالبي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1978م .
- 15 . العياشي (أبو سالم عبد الله) : ماء الموائد . رحلة العياشي ، مطبعة حجرية بفاس ، سنة 1898م.
- 16 . الناصري (أبو العباس أحمد خالد) : كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، الجزء الثاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء المغرب ، سنة 1954م .
- 17 - الوزان (الحسن بن محمد الفاسي): وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي لبنان، 1983م .
- 18 . اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب): تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغزي النجف العراق، 1939.

2 . المراجع العربية

1 . 2 . الكتب:

- 1 . إبراهيمي (ك) : تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر ، تر، محمد البشير شنيتي و رشيد بورويبة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م .
- 2 - بانيكار (ك. مادهو) (K.Madhu (Panikar)): الوثنية والإسلام . تاريخ الإمبراطوريات الزنجرية في غرب إفريقيا ، تر، أحمد فؤاد بلبع ،المجلس الأعلى للثقافة مصر، 1998م

3. بحاز (إبراهيم بكير) : الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، مطبعة لافوميك الجزائر ، 1985م .
- 4 - برنشغ روبر (Robert Brunschvig) : تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر ، تر، حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي لبنان ، ج2، ط1، 1988م .
- 5 - بن العمودي (محمد الصغير) : تقرت عاصمة وادي ريغ ، المطبعة العصرية الواحات تقرت الجزائر ، 1995م.
- 6 - بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، الطباعة الشعبية للجيش الجزائر ، 2007م.
- 7 - بورويبة (رشيد وآخرون) : الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي ، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م.
- 8 - بوعزيز (يحيى) : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر ، ط1، 1980م .
- 9 - بوعزيز (يحيى) : كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986م .
- 10 - بوعزيز (يحيى) : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2001م
- 11 - بونار (رايح) : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م .
- 12 - التر (عزيز سامح) : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان، 1989م
- 13 . جودت (عبد الكريم يوسف) : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م .
- 14 . الجيلالي (عبد الرحمان) : تاريخ الجزائر العام ، أربعة أجزاء ، دار الثقافة بيروت لبنان، 1980م.

- 15 - الحريري(محمد عيسى):الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس(160 هـ . 296 هـ) ، دار القلم للنشر و التوزيع الكويت ،ط3 1987م.
- 16 - الحسن (إبراهيم حسن): انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 1963م.
- 17 - الحسن (إبراهيم حسن): تاريخ الإسلام السياسي والديني و الثقافي و الاجتماعي مكتبة النهضة مصر،ط7، 1964م.
- 18 - حوتية(محمد الصالح): توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة الجزائر،2007م .
- 19 - حليمي (عبد القادر علي):جغرافية الجزائر طبيعية بشرية اقتصادية،المطبعة العربية الجزائر،1968م .
- 20 - خليف(عبد القادر):المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة،دار الغرب للنشر و التوزيع وهران الجزائر،2004م.
- 21 . الدالي (الهادي المبروك):التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار اللبنانية المصرية مصر، 1999م.
- 22 . دنيس (بيليي) : واحة عبر التاريخ ، مطبعة ANEP الجزائر،2003م .
- 23 . ديكريه (فرانسوا):قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، تر، عز الدين أحمد عزو الأهالي للطباعة والنشر سوريا ، 1996م .
- 24 . زيادية (عبد القادر):مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 - 1591م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1971م .
- 25 . الزيري (محمد العربي):التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 . 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1984م

- 26 . زكرياء قاسم (جمال) : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، دار الكتاب الحديث الكويت، 1996م .
- 27 - زوزو (عبد الحميد) : ثورة بوعمامة 1881 - 1908م ، ج 1 ، جانبها العسكري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م .
- 28 . زوزو (عبد الحميد) : ثورة بوعمامة 1881 . 1908م ، ج 2 ، جانبها السياسي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م .
- 29 - سعد الله (أبو القاسم) : الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1900م ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ج1، 1992م .
- 30 . سعد الله (أبو القاسم) : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج5 ، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2007م .
- 31 . سعد الله (أبو القاسم) : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986م.
- 32 - سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1998م .
- 33 . سعودي(محمد عبد الغني):قضايا إفريقيا،المجلس الأعلى للثقافة الكويت،1998م.
- 34 - سعيدوني(ناصر الدين) : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 . 1830م ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985م .
- 35 - سعيدوني (ناصر الدين) و البوعبدلي (الشيخ المهدي) : الجزائر في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ج4، 1984م.
- 36 . السويدي(محمد): بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986م
- 37 - شارل (أندري جوليان) : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي ، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ج2، 1978م .
- 38 - شريط (عبد الله) و الميلي (مبارك) : مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985م.

39. شنييتي (محمد البشير) : التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984م .
40. شنييتي (محمد البشير) : سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا 146 ق م . 40م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م
41. شوقي (عبد القوى عثمان): التجارة ما بين مصر و إفريقيا، منشورات المجلس الأعلى للثقافة مصر ، 2000م.
- 42 - شوقي (عطاء الله الجمل) و عبد الله (عبد الرزاق إبراهيم): تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع مصر، 1996م
- 43 - صبري (صلاح): إفريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر، 1960م.
- 44 - طمار (محمد): الروابط الثقافية ما بين الجزائر و الخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م.
- 45 . العدواني(محمد الطاهر) : الجزائر منذ نشأة الحضارة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م.
- 46 - العربي (إسماعيل) : الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983م .
- 47 . عميراي (أحميدة): بحوث تاريخية ، دار البعث قسنطينة الجزائر، 2001م
- 48 - عميراي (أحميدة) : من تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى عين مليلة الجزائر ، ط2، 2004م
- 49 . عميراي (أحميدة) : موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2003م.
- 50 - عميراي (أحميدة) : قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع عين مليلة الجزائر، 2005م.

- 51 - غانم (محمد الصغير) وآخرون : المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ ، دار الهدى عين مليلة الجزائر ، 2006م .
- 52 - فيصل (محمد موسى): موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة لبيبا ، 1997م .
- 53 . قداح (نعيم): حضارة الإسلام و حضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1975م .
- 54 . كام (جوزفين) : المستكشفون في إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف القاهرة مصر ، 1983م .
- 55 - كروزيه (موريس و آخرون) : تاريخ الحضارات العام ، ج6، ترجمة يوسف سعد داغر، منشورات دار عويدات بيروت لبنان ، 1982م .
- 56 . لعروق (محمد الهادي) : مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1984م .
- 57 - لقبال (موسى): المغرب الإسلامي منذ بناء المعسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1981م .
- 58 . المدني (أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و أسبانيا 1492 . 1792م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط3، 1984م .
- 59 . المدني (أحمد توفيق): هذه هي الجزائر، بدون تاريخ ودار طبعة.
- 60 . المدني (أحمد توفيق): كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984م .
- 61 - مركز دراسات الوحدة العربية: العرب و إفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان، ط2، 1987م .
- 62 - المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، مطبعة دار القصبة للنشر الجزائر ، 2007م .
- 63 . مزهودي (مسعود): الإباضية في المغرب الأوسط ، منشورات جمعية التراث القرارة ، المطبعة العربية غرداية الجزائر ، 1996م .

- 64 - معمر (علي يحيى): الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، ج2 المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1986م .
- 65 - مقيبس (بشير) : مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983م .
- 66 - المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم : العلاقات بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم تونس، 1985م
- 67 - مياسي (إبراهيم): التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 . 1912م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، مطبعة ANEP روية الجزائر، 1996م .
- 68 . الملي (مبارك بن محمد الهلالي) : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 مطبعة بدران وشركاؤه بيروت لبنان ، 1963م.
- 69 - نجاح (عبد الحميد) : منطقة ورقلة و تقرت من المقاومة إلى الاستقلال ، مطبعة الآمال للطباعة الوادي الجزائر، 2003م .
- 70 - هوارد(س): أشهر الرحلات في غرب إفريقيا، ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1966م
- 71 . هوبكنز (أ.ج.) A.G.Hopkins : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة بمصر ، 1998م.
- 72 - وولف (جون.ب) : الجزائر و أوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986م .
- 73 - يوسف بن بكير (الحاج سعيد): تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية، المطبعة الشعبية للجيش الجزائر، 2007م .

2. 2. الرسائل الجامعية

- 1 - باجو (مصطفى بن صالح) : أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، مذكرة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة السنة الجامعية 1992 / 1993م .

- 2- بوعصبانة (عمر سليمان) : معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان 296 . 626 هـ / 909 . 1229 م ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية،المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر،السنة الجامعية 91 / 92 م
- 3 . العماري (أحمد) : توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من 1850 إلى 1902م ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بفاس المغرب ،سنة 1984م.

3 . 2 . الموسوعات والقواميس والمعاجم

- 1- أبو عمران و آخرون : معجم مشاهير المغاربة ، المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر، 1995م .
- 2 . البستاني(فؤاد أفرام):منجد الطلاب،المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان،1956م
- 3 - حساني (مختار) : موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية ، الجزء الثالث مدن الجنوب ، دار الحكمة الجزائر ، 2007م
- 4 - الزركلي (خير الدين) : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين،دار العلم الملايين بيروت لبنان، 2002م
- 5 - غربال (محمد شفيق) : الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر مصر ، 1965م .
- 6 . وجدي (محمد فريد) : دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1971م .
- 7 . تأليف جماعي : أطلس العالم ، مطبعة الأرز بيروت لبنان ، 1996م

4 . 2 . مقالات الدوريات

- 1 - ابن يوسف (تلمساني):الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي سنة 1842، مجلة المؤرخ،العدد الأول،إتحاد المؤرخين الجزائريين،2002م
- 2 - بلحميسي (مولاي) : مدينة ورقلة في رحلة العياشي ، مجلة الأصالة ،ع41 وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 197م .

3. بلحميسي (مولاي) : ورقة من خلال النصوص الأجنبية ، مجلة الأصالة العدد41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ، 1977م .
4. بورويبة (رشيد) : الفن الرستمي بتهرت و سدرا ته ، مجلة الأصالة ، العدد41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ، 1977م .
- 5 - بوعزيز (يحيى) : طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الثقافة ، العدد 59 ، وزارة الإعلام و الثقافة الجزائر، 1980م .
- 6- بوعزيز (يحيى) : اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر و الصحراء ، مجلة الثقافة ، العددان57 و 58 ،وزارة الإعلام و الثقافة الجزائر، 1980م .
7. بوعزيز (يحيى) : اهتمامات الفرنسيين بالتوارق و منطقة الهقار من خلال ما كتبه ، مجلة الأصالة ، العدد 72 ، 1979م .
8. بوعزيز (يحيى) : أضواء على حركة بوشوشة ، مجلة أول نوفمبر 54 ، العدد 161 ، وزارة المجاهدين الجزائر ، 1999م .
- 9 . الجيلالي (عبد الرحمان) : أبو يعقوب يوسف الوارجلاني ، مجلة الأصالة ، العدد 41 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر ، 1977م .
- 10 . دراجي (عبد القادر) : المظاهر الفنية في المغرب منذ 13000 سنة الزخرفة النحت علي قشور بيض النعام ، مجلة الدراسات الأثرية ، معهد الآثار جامعة الجزائر، العدد 02 ، 1992م
- 11 – زوزو (عبد الحميد) : الوضع في ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي،مجلة الأصالة،ع41،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1977م .
- 12 . سعد الله (أبو القاسم) : المترجمون الجزائريون و إفريقية ، مجلة الثقافة،ع113 ، وزارة الاتصال والثقافة الجزائر ، 1996م .
- 13 . سعيديوني (ناصر الدين) : ورقلة و منطقتها في العهد العثماني ، مجلة الأصالة،ع41 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1977م .

- 14 - شنييتي (محمد بشير) : التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري ، مجلة الأصاله، العدد 41، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1977م .
- 15 - العربي (إسماعيل) : مسالك الإسلام و العروبة إلى الصحراء الكبرى مجلة الثقافة ، العدد 62 ، وزارة الأعلام والثقافة الجزائر ، 1981م .

2.5 . الملتقيات والمحاضرات

- 1 . بن معمر (محمد) : علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله، محاضرة ألقاها في ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ورقلة من 25 إلى 27 فبراير 1998م .
- 2 - بن معمر (محمد) : الشريف بوشوشة زعيم ثورة 1871م في الصحراء الجزائرية الشرقية، محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الثالث حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية و ردود الفعل ، ورقلة يومي 27 و 28 فبراير 1999م .
- 3 . بوباية (عبد القادر) : دور الرحالة المستكشفين في عملية التوسع الفرنسي محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الثالث حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية و ردود الفعل ، ورقلة يومي 27 و 28 فبراير 1999م .
- 4 - حملاوي (علي) : الأبحاث الأثرية بمدينة سدراته الأثرية ، محاضرة ألقاها في اليوم الدراسي للمركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ديسمبر 1997م .
- 5 . حملاوي (علي) : مواقع و معالم أثرية من الجنوب الشرقي الجزائري (منطقتي ورقلة ووادي ريغ) ، محاضرة ألقاها في الأيام الدراسية الأولى حول سدراته الأثرية ورقلة من 23 إلى 26 أبريل 1997م .
- 6 . خليفي (عبد القادر) : حركة الشيخ بوعمامة في الجنوب الكبير ،، محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الرابع حول مظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة ، ورقلة يومي 26 و 27 فبراير 2000م .

- 7 - رأس مال (عبد العزيز) : ثورة شريف ورقلة ، محاضرة ألقاها في ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ، ورقلة أيام 25 و 26 و 27 فبراير 1998م .
- 8 - عميراي (أميدة) : الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية ، محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الرابع حول مظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة ، ورقلة يومي 26 و 27 فبراير 2000م .
- 9 - عميراي (أميدة) : مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، محاضرة ألقاها في ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ورقلة أيام 25 و 26 و 27 فبراير 1998م
- 10 - لونيبي (إبراهيم) : أهمية الصحراء الجزائرية في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي ، محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الثالث حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية و ردود الفعل ، ورقلة يومي 27 و 28 فبراير 1999م .
- 11 - مزهودي (مسعود) : تأسيس وارجلان و سدرا ته من خلال الروايات التاريخية محاضرة ألقاها في الأيام الدراسية الأولى حول سدرا ته الأثرية ، ورقلة من 23 إلى 26 أبريل 1997م .
- 12 . مياسي (إبراهيم) : التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية ، محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ورقلة أيام 15 و 16 و 17 أبريل 1996م
- 13 - النامي (عمر خليفة) : ملامح الحركة العلمية في وارجلان و ضواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري، محاضرة ألقاها في الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ، المنعقد بوارجلان في الفترة من 06 إلى 15 فبراير 1977م .

3 . المقابلات الميدانية

- 1 . مقابلة مع الحاج بالمير محمد (عمره 65 سنة ، شعبي من عين البيضاء بوارجلان) يوم 05 . 01 . 2009
- 2 . مقابلة مع الحاج بوعزة محمد بن أحمد (عمره 89 سنة شارك في تجارة القوافل في القرن العشرين، أجريت معه المقابلة في بيته بحي المخادمة وارجلان يوم 02 / 05 / 2009

- 3 - مقابلة مع الحاج الصادق مناع (عمره 94 سنة شارك في تجارة القوافل في القرن العشرين، أجريت معه المقابلة في بيته بحي بامنديل وارجلان يوم 2009 / 04 / 30
- 4 - مقابلة مع الحاج بكار عواشير (عمره 75 سنة شارك في تجارة القوافل في القرن العشرين، أجريت معه المقابلة في بيته بحي المخادمة وارجلان يوم: 2010 / 01 / 05
- 5 - مقابلة مع الحاج محمد الهتهات (عمره 60 سنة شارك في عملية الترحال عن طريق القوافل في الصحراء الفاصلة ما بين وارجلان والمنعية وكانت آخر رحلة له سنة 1970م، أجريت معه المقابلة في متجره بسوق الجملة للخضر بوارجلان يوم 2009/12/17
- 6 - مقابلة مع الحاج محمد بن السايح (عمره 70 سنة شارك في تجارة القوافل في القرن العشرين، أجريت معه المقابلة في منزله بحي المخادمة وارجلان يوم 2009/12/19

4. ويبوغرافيا Web graphie :

1. مقال بعنوان " الفلان و السنونكي على الموقع " : www.rayah.info. الزيارة للموقع كانت يوم : 2010 / 01 / 30 .
2. حسين بربوشي " البرابيش " مقال على الموقع : www.hama.maktoubbog.com. الزيارة للموقع كانت يوم : 2010 / 01 / 30 .
3. محمد شيخي " الطوارق أمازيغ الصحراء "، مقالة على الأنترنات البحث في (قوقل Google) كلمة طوارق تاريخ الإطلاع 2010 / 01 / 30 .

5. المصادر و المراجع باللغة فرنسية

1.5. المصادر

- 1- Daumas (Eugène) : moeurs et coutumes de l`Algérie .paris 1853
- 2- JACQUOT (Félix) : Expédition du général CAVAIGNAC dans le Sahara Algérien .Paris . 1849.
- 3- LARGEAU .(V).: le pays de rirha Ouargla . paris.1879
- 4- LE CHATELIER (capitaine d`infanterie) : Les Medaganat : Alger 1888.
- 5- NARCISSE (faucon): livre d`or de l`algerieparis.1889
- 6- SOLLEILLET (Paul): voyage de Paul solleillet d`Alger a l`oasis d`in-salah. Alger 1875.
- 7-TRUMELET (charlement) : les français dans le désert ; paris 1863

- 8-BAJOLLE (capitaine) : le Sahara d Ouargla de l oued mya Alger1887.
 9-BROSSELDARD (Henri) : Les deux mission Flatters. Au pays des touareg. Azdger et hoggar. Paris en 1889.

2. 5. المراجع

- 1-Cauneille (A) : Les Chaanba – leur nomadisme- .éditions du centre national de la recherche scientifique .paris . 1968.
 2- Chahma (Abdelmadjid) :phytomasse et valeur nutritive des principales plantes vivaces du sahara septentrional Algerien , Dar elhouda Ain melila Algerie,2008.
 3-Daumas (Eugène): Le Sahara Algérie .études géographiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie Paris1945
 4-Defremery(C) et Sanguinetti:(B.R) voyages d`ibn batouta.tome.4.Paris (.s.d.)
 5- DELHEUR (J): VIVRE ET Mourir à Ouargla.Paris.1988
 6- Denys (Pillet) : Histoire de Ouargla essai de chronologies.(s. date).
 7-Denys (Pillet) Repères pour l'histoire de Ouargla. 1872- 1992.Ouargla 1995.
 8-Denys Pillet & josph tawaf Une oasis saharienne a travers l`histoire (OUARGLA Editions.ANEP.2003.
 9- Hannachi (s) :Inventaire varital de la palmeraie Algerienne ,Anep Rouiba Algerie,1999 .
 10-Jean Lethielleux (Jean) : OUARGLA Cité Saharienne Des Origines au Début de xx Siècle. Paris 1984.
 11- KI-ZERBO(Joseph):Histoire de l`Afrique noire .éditions hatier.paris.1972.
 12 - MARÇAIS (Georges) xli:Manuel d'Art Musulman, tome 1, du ix^e Au^e Siècle,Paris 1926 .
 13-OLIEL (Jacob) : Les Juifs au Sahara, éditions Élysée, Québec. , Canada. 2007.
 14-Rouvillois Madeleine–(BRIGOL)- le pays de Ouargla Sahara Algérien).Paris 1975.
 15-Rouvillois Madeleine (BRIGOL): le Sahara de Ouargla .paris 1973.
 16-Rozet et Carette: L`ALGERIE. Paris.1850
 17-Tateuz (Lewicki) : Etudes magrébines et soudanaises. Éditions scientifiques de la pologne .Varsovie année 1976

3. 5. مقالات الدوريات بالفرنسية

- 1- AUMASSIP (G). et.HACHI.(S) :Le gisement acheuléen de l`erg touareg. Aux environs de Ouargla .Libyca .C.R.A.P.E tome .xxii. 1984
 2- AUMASSIP (G) et Al : passage quaternaire et peuplement de la région de Ouargla. Libyca .tome. xx. Alger. 1972. p. 238.
 3- BASSET (R) : Chronique des Oueds BABIA, Revue Africaine Volume 30 année 1886.

- 4- BERCHEM (Marguerite van) : A la recherche de Sadrata ALGERIA et l'Afrique du nord, Revue bimestrielle, N°3JUILLET-OCTOBRE 1953
- 5- BERCHEM(Marguerite van): SEDRATA une ville de Moyen age Enseveli dans les sables du Sahara algérien, Documents Algériens,Service d'Information du cabinetdu gouverneur général de l'Algérie Alger. 1953.
- 6- LE CHATELIER (capitaine d'infanterie) : Les Medaganat Revue Africaine. Volume 30 années 1886.
- 7- ESQUER (G) : Un rival d`bd El Kader, revue africaine, volume, 68.Année 1927
- 8- FERAUD (Charles) : Pointes de flèches en silex de Ouargla. Revue Africain volume 16 .année .1872
- 9 - FERAUD(Charles) : Notes historiques sur la province de Constantine Ouargla -Revue Africaine. Volume 30 années 1886.
- 10- FERAUD (Charles): Les Ben Djellab sultans de Touggourt .Notes -historique sur la province de Constantine revue africaine volume.23.année. 1879.p. 270.
- 11- FERAUD (Charles) : délivrance d'esclaves négres dans le sud de la province de Constantine, Revue Africaine, volume 16, année 1872.
- 12- FERAUD (Charles): Les Ben Djellab sultans de Touggourt .Notes - historique sur la province de Constantine revue africaine volume.31.année.1887
- 13- GOGNALONS (L) : FETES principales des sédentaires d'Ouargla (Rouagha), Revue Africaine, Volume 53, année 1909.
- 14- Le GOUVERNEUR (général) d'Alger: Notes pour servir a l`histoire de Ouargla Revue africaine. N .64 .année .1923 .pp . 381- 382.
- 15- HAEDO (Fray) .traduction .H.D.de Grammont : Histoire des rois d`Alger. revue africaine volume.24. Année 1880.p.271
- 16- MAMIER (F) et Trecolle: Etude de l`industrie du gisement d`hassi mouillah (Région de Ouargla Sahara algérien).Libyca Tome. xx.alger.1972
- 17-Marguerite (Van Berchem) : sedrata et les anciennes villes berberes du Sahara dans les récits des explorateurs de xlx- siècle, (bull. Inst .FR) 1960.p.293.
- 18- SIMON (H) : comment Bou choucha raconta un jour son histoire. Bulletin de liaison saharienne. N.19. janvier 1955
- 19- TARRY (Harold) : Excursion Archéologique Dans la vallée de L`OUED MYA, Revue D`Ethnographie, tome 02, Paris 1883.
- 20- TIXIER (Jacques). Maître de recherche au C.N.R.S. : Le campement préhistorique bordj mellala Ouargla (rapport en 1966 chez PB Ouargla)

4.5 . الرسائل الجامعية

- 1- HALASSA (Younes) : La cartographies géotechnique de la région de Ouargla. Mémoire de fin d'étude pour l'obtention du diplôme d'ingénieur d'état Spécialité : Géologie. Université Kasdi merbah Ouargla .2007 .p. 71

الفهارس

فهرس الأعلام

- أ .
- أبو عمار (الكافي) . 30 .
- إبراهيم موسى (الفلالي) . 68 .
- أبو نوح (السعيد بن زنجيل) . 30 .
- ابن إدريس (السعيد) . 129.128 .
- أبو يعقوب (بن سهلون) . 29 .
- ابن إدريس (محمد) . 128 . 127 .
- أحمد (المملوك) . 50 .
- ابن بابية (أحمد) . 117.116.43 .
- الإدريسي (الشريف) 109.88.04 .
- 118 . 148 .
- أرنودو (ضابط فرنسي) . 123 .
- ابن بابية (بحوص) . 119.118.116 .
- إزار (سلطان سوداني) . 73 .
- ابن بابية (الغالي) . 116 . 43 .
- أعزام (إبراهيم) . 10 . 6 .
- ابن بطوطة (رحالة) . 90.7 . 57 .
- أمنوكل (زعيم الطوارق) . 145 . 66 .
- ابن احمادو (أ محمد) . 137 .
- إيخنوخن (زعيم) . 144.132.131 .
- ابن حتوت (أحمد) . 140 .
- ابن خالد (المخدمي) . 118 .
- ب .
- بارث (رحالة فرنسي) . 86 .
- ابن خلدون (ع الرحمان) . 32.24.09 .
- بعاج (بن قدور) . 129.128 .
- 34 . 38 . 65 . 83 .
- البكري (رحالة) . 92.68.4 .
- ابن الدين (الأغواطي) . 45 .
- بو جمعة (بن الشيخ) . 129 .
- ابن سالم (أحمد) . 117 .
- بوخشبة (ثائر) . 140 .
- ابن الشراير (ثائر) . 151 .
- بوعزة (الحاج محمد) . 74 .
- ابن علي (محمد) آغا . 119.118 .
- بوشوشة (محمد) . 123.117.116 .
- ابن عمر (عبد القادر) آغا . 139 .
- 124 . 125 . 126 . 127 . 129 . 133 .
- ابن موسى (أبوبكر) . 39 . 37 .
- 137 . 148 . 150 . 152 .
- ابن ياسين (عبدالله) . 92 .
- بوعمامة (الشيخ) . 133.124 .
- أبو زكرياء (الحفصي) . 42.36.35 .
- بولخراس (بن قانة) . 126 .
- أبو زكرياء (يحيى) . 4 .
- بول سولايب (مغامر) . 136.87.185 .
- أبو سعيد (المغربي) . 5 .
- 137 . 138 .
- أبو صالح (جنون) . 30 . 26 .

- بولمي (أب أبيض). 151.
- بومرزاق (ثائر) -126.
- بيليسي (ضابط فرنسي) -120.
- الزيري (محمد العربي). 75 -
- الزهرة (الحاجة) . 119.
- زهير بن قيس (البلوي) . 20.
- ج -
- جعفر (الحاج) . 125 .
- جيار (طبيب فرنسي) -147-
- الجيلالي (عبد الرحمان). 10.07.
- ح -
- حسان (بن النعمان) . 20 .
- الحفصي (عثمان) - 37 38
- حماد (بن بلكين) . 34.
- الحموي (ياقوت) . 05.
- خ -
- خير الدين (باشا) - 48 -
- د -
- داود (بن شولية). 129.
- الدرجيني (مؤرخ). 68.05.
- دوريو (عقيد فرنسي). 120
- دوفري هنري (رحالة فرنسي) -152-
- دولاكروا (جنرال) -117-127-149-
- ر -
- راندون (قائد عسكري) -120-
- الربيع (بن الحبيب) -29-
- روش (عضو رحلة). 147.
- س -
- السعدي (عبد الرحمان) . 87.
- سعيدوني (ناصر الدين) - 102-
- سليمان (بن إبراهيم بن بانوح). 30.
- سليمان (بن موسى) . 40 .
- السنوسي (محمد) - 119 - 143-
- سي (الأعلى) - 122 - 125 -
- سي (بوبر) - 122 -
- سي (حمزة) - 120 - 122.
- سي (الزير) - 120 - 125 - 126-127
- سيدي (بلخير) - 45 -
- سيدي (خويلد). 4440.
- سيدي (سالم) . 40 . 4644
- سيدي (صالح بن موسى) -43-
- سيدي (عباز) - 127 -
- سيدي (عبيد) -44-
- سيدي (عطاء الله) . 40 . 44 .
- سيدي (موسى) - 40 - 45 -
- سيروكا (ضابط) - 123 -
- ش -
- شارل (فيرو). 152.134.

- ق -
 شانزي (جنرال) - 139 -
 الشماخي (أبو العباس) - 29-68-88-
 شوازي (رحالة) - 142 -
 كانكان (موسى) - 56 -
- ك -
 الكعاك (عثمان) - 10 -
 كسيلة (قائد بربري) - 20 -
 كولوميو (رائد) - 122 -
- ل -
 لارجو (فيكتور) - 08 - 21-22-24-
 لالة (مريم) - 119 -
 لخضر (بن محمد) - 125-
 لويس (ساي) . 141.
- م -
 لوشاتلي (الفرد) - 117 - 147 - 153
 ليبيير (جينرال) - 128 -
 ليتيليو (جون) - 08 - 69 -
 ليفيسكي (طادوز) - 69 -
 -
 مارقريرت (فان برشم) - 32 -
 ماسون (عضو رحلة) - 147 -
 ماكماهون (قائد فرنسي) - 120 -
 محمد بن عبد الله - 42-116-117-118-
- ص -
 الصافي (جد عائلة محلية) - 42-
 صالح (باي) - 48 -
 صالح (رايس) - 50 -
- ط -
 طاري (هارولد) - 135 - 152-
- ع -
 عبد الله (بن ياسين) - 92-
 عبد الله (الشيوعي) - 33-
 عثمان (دان فوديو) . 68-
 عقبة (بن نافع) 19 - 20 -
 علي باي (آغا) . 124 -
 علي (بن عامر) - 129
 علي (بن يخلف) - 88-
 علي (بن يوسف) (المسوفي) - 35-
 عمر (الفوتي) - 68-
 العياشي (أبو سالم) - 85 - 109-
- ف -
 فاطنة (بنت جلول) - 126 - 128 -
 فلاتيرس (بول) - 64 - 76-135-
 - 143-145-146-147-152-
 فيل (مهندس فرنسي) . 134-

- ي -
- 121-123-124-125-129-
130-148-152-
- المدني (أحمد توفيق) -07
مسعودي (محمد) - 32 -
- يحيى (بن غانية الميورقي).29
34-35-42-51-
- المقراني(الحاج محمد). 126.123.
129
- يزيد (بن معاوية) - 19 -
يعقوب (بن يفلح) - 26 -
يوسف (باشا) - 49 -
- المنصور (بن علناس). 34
المنصور (بن فضل)-36-
المنصور (المزني)-51-
مولاي (الذهبي) . 116 -
مولاي (سليمان) . 116 -
مولاي (علاهم) - 41 -
مولاي (علي) - 137 -
مولاي (موسى الفلالي) - 48-49-
مولاي (مسعود) -116-
- يوسف(ضابط.ج.مع فرنسا)-120 -
- ن -
- نابليون (بونابلرت).139.
ناصر (بن شهرة). 117.120.
125-126-127-
- الناصرى (أبوا لعباس أحمد).6.
- ه -
- هنري (دوفري).136.
- و -
- الوزان (الحسن بن محمد)- 03 - 05 -
23-40-56-73-87-

فهرس الشعوب و القبائل

- أ -
 بنو علاهم - 51 - 116-148-
 بنو واقين - 37 - 38-42-
 بنو واركلا - 19 - 24-39-
 بنو واكير. -39-
 بنو هلال - 34 - 38-39-41-67-
 بنو مازير - 44-
 بنو معقل - 06-
 بنو ميزاب-131-
 - ج -
 الجيتوليون - 18 - 42 -
 الجيجليون - 26 - 122 -
 - ح -
 الحفصيون - 35 - 37 -
 الحماديون - 33 - 34-
 حميان -44-
 - د -
 دواودة - 37-
 - ر -
 الرحمانيون -67-
 الرقيبات - 151 -
 الرستميون - 4 - 7 - 26 -
 - ز -
 الزناتيون - 5 - 6 - 9 - 19-25-34-
 الزنوج - 41 - 51 - 67-
 الآباء (البيض) - 130 -
 الإثيوبيون - 3 - 18-59-
 الآسقيين -90-
 أولاد بن بابية -116-
 أولاد باجودة. 138.
 أولاد البساطي - 40 -
 أولاد بن نصر الله -46-
 أولاد رحمون . 67-
 أولاد السايح - 151 - -
 أولاد سيدي الشيخ - 120 - 177 -
 148-125-123
 أولاد سيدي أخويلد -45-
 أولاد سيدي عبد الرحمان -46-
 أولاد سيدي عطاء الله -45-
 أولاد لشهب - 128 -
 أولاد نايل -120-
 - ب -
 البرابيش - 65-67-
 البربر - 3 - 4 - 7-9-18-19-23-
 71-65-51-41-25-
 البرتغاليون -58-91-
 بنو إبراهيم - 42 - 124-
 بنو بني غابول -37-38-39-51-73-
 بنو ثور -42- 47-121-124-
 بنو جلاب - 50 - 119-
 بنوسيسين - 42-

- س -**
 السعديون - 58 - 147-
 السوافة - 136 -
 سعيد عتبة - 47 - 121-127 -
- ق -**
 القرطاجيون - 18 - 25 - 54 -
- ش -**
 الشعانية - 42 - 69 - 119 - 120 -
 -141-136-129-128-127-126-122
 -151-147-145
- ك -**
 كلوي (قبيلة تارقية) - 132 -
- م -**
 المخادمة - 42 - 122-124-47-
 -126
 المرابطون - 34 - 35-
 المصريون - 10 -
 الموحدون - 35 -
- ص -**
 الصنهاجيون .65
- ن -**
 النوميديون - 63-18-18.
 . 54. 43. 25.23
- ط -**
 الطوارق .64.65.66.74.75.89.
 .140.136.133.132.131.121
 .142.146.174.153
- ع -**
 العبيديون - 26 - 51-
 العثمانيون - 48 - 49 - 50-51-57-68-90-93
 العرب - 41 - 51 - 67-
 الغرمنتيون - 3 - 18 - 51-
- ف -**
 الفاطميون - 26-
 الفرنسيون - 76 - 79 - 89-116-122-131-
 الفلاليون - 39 - 51-
 الفلان - 65-67-
 الفنيقيون - 09 -

فهرس الأماكن و البلدان

	- أ -
إير - 66-74-132-75-	آسيا.18
إيطاليا - 17 -	آفلو - 124 -
إيليزي -66-	أبالسة - 68 -
- ب -	أدرار - 66-
باب بوسحاق -86-	أزقور - 132 -
باب الحطب - 75-	أزواد - 66-67-
باتنة - 139-	أغاديس - 55-56-57-66-68-73-
باريس - 135-139-152-	74-75-76-79-86-106-112-148-
باماكو -89-	الاغواط - 117 - 118-120-122-
بامنديل -11-12-13-17-21-22	123-124-128-130-132-142-145-
47-133-	145-
بجاية - 36-37-56-60-83-84-	إفريقيا - 4 - 5-18-19-25-29-51-54-
97-99-102-104-	56-59-67-71-83-87-90-91-92-
بريان - 120-	93-94-95-96-97-98-100-102-105-
بسكرة - 5-20-24-36-48-117-	110-112-133-135-143-
120-124-125-139-142-	أفوغاس -66-
143-150-	أقروت -76-
البكرات - 17-	أم الأرناب . 12-13-47-
بلدة عمر - 30-125-139-	أمقيد - 63 - 76-145-146-
بن خليفة - 78-	إوارقن -08-
بودة -06-73-	أوداغست - 69-70-76-92-
البور - 47-	أوروبا - 18 -
بورنو -76-	أوسلان - 76 -
	أولف - 65-69-76-

التكرور - 67-71-76-88-91-	بوغار. -117
-148	بوغفالة - 47-
تلمسان - 19-85-103-178-	بوقليسة - 78-
تماساوي -74-76-	بوكلوة - 128-
تماسين -38-50-125-128-139-	بوم - 68-
-143	بير عيسو - 78-
تماسنين - 78-142-144-	بير الغرمة - 64-78-
تمبكتو -65-66-67-74-79-84-	البييض - 120-124-128-
-106 98-97-96-93-90-89-87	البيوض - 76-78-144-145-
-151-149-138-112-111	- ت -
تمنراست -66-73-74-	تابنكور - 06 - 76-
تمنطيط - 06 69 - 70-73-75-	تادمكة -55-57-68-69-76-79-
تتجورارين - 69 - 70-73-124-	-84-89-90-92-93-110-112-
-149 - 151	تادمايت -12-15-
توات - 73-83-85-91-105-121-	تاسبيت - 06-
-128	تاكدة - 55-73-74-90-93-103-
تونس -17-30-34-35-39-56-60-	تامزقيدة -127-
-153-125-124-123-121-99	تاهودة - 20-
-140-139	تبسة - 44-
تيمجاوين -78-	الترك الكحلة -74-
تيمياوين - 74-	تشاد - 65-71-72-76-93-103-
تيميمون - 75-141-	-135-143-152-
تين زاواتين -68-	تغازة -69-70-73-
تيهert -07-27-116-	تقرت - 12-33-37-39-48-49-
- ج -	-50-94-98-123-124-125-126-
جانث - 66-	-127-128-132-139-141-143-
	-150-152-

- ش -	زويلة - 71-72-
الشط - 3-13-45-	- س -
شنقيط - 10-39-67-	ساقاطو - 75-76-
- ط -	الساقية الحمراء - 10-39-67-
الطاسيلي - 66-	سامقندي - 70-
طرابلس - 85-	الساورة - 124-127-
طولقة - 124-	سجلماسة - 69 - 90-98-110-111-
- ع -	سدراثة - 7-15-15-21-27-29-
عبد الحاكم - 78-	31-32-34-36-38-45-51-55-
عجاجة - 6-44-46-47-	134-135-136-140-142-
عرق بوخرنة - 12-	سفيون - 13-15-
عرق بوصلح - 12-	سكيكدة - 55-56-83-84-85-97-
عرق الطوارق - 12-16-	99-102-104-149-
العرق الطويل - 12-	سما - 71-
العطف - 126-	السنغال - 65-67-70-71-88-91-
العلية - 126-	101-135-142-143-147-148-
عين البيضاء - 47-	152-
عين تابلالت - 78-	سنيغاي - 69-90-98-110-111-
عين الحجاج - 78-	السودان الغربي - 4-20-27-31-32-
عين الرؤوس - 74-	34-35-36-38-39-49-54-55-56-
عين زيوة - 69-76-	57-58-60-63-64-67-68-70-71-
عين صالح - 15-66-68-73-74-	72-73-75-76-77-78-79-80-83-
76-77-89-105-118-124-125-	84-85-87-88-90-91-92-96-98-
127-128-129-136-137-138-	99-100-101-103-106-111-116-
139-140-141-146-151-152-	132-135-136-138-140-143-144-
عين الطيبة - 78-127-	145-148-149-150-
عين ما عطاء الله - 78-	السوس - 6-20-21-
عين موسى - 47-	سهب مبارك - 75-
- غ -	سيدي خويلد - 6-12-
غات - 66-73-74-75-76-106-	سيدي سليمان - 139-
145-149-	

- غانة - 72-71-70-69-57-55
 غاؤ - 106-101-92-89-88-87-79-76
 -89-76-71-69-68-55
 -97-90
 غدامس - 87-84-74-73-71-44
 -153-151-145-131-90
 غرداية - 120-98-37-34
 -149-126
 غرننل - 70
 الغيشة - 124
- ف -
 فاس - 86
 فران - 47-43-24-21
 فرنسا - 134-131-59-42-17
 -142-141
 فزان - 87-85-72-71-3
 فقارة الزوى - 76
 فقيق - 129-124
 الفوارس - 78
- ق -
 قابس - 153
 قارة كريمة . 24-17-12-11
 -144-142-141-42-27
 القبيسة - 76
 القرارة - 126
 قرطبة - 35-29
 قسنطينة - 84-83-60-56-55
 -128-123-104-102-99-97
 149-143-139-135-131-129
 قلعة أبي الطويل - 4
 قمار - 125
 قوارة - 55
 قوياة - 76-71-70
 القيروان - 60-55-36-34-33-19
 -99-85-83-68
- ك -
 كاتشنة - 75
 كارساحو - 73
 كانم - 76-71
 كائو - 76-75
 كاوكاو - 90-71
 كبريتن - 76
 كرزاز - 129-128
 كهف السلطان - 23-22 - 12
 -140
 كوار - 76-72-71-55
 كورسيكا - 122
 كوقا - 88-71-55
 كومبي صالح - 91
 كيدال - 74-68
- ل -
 لمتونة - 92
 لبيبا - 72-71-66-65-44-40
 -153-129-124-123
- م -
 مارساي - 143

- ن -	مالطة - 124-
نتاكوميت - 127-	مالي - 74-72-69-57-55-
نفطة - 121-120-	90-88-76-
نفوسة - 72-27-	المبروك - 89-76-74-
نقارة - 88-70-69-55-	متايلي - 125-120-119-13-12-
نقوسة 8-21-22-37-38-43-47-	151-138-137-132-
116-117-120-123-125-	المدية - 117-
134-139-	المرقب - 13-
نيامي - 86-	مسعد - 3-
النيجر - 86-76-67-66-57-54-	المسييلة - 104-83-60-
89-101-140-143-148-	مصر - 147-105-91-87-
نيورت (مدينة بفرنسا) - 139-	المطارقة - 76-
- ه -	مطماط - 128-
الهقار 54-66-76-136-141-142-	معسكر - 124-
144-145-151-152-	المغرب 04-10-20-39-67-
الهوسة - 76-	135-103-101-90-87-70-
- و -	147-
واداي - 72-	المقارين - 123-121-
وادي ريرة - 23-	مكة - 57-
وادي ريغ - 43-27-27-23-11-	مكناس - 85-
94-	ملالة - 23-17-
وادي سوف - 118-97-44-11-	الملوك - 128-
124-125-129-132-137-	المنبوعة - 63-54-49-39-11-
وادي سبب - 137-	89-75-74-73-70-69-68-
وادي العقارب - 128-	140-138-133-128-125-
وادي وائة - 134-43-12-	152-150-141-
وادي المقسم - 137-	موريطنيا - 82-67-
وادي ميزاب - 37-13-12-11-	المويلحات - 75-
121 - 130-148-	

وادي نساء - 15-

وادي نميرات . 126-

وارجلان -3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-

15-16-17-18-19-20-21-22-24-25-26-

27-28-29-30-31-32-34-36-37-38-40-

41-44-46-47-48-49-50-54-55-56-57-

58-60-67-68-69-70-71-72-73-74-75-

76-77-78-79-80-83-84-86-87-89-90-

91-92-93-94-96-97-98-99-101-102-

103-104-108-109-110-112-116-117-

118-119-121-122-123-124-125-126-

127-128-129-130-132-133-134-135-

136-137-139-140-141-142-143-144-

146-147-148-149-151-152-153-

وارجلة-3-

وارجلن -3-

واركلا - 3-4-

وركلة - 5-6-43-

واركلان - 3-5-

وارقلان - 3-4-9-10-

والن - 69-

ولاتة -69-70-73-

وهران -85-

فهرس المحتويات

- المقدمة أ
- الفصل الأول: وارجلان من أصولها الأولى إلى الدخول العثماني .
- أصل التسمية 03
- الإطار الجغرافي لوارجلان 10
- الموقع الفلكي 10
- الموقع الجغرافي 11
- التضاريس 11
- الهضاب 11
- العرق 12
- الرق 12
- السبخة 12
- الحمادة 13
- المناخ 13
- الرياح 13
- الأمطار 14
- الغطاء النباتي 14
- المياه 15
- الجذور التاريخية لوارجلان 16
- العصور الحجرية التي مرت بها وارجلان 16
- السكان القدامى لوارجلان 18
- دخول الإسلام إلى وارجلان 19
- تأسيس حاضرة وارجلان 22
- وارجلان في الفترة العتيقة 22

- 23..... - وارجلان في الفترة النوميديية
- 25..... - وارجلان في الفترة الإسلامية
- 27..... - تأسيس مدينة سدرااته
- 32..... - التحرشات الخارجية على وارجلان
- 33..... - الحملة الفاطمية
- 33..... - حملة المنصور الحمادي
- 34..... - حملة يحيى بن غانية الميورقي
- 35..... - حملة أبو زكرياء الحفصي
- 36..... - حملة المنصور المزني
- 37..... - حملة سلطنة تقرت
- 37..... - حملة السلطان الحفصي
- 38..... - السلطنات المحلية بوارجلان
- 38..... - سلطنة بني أبي غابول
- 39..... - سلطنة الفلاليين
- 41..... - سلطنة بني علاهم
- 41..... - البنية الاجتماعية لسكان وارجلان
- 41..... - القصور
- 41..... - قصر وارجلان
- 42..... - قصر الرويسات
- 43..... - قصر نقوسة
- 44..... - قصر سيدي خويلد
- 45..... - قصر الشط
- 46..... - قصر عجاجة
- 46..... - الديار و القصور المفتوحة

- 48..... - الدخول العثماني إلى وارجلان
- 48..... - حملة صالح رايس
- 49..... - حملة يوسف باشة
- 50..... - خلاصة الفصل
- الفصل الثاني : القوافل التجارية و مسالكها الصحراوية من وارجلان إلى السودان الغربي .**
- 54..... - الجذور التاريخية لعلاقة وارجلان بالسودان الغربي
- 59 - تحضير القافلة التجارية للرحلة
- 63..... - المخاطر التي تواجه القافلة أثناء الرحلة
- 65..... - الطوارق
- 67..... - البرابيش
- 67..... - الفلان
- 68..... - المسالك الصحراوية من وارجلان إلى السودان الغربي
- 68..... - مسلك وارجلان - تادمكة - غاو
- 69..... - مسلك وارجلان - غانة
- 70..... - مسلك وارجلان - قويازة
- 70..... - مسلك وارجلان - زافون
- 71..... - مسلك وارجلان - كوقا
- 71..... - مسلك وارجلان - كوار
- 72..... - مسلك وارجلان - زقاوة
- 72 - مسلك وارجلان - زقاري - مالي
- 73..... - مسلك وارجلان - تاكدة
- 73..... - مسلك وارجلان - أغاديس
- 74..... - مسلك وارجلان - تمبكتو

- 74..... مسلك وارجلان - مالي
- 77 الآبار الصحراوية (الحواسي)
- 78..... خلاصة الفصل
- الفصل الثالث : - الأسواق والمعاملات التجارية بوارجلان**
- و السودان الغربي**
- 83..... سوق وارجلان وأهميتها التجارية
- 86..... الأسواق التجارية بالسودان الغربي
- 86..... سوق أغاديس
- 87..... سوق جني
- 87..... سوق غانة
- 89..... سوق تيمبكتو
- 89..... سوق غاو
- 90..... سوق تاكدة
- 91..... سوق التكرور
- 91..... سوق كومبي صالح
- 92..... سوق أوداغست
- 92..... سوق تادمكة
- 93..... البضائع الصادرة والمستوردة
- 93 البضائع الصادرة إلى السودان الغربي
- 100..... البضائع المستوردة من السودان
- 105..... المعاملات التجارية بالأسواق السودانية
- 106..... الرسوم و الضرائب
- 106..... المقاييس والأوزان و المكييل
- 109..... طرق البيع والشراء بالأسواق
- 112..... أسعار البضائع

112..... - خلاصة الفصل

- الفصل الرابع : الاستعمار الفرنسي لوارجلان و أثره في

علاقاتها التجارية بالسودان الغربي

116 - الاستعمار الفرنسي لوارجلان والمقاومته

116..... - الاحتلال الفرنسي لوارجلان

117..... - المقاومة الشعبية بوارجلان

118..... - مقاومة محمد بن عبد الله

123..... - وارجلان و ثورة أولاد سيد الشيخ

124..... - مقاومة محمد بن التومي (بوشوشة)

126..... - معركة وارجلان جانفي 1872 م

127..... - المرحلة الأخيرة من مقاومة بوشوشة

130..... - البعثات الاستكشافية و التبشيرية

130..... - معاهدة الحماية مع أهل ميزاب

131..... - معاهدة غدامس مع الطوارق

133..... - البعثات التبشيرية

134..... - البعثات الاستكشافية المختلفة

134..... - بعثة فيل

134..... - بعثة شال فيرو

135..... - بعثة هارولد طاري

135..... - فرنسا و طرق القوافل التجارية

136..... - رحلة هنري دوفري

136..... - رحلة بول سلاي

138..... - رحلة لارجو فيكتور

141..... - رحلة لويس ساي

- 142..... رحلة شوازي -
143..... رحلة فلاتيرس -
147..... الاستعمار الفرنسي و تجارة السودان -
148..... التحكم في المسالك الصحراوية -
149..... فرنسا و تجارة العبيد بوارجلان -
152..... خلاصة الفصل -
155..... الخاتمة -
161..... الملاحق -
161..... ملحق - أ - الخرائط -
164..... ملحق - ب - الصور و الأشكال -
171..... ملحق - ج - الجداول -
179..... ملحق - د - الوثائق -
181..... المصادر و المراجع -
198..... الفهارس -
198..... فهرس الأعلام -
202..... فهرس الشعوب و القبائل -
204..... فهرس الأماكن و البلدان -
211..... فهرس المحتويات -

خلاصة المذكرة

يتناول هذا البحث العلاقات التجارية ما بين مدينة وارجلان (ورقلة) ومنطقة السودان الغربي فيما وراء الصحراء في الفترة من نهاية القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، ويتضمن فصلا مطولا عن تاريخ وارجلان من جذورها الأولى إلى الاحتلال الفرنسي وتنصيب الإدارة الفرنسية بها سنة 1883م، وكذا تعريفا بمنطقة السودان الغربي .

إن هذه العلاقات التجارية ما بين الجهتين أرسنها القوافل التجارية المتكونة من آلاف الجمال التي تعبر الصحراء عن طريق المسالك التي تتوفر علي آبار المياه ومسترشدة بالأدلاء في مدة تصل في أقصاها إلى ثلاثة شهور في الذهاب ومثلها أثناء العودة محملة ببضائع الشمال المتمثلة في . التمر . القماش . النسيج . الملح . التبغ . الأسلحة . البارود . الأدوات الحديدية ، ومستوردة لبضائع السودان الغربي المتمثلة في : العبيد . الذهب . النحاس . الشب . الجلود . اللحم المجفف . ريش النعام . البهارات .

وكانت هذه العملية تتم في أسواق كبرى مثل : سوق تيمبكو ، وسوق غاو ، وسوق أغاديس . وسوق تادمكة ، وكان التعامل فيها بطرق حضارية راقية كاستعمالهم للمقاييس و الموازين والمكايل و العملة مثل الصلغ . الدوخة . الدراخمة . المجيدي . البينتو . كما يعود الفضل لهذه التجارة في انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في ربوع القارة الإفريقية .

وقد ربطت هذه العملية ما بين حضارتين و جنسين مختلفين وحققت التكامل الاقتصادي والثقافي بينهما، لكن هذا التواصل الإيجابي ما بين الضفتين لم يعمر حيث شل ودمر في القرن التاسع عشر الميلادي نتيجة الاحتلال الفرنسي لإفريقيا الشمالية و السودان الغربي.

Résumé

Dans cette étude on se penche sur les relations commerciales entre la ville De Wardjalan (Ouargla) et la région ouest Soudan au bout Grand-Sahara durant la période de la fin de 16^{ème} siècle jusqu' a la fin de 19^{ème} siècle. Elle contient aussi un chapitre sur l'histoire de Wardjalan à partir de sa naissance jusqu'a la période colonial et l'installation de l'administration Française 1883.

Aussi une partie consacrée à une description générale de la région Ouest – Soudan.

Les relations commerciales entre les deux cotés du Grand-Sahara ont pris naissance par l'intermédiaire de caravanes composées des milliers de chameaux qui traversent le grand désert.

A l'aide des guides les caravanes traversent le grand désert à travers des chemins qui contient des puits d'eau.

Le voyage prend une durée de trois mois pour l'aller et trois mois pour le retour, pendant l'aller les chameaux transportent la marchandise du nord (Dattes – tissus –textiles – sel – tabacs –armes – pulvérins –et les accessoires métalliques).

Tandis que pendant le retour ils transportent la marchandise du Ouest-soudan comme (Esclaves – or – cuivres – cuirs – viandes séchées –plumes des autruches.).

Les transactions commerciales se déroulent dans les grands marchés comme : (marché de Tombouctou - marché Gao – marché Agades –et marché Tademkka -) .Dans les opérations de vente les marchands utilisent les méthodes civilisés comme : les unités de poids – les unités de longueurs –et les unités de volumes. Le paiement se fait généralement par des monnaies comme : (Salaa – Dokha – Drakhma – Madjidi – et Binto -).

Les relations commerciales ont contribué en plus à la diffusion de l'Islam et la civilisation arabo-islamique à travers le continent africains. Une forte liaison est apparue entre les deux peuples et les deux civilisations en créant une intégration économiques et culturelles. Mais malheureusement cette liaison est interrompue par la colonisation Française pendant le 19^{ème} siècle qui a envahi toute la région Nord-Africain et Ouest-Soudan. .